الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

١٤٢١/٤/٨هـ
شراء

أبو هريرة

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

الطبعة الرابعة

تمتاز بالتصحيح والتدقيق والتنقيح

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

المقـدّمة

هذه دراسة لحياة صحابي روى عن رسول الله (ص) فأكثر حتى افرط وروت عنه صحاح الجمهور وسائر مسانيدهم فأكثرت حتى أفرطت أيضاً، ولا يسعنا ازاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحث عن مصدرها لاتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالا مباشراً ولولا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها الى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه.

ولكن اسلات هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدين واصوله فاحتج بها فقهاء الجمهور ومتكلموهم في كثير من أحكام الله عز وجل وشرائعه ملقين اليها سلاح النظر والتفكير.

ولا عجب منهم في ذلك بعد بنائهم على اصالة العدالة في الصحابة أجمعين.

وحيث لا دليل على هذا الاصل (كما هو مبين في محله بايضاح) لم يكن لنا بد من البحث عن هذا المكثر نفسه وعن حديثه كماً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله فروعاً واصولاً وهذا ما اضطرنا

الى هذه الدراسة الممعنة في حياة هذا الصحابي (وهو أبو هريرة) وفي نواحي حديثه وقد بالغت في الفحص وأغرقت في التنقيب حتى أسفر وجه الحق في كتابي هذا وظهر فيه صبح اليقين والحمد لله رب العالمين.

أما أبو هريرة نفسه فنحيلك الآن في تاريخ حياته وتحليل نفسيته على ما ستقف عليه في الكتاب، إذ مثلناه بكنهه وحقيقته من جميع نواحيه تمثيلاً تاماً تدركه بحواسك كلها والحمد لله على التوفيق.

وأما حديثه فقد أمعنا النظر فيه كماً وكيفاً فلم يسعنا — شهد الله — إلا الانكار عليه في كل منها، وقد سبقنا الى ذلك معاصروه كما ستقف عليه في محله[1] ان شاء الله مفصلاً.

وأي ذي روية متجرد متحرر يطمئن الى هذه الكثرة لا يعدلها المجموع من كل ما حدث به الخلفاء الاربعة وأمهات المؤمنين التسع والهاشميون والهاشميات كافة كما فصلناه في الأصل[2].

وكيف تسنى لأمي (تأخر اسلامه فقلت صحبته) أن يعي عن رسول الله (ص) ما لم يعه السابقون الأولون من الخاصة وأولي القربى.

ونحن حين نحكم الذوق الفني والمقياس العلمي نجدهما لا يقران كثيراً مما رواه هذا المفرط في اكثاره وعجائبه.

فان للسنة في حكمتها وأساليبها وخصائصها ميزات يعرفها أولوا الألباب والأذواق الفنية وأهل الاختصاص من علماء البلاغة.

فما يسمعوه أو يقرؤوه منها يجدوه متميزاً في أذواقهم ومقاييسهم بوضوح واعلان ويجدوا سماته وشاراته متميزة في غير شك ولا شبهة.

---

(١) في الفصل ١٤.
(٢) راجع منه الفصل ١٠.

. فالسنة أرفع من أن تحتضن اعشاباً شائكة وخز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية ، وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية قبل أن يشوه بها السنة المنزهة ويسيء الى النبي وأمته (ص) .

وبالجملة : فان السنة منهاج الإسلام ، ودستور الحياة اللاحب في كل ما يجب أن تصاغ الحياة على مثاله في الاخلاق والعقائد والاجتماع والعلم والآداب ، فلا يصح في منطق أن نسكت عن هذا الدخل الشائن لجوهر الإسلام وروحه الرفيعة المنادية بالتحرر والانعتاق من كبول العقائد السخيفة والخرافات التي يسبق الى الذهن استنكارها .

واذن فالواجب تطهير الصحاح والمسانيد من كل ما لا يحتمله العقل من حديث هذا المكثار .

أقول هذا وأنا أرى وجوهاً تنقبض دوني ، ونفوساً تتقبض مزورة عني . وقد يكون لها بسبب الوراثة والتربية والبيئة أن تنقبض وتتقبض أمام حقيقة وضعها البحث على غير ما ألفت من احترام الصحابة واعتقاد عدالتهم أجمعين اكتعين أبصعين من غير أن تزن أعمالهم وأقوالهم بالموازين التي اخذ النبي (ص) بها أمته ، لأن الصحبة عندهم بمجردها حرم لا تنال من اعتصم به معرة ولا يمس بجرح وان فعل ما فعل وهذا شطط على المنطق ، وتمرد على الأدلة وبعد عن الصواب .

والحق أن الصحبة بما هي فضيلة جليلة ، لكنها غير عاصمة ، والصحابة فيهم العدول وفيهم الاولياء والاصفياء والصديقون وهم علماؤهم وعظماؤهم وفيهم مجهول الحال ، وفيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم ، والكتاب الحكيم يذكر ذلك بصراحة (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) فعدولهم حجة ومجهول الحال تتبين أمره ، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا لحديثهم .

هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة وغيرهم والكتاب والسنة بنيا على هذا الرأي[1] فالوضاعون لا نعفيهم من الجرح وان اطلق عليهم لفظ الصحابة ، لأن في اعفائهم خيانة لله عز وجل ولرسوله ولعباده ، ونحن في غنى بالعلماء والعظماء ، والصديقين ، والصالحين ، من أصحابه (ص) ومن عترته التي أنزلها منزلة الكتاب وجعلها قدوة لأولي الألباب .

وعلى هذا فقد اتفقنا في النتيجة وان قضى الالتواء في المقدمات شيئاً من الخلاف ، فان الجمهور إنما يعفون أبا هريرة ، وسمرة بن جندب ، والمغيرة ، ومعاوية ، وابن العاص ، ومروان ، وأمثالهم تقديساً لرسول الله لكونهم في زمرة من صحبه (ص) ونحن إنما ننتقدهم تقديساً لرسول الله ولسنته (ص) شأن الأحرار في عقولهم ممن فهم الحقيقة من التقديس والتعظيم .

وبديهي — بعدُ — أن تكذيب كل من يروي عن رسول الله (ص) شيئاً خارجاً عن طاقة التصديق أولى بتعظيم النبي وتنزيهه وأجرى مع المنطق العلمي الذي يريده (ص) لرواد الشريعة ورواد العلم من أمته ، وقد أنذر (ص) بكثرة الكذابة عليه وتوعدهم بتبوء مقاعدهم من النار فأطلق القول بالوعيد .

وإني أنشر هذه الدراسة في كتابي هذا — أبو هريرة — مخلصاً للحق في تمحيص السنة وتنزيهها في ذاتها المقدسة وفي نسبتها لقدسي النبي الحكيم العظيم (وما ينطق عن الهوى) .

---

(١) لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين واقتدوا بالطلقاء وامثالهم ممن سمع النبي او رآه اقتداء اعمى وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو وخرجوا في الانكار عن كل حد من الحدود كما بيناه على سبيل التفصيل في ص ١١ إلى منتهى ص ١٥ من اجوبة موسى جار الله وفي الفصل الذي عقدناه في ص ٢٣ منها فراجع .

وللحق في سلامة التفكير وصدق النظر .

وللحق في قواعد العلم والعقل التي تأبى احترام كذاب على رسول الله (ص) فتعفيه من الجرح لأنه صحب رسول الله ! ! وتأبى كل الاباء ان نخضع لروايته (مغلولين مفلولين) فيما يمس السنة النبوية وهي أولى بالتزيه والتقديس لأنها رسالته الى العالمين وبقيته الباقية الى يوم الدين .

وليس لأحد أن يتقبض أو تنقبض نفسه بعد أن نقدم له كتابنا هذا وفيه صفايا ما عندنا من هذه الدراسة ، ونحن نكرم الفكر نفسه ونرفعه عن ان يهون فيسف الى حياطة الخرافة واحاطتها بسور من قدس موهوم (له باب ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب) .

ولا نريد لوجه أن يتقبض ولا لنفس أن تنقبض ، بل نريد لمن تمر به هذه السحابة المركومة من التقاليد أن يتحرر منها ثم يمعن في الكتاب امعان أولي الألباب (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك أولوا الألباب) .

لا نقصد بهذا الكتاب — شهد الله — أن نصدع هذه الوحدة المتواكبة المتراكمة في هذه اللحظة المستيقظة ، بل نقصد تعزيز هذه الوحدة واقامتها على حرية الرأي والمعتقد ، لتكون الوحدة على هذا الضوء أهدى للغاية وادل على القصد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

والكرامة العقلية أسمى الكرامات التي يسعى اليها أولوا الألباب بأغلى ما لديهم من أموال وأنفس ودماء ، لأنها السلم إلى المجد والجسر الى الاتحاد .

أما إذا شاء بعض اخواننا في الدين الاسلامي أن يصعر خده محمراً أو مصفراً فليصغ الى هذه الملاحظات المتواضعة ، وليفتنا بعدها نجدنا إن شاء الله أقرب الى تأليف الكلمة وتوحيد الصفوف بالرغم عن هذا الشوك

الذي يقض المضجع ، ويحز الفكر ، ويدمي الضمير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بين أيدينا الآن من هذه الملاحظات ألوان : بعضها يمس العقل في أفقه وطاقته ، وبعضها يمس العقيدة في صورتها ومعناها ، وبعضها يمس الطبائع في نواميسها وفطرتها ، وبعضها متناقض متداحض ، وبعضها خارج على قواعد العلم المشتقة من صلب الدين ، وكثير منها تزلف الى بني أمية أو إلى الرأي العام في تلك الأيام ، وبعضها خيال أو خبال ، وهي بجملتها خروج على أصول الصحة في كل معانيها .

فمن بلاياه أن ملك الموت كان قبل موسى يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه موسى ففقأ عينه ! وأرجعه على حافرته إلى ربه أعور ! فكان بعد هذه الحادثة يأتي الناس خفياً ! .

ومنها : تلك المسابقة الطريفة بين الحجر وموسى ، أو بين موسى والحجر إذ وضع موسى ثيابه عليه ليغتسل في ناحية عن الناس ففر الحجر بثياب موسى ليستدرجه الى لحاقه عارياً ! كي ينفي الشائعة عن فتق موسى بمروره على الملأ من بني اسرائيل مكشوفاً كما خلق يشتد خلف الحجر يناديه بأعلى صوته ثوبي حجر ثوبي حجر حتى وقف الحجر إذ انتهت مهمته فطفق موسى يضربه بعصاه ضرباً أثر فيه ندوباً أي جروحاً قال أبو هريرة : ان في الحجر ندباً ستة أو سبعاً .

وأطرف ما في هذه الاسطورة هذا التردد من أبي هريرة في ندوب الحجر فان ورعه في الحديث كان يفرض عليه أن لا يحدث عن شيء حتى يكون منه على مثل ضوء الشمس .

ومنها : ذلك الجراد الذهبي المتراكم يتساقط على أيوب (ع) وهو يغتسل فجعل يحثي منه في ثوبه . . .

ومنها : ان مولودين تكلما برشد وعقل وعلم بالعواقب الغيبية حيث لا مقتضي لخرق العادة ونواميس الطبيعة .

ومنها : ان بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين ، يدل على عقل وحكمة وعلم بالغيب ، حيث لا مقتضي للتحدي والاعجاز . في حديث حدث به في فضل الخليفتين .

ومنها : مجيء الشيطان اليه في صورة رجل في ثلاث ليالي متوالية ليسرق لعياله وأطفاله الجوعى من طعام كان أبو هريرة موكولاً اليه حفظه في خرافة عجيبة .

ومنها : ان أمة من بني اسرائيل فقدت ، وبعد البحث عنها تبين أنها الفأر بدليل أن الفأر اذا وضع لها البان الابل لم تشرب ! واذا وضع لها البان الشاة شربت ومنها : حديثه إذ كان — فيما زعم — مع العلاء في أربعة آلاف فأتوا خليجاً من البحر ما خاضه أحد قبلهم ! ولا يخوضه أحد بعدهم ! فأخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء ! وسار الجيش وراءه (قال أبو هريرة) فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر !

ومنها : حديثه عن مزوده المبارك اذ كان فيه تميرات طعم منها الجيش كله حتى شبع والتميرات على حالها فكانت معاشه مدة أيامه على عهد النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان ، حتى كانت مأساة هذا المزود الكريم في طي مأساة عثمان ، إذ انتهب مع ما انتهب في تلك المحنة .

ومنها : حديثه عن داود إذ خفف القرآن عليه فكان يقرؤه كله في وقت لا يسع قراءته كان — فيما زعم أبو هريرة — يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ، فهل هذا إلا كقول القائل : كان يضع الدنيا على سعتها في البيضة على ضيقها ؟

ومنها ، أحاديث تناول فيها الحق تبارك وتعالى فصوره في اشكال تعالى الله عز وجل عنها علواً كبيراً .

كحديثه في ان الله خلق آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً . وقد تطور فيه ، فتارة رواه كما سمعت ، وتارة بلفظ : اذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته . ومرة بلفظ : اذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه . لا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته ، ومرة رواه بلفظ : خلق آدم على صورة الرحمن .

وهذا افتنان في خيال صريح في تصوير الله تعالى وآدم تصميمه تشبيهاً بارعاً وتعاليم إن ننسبها الى الدين الاسلامي نجد فيها إغراباً يثير فينا الضحك والبكاء في آن واحد .

وحديثه في أن الله تعالى يأتي هذه الأمة يوم القيامة في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفنا فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم ! فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ، في قصة طويلة مظلمة باردة ذات خيال شرود آبد يعرض الله في اشكال يتنكر في بعضها ! ويغدو على عباده ! ويروح في ملابسات فيها النكتة وفيها الحوار وفيها المخادعة ! وفيها الضحك من الله وغير عجب ! على نحو لا يقتصر الاصطدام فيه بالعقائد الاسلامية والمستقلات العقلية فحسب . بل يصطدم الى ذلك باللياقات الملكية اذا ما ماشينا – والعياذ بالله – فكرة التجسيم حاشا لله وتعالى الله وتقدست اسماؤه.

وحديثه في أن جهنم لا تمتلىء حتى يضع الله رجله فيها ! في خرافة فيها افتخار النار بالمتكبرين واستكانة الجنة بدخول سقطة الناس اليها .

وحديثه في أن ربه – تعالى الله ربنا – ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا يقول من يدعوني فاستجيب له .

الى غير ذلك من الأحاديث التي كانت مصدراً لمذهب التجسيم في

الاسلام كما ظهر في عصر التعقيد الفكري ، فظهر بسببها أنواع من البدع والأضاليل .

وله أحاديث عني فيها بالأنبياء (ص) ، فوصفهم بما تجب عصمتهم منه ، وحسبك منها حديثه اذ وصف أهوال القيامة فصور الناس يفزعون الى آدم ثم إلى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى موسى ثم إلى عيسى (ع) في خلجة لم تعد عليهم بطائل لأن هؤلاء الأنبياء «ع» حجبت — على زعم أبي هريرة — شفاعتهم بما فرض لهم هذا الرجل من الذنوب التي غضب الله بها عليهم غضباً بكراً فذاً ما غضب مثله قبله ولن يغضب مثله بعده وأخيراً كانت الشفاعة لرسول الله (ص) وي كأن أبا هريرة لم يجد سبيلاً الى تفضيل النبي (ص) إلا بالغض من سلفه أولي العزم عليهم السلام .

وحديثه المتضمن نسبة الشك الى خليل الله ابراهيم (ع) إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى في كلام جعل رسول الله (ص) أحق بالشك من ابراهيم وجعل يوسف أفضل من النبي بالصبر والاناة ولم يسلم فيه لوط من التفنيد إذ قال : أو آوي إلى ركن شديد .

وحديثه المشتمل على نقض سليمان حكم أبيه! في اسطورة مثلت متداعيتين على ولد قضى به داود للكبرى فقال سليمان : ائتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل هو ابنها فقضى به للصغرى والتناقض بين نبيين في حكم خاص من احكام الله تعالى لا يتفق ومباني العقائد الاسلامية الصحيحة واطرف ما في هذه الاسطورة حلف أبي هريرة انه لم يكن سمع في حياته بالسكين إلا يومئذ وانهم ما كانوا يقولون إلا المدية .

وحديثه عن سليمان إذ قال : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك : قل إن شاء الله فلم يقل فأطاف بهن ! فلم تلد منهن إلا امرأة نصف انسان .

وحديثه في نملة قرصت موسى فأمر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله

كحديثه في ان الله خلق آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً . وقد تطور فيه ، فتارة رواه كما سمعت ، وتارة بلفظ : اذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته . ومرة بلفظ : اذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه . لا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته ، ومرة رواه بلفظ : خلق آدم على صورة الرحمن .

وهذا افتنان في خيال غريب في تصوير الله تعالى وآدم صورة فنية بارعاً وتعالم إن ننسبها الى الدين الاسلامي نجد فيها إغراباً يثير فينا الضحك والبكاء في آن واحد .

وحديثه في أن الله تعالى يأتي هذه الأمة يوم القيامة في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أتانا عرفنا فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم ! فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ، في قصة طويلة مظلمة باردة ذات خيال شرود آبد يعرض الله في اشكال يتنكر في بعضها ! ويغدو على عباده ! ويروح في ملابسات فيها النكتة وفيها الحوار وفيها المخادعة ! وفيها الضحك من الله وغير عجب ! على نحو لا يقتصر الاصطدام فيه بالعقائد الاسلامية والمستقلات العقلية فحسب . بل يصطدم الى ذلك باللياقات الملكية اذا ما ماشينا ــ والعياذ بالله ــ فكرة التجسيم حاشا لله وتعالى الله وتقدست اسماؤه.

وحديثه في أن جهنم لا تمتلىء حتى يضع الله رجله فيها ! في خرافة فيها افتخار النار بالمتكبرين واستكانة الجنة بدخول سقطة الناس اليها .

وحديثه في أن ربه ــ تعالى الله ربنا ــ ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا يقول من يدعوني فاستجيب له .

الى غير ذلك من الأحاديث التي كانت مصدراً لمذهب التجسيم في

الاسلام كما ظهر في عصر التعقيد الفكري ، فظهر بسببها أنواع من البدع والأضاليل .

وله أحاديث عني فيها بالأنبياء (ص) ، فوصفهم بما تجب عصمتهم منه ، وحسبك منها حديثه اذ وصف أهوال القيامة فصور الناس يفزعون الى آدم ثم إلى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى موسى ثم إلى عيسى (ع) في لجلجة لم تعد عليهم بطائل لأن هؤلاء الأنبياء «ع» حجبت – على زعم أبي هريرة – شفاعتهم بما فرض لهم هذا الرجل من الذنوب التي غضب الله بها عليهم غضباً بكراً فذاً ما غضب مثله قبله ولن يغضب مثله بعده وأخيراً كانت الشفاعة لرسول الله (ص) وي كأن أبا هريرة لم يجد سبيلاً الى تفضيل النبي (ص) إلا بالغض من سلفه أولي العزم عليهم السلام .

وحديثه المتضمن نسبة الشك الى خليل الله ابراهيم (ع) إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى في كلام جعل رسول الله (ص) أحق بالشك من ابراهيم وجعل يوسف أفضل من النبي بالصبر والاناة ولم يسلم فيه لوط من التفنيد إذ قال : أو آوي الى ركن شديد .

وحديثه المشتمل على نقض سليمان حكم أبيه! في اسطورة مثلت متداعيتين على ولد قضى به داود للكبرى فقال سليمان : ائتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل هو ابنها فقضى به للصغرى والتناقض بين نبيين في حكم خاص من احكام الله تعالى لا يتفق ومباني العقائد الاسلامية الصحيحة واطرف ما في هذه الاسطورة حلف أبي هريرة انه لم يكن سمع في حياته بالسكين إلا يومئذ وانهم ما كانوا يقولون إلا المدية .

وحديثه عن سليمان إذ قال : لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله فقال له الملك : قل إن شاء الله فلم يقل فأطاف بهن ! فلم تلد منهن إلا امرأة نصف انسان .

وحديثه في نملة قرصت موسى فأمر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله

اليه قرصتك نملة فاحرقت أمة من الأمم تسبح لله تعالى .

وحديثه عن رسول الله (ص) انه كان يؤذي ويسب ويلعن ويجلد على الغضب من لا يستحق ذلك فيكون ايذاؤه وجلده وسبه ولعنه كفارة لذنوب من يتعرض منه لهذا الشر .

ولو نسب هذا الى فرعون لأساء الى اخلاقه ، على ان ناساً لعنهم رسول الله (ص) لا يستحقون المغفرة فهل يلزمنا أبو هريرة بحبهم واحترامهم ورفعهم كما ترفع البررة الصالحون ؟ وما هي المقاييس الصحيحة بعد هذا المقياس الهريري الطريف ؟ .

وحديثه في عروض الشيطان لرسول الله (ص) ليقطع عليه صلاته فذعته — أي خنقه — وهمّ ان يوثقه الى سارية لينظر الناس اليه مكتوفاً لكنه (ص) ذكر قول سليمان . رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، فخلى سبيله .

وحديثه في نوم النبي (ص) عن صلاة الصبح .

إلى غير ذلك من احاديثه التي فتحت الباب للقول بعدم عصمة الانبياء وتعريضهم للخطأ والزلل في رأي معوج لا يستقيم عليه معنى النبوة في حقيقته وواقعه .

وهنالك لون آخر في حديثه يريك التناقض بأجلى مظاهره فانظر إلى حديثي أبي سلمة عنه في العدوى إذ نفاها في الأول منها ، واثبتها في الثاني فناقشه أبو سلمة قائلاً له : يا أبا هريرة ألم تحدث انه لا عدوى ؟ فأنكر حديثه الأول ورطن بالحبشية .

وانظر إلى حديثه عن طواف سليمان — على زعمه — بنسائه تجده متعارضاً متناقضاً فتارة روى انهن مائة ، وأخرى روى انهن تسعون . ومرة روى انهن سبعون وأخرى انهن ستون ! وكل ذلك ثابت عنه في الصحاح .

وانظر إلى أحاديثه في هجرته تجدها صريحة بأنه انما هاجر مسكيناً حافياً طاوياً خادماً يخدم هذا وهذه بشبع بطنه فمن اين له الغلام الذي حدث عنه في الشام ؟ إذ قال (على عهد معاوية) : لما قدمت على النبي (ص) ابق غلام لي في الطريق ، فبينا أنا عند رسول الله أبايعه إذ طلع الغلام فقال لي النبي : يا أبا هريرة هذا غلامك ؟ قلت هو لوجه الله فاعتقته .

وانظر الى احاديثه عن نفسه وهو في الصفة تجدها صريحة بانه انما كان من مساكينها المعدمين وقد استوطنها طيلة عمر النبي (ص) فكانت مثواه ليلاً ونهاراً إذ لم يكن له في المدينة عشيرة ولا منزل سواها ولم يكن عليه إلا نمرة يدب القمل عليها كان يربطها في عنقه فتبلغ ساقيه فيجمعها بيده لئلا تبدو عورته . وكان يصرعه الجوع فيخر مغشياً عليه بين المنبر والحجرة فمن اين له الدار التي ادعاها اواخر حياته ؟ في حديث حدث به في الشام عن نفسه وعن أمه اذ أسلمت بدعاء النبي (ص) لها وله (فيما زعم) .

وانظر إلى احتجاجه على مستنكري حديثه تجده متعرضاً متساقطاً كما فصلته في الأصل حتى انه في نفسه قد تبرع عنه لايضاح صحته وتنبيه العقول لسقمه — كما بيناه ثمة — وقد جاء فيه : ان أبا هريرة بسط نمرته لرسول الله فطفق (ص) يغرف العلم بيديه فيكيله في النمرة ثم يقول ضمه يسا أبا هريرة فيضمه الى صدره فيعصم بذلك من النسيان ويكون به احفظ الصحابة وأعلمهم بالسنة .

هذه حجته على مستنكري حديثه سخره الله بها حجة لخصومه عليه وبرهاناً قاطعاً على صحة ما نسبوه اليه وشوارد احاديثه التي كان يكيلها جزافاً ويحدث بها متنافرة متناكرة كثيرة الى الغاية لكن هذا القدر كاف لما اردناه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحسبك في أبي هريرة انه كان يحدث بما لم يره ولم يسمعه ويدعي

مع ذلك الرؤية والسماع كما ستسمعه في فصله الخاص به من الكتاب ، واليك الآن نموذجاً من ذلك تقيس عليه ما سواه .

قال أبو هريرة فيما صح عنه بالاجماع : دخلت على رقية بنت رسول الله زوجة عثمان وبيدها مشط فقالت : خرج رسول الله (ص) من عندي آنفاً رجلت شعره الحديث .

ومن المعلوم اجماعاً وقولاً واحداً أن رقية انما ماتت سنة ثلاث بعد فتح بدر ، وأبو هريرة انما أسلم سنة سبع بعد فتح خيبر فأين كان عن رقية ومشطها يا أولي الألباب ؟ .

واليك نموذجاً من حديثه الخارج على قواعد العلم المشتقة من صلب الدين ألا وهو قوله : بعثنا رسول الله (ص) في بعث فقال : ان وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار (قال) ثم قال لنا حين أردنا الخروج : اني أمرتكم أن تحرقوهما وان النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فان وجدتموهما فاقتلوهما ا ه .

وهذا من النسخ قبل حضور وقت العمل ، وهو محال على الله تعالى ورسوله (ص) .

ورب حديث له خارج على العقل كحديثه عن داود وقراءته القرآن بأجمعه في لحظة لا تسع اسراج الدابة كما سمعت .

وله أحاديث خيالية أوردنا منها ستة في ختام الأربعين من حديثه في الفصل ١١ لتكون نموذجاً لسائر ما كان من نوعها .

أما ما تزلف به الى بني أمية وأعوانهم أو الى الرأي العام في تلك الأيام فكثير أوردنا منه طائفة في الفصل ٥ والفصل ٧ والفصل ٩ وستجدها على

أنواعها مختلفة ، فأمعن فيها متحرراً متجرداً تجده جائعاً يريد أن يشبع من الحديث ، ويريد أن يُشبع خياله من الحياة كما يراها الرجل الجائع وهو — بعدئذ — يعترف انه موطىء الأقدام في عصر حقره وأجاعه ، ثم قذفه الى عصر أشبعه من أجل صناعة الأحاديث ، أفيجوز أن نجعله بعد كل هذا حجة ؟ نلقي اليه بازمة عقولنا وعقائدنا من غير نظر نختاره لهذه العقول والعقائد ؟ .

فان صح هذا عقلاً وشرعاً فليمض أبو هريرة ومن اليه في حرمهم الذي بنته السياسة ووضعته بين التقاليد والمواريث .

وان صح عماية التقاليد والمواريث منشأ لفرقة ، أو مثاراً لخلاف فلتبق حتى يأذن الصبح ، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

أبو هريرة

حدّث عن رسول الله (ص) فأكثر ، وروت عنه الصحاح الستة وسائر مسانيد الجمهور فأكثرت ، فلم يسعنا إزاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحث عن مصدرها ، لاتصالها بحياتنا الدينية والعقلية اتصالاً مباشراً . ولولا ذلك لتجاوزناها وتجاوزنا مصدرها الى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه .

لكن آسلات هذه الكثرة قد استفاضت في فروع الدين وأصوله فاحتج بها أهل المذاهب الأربعة ومتكلموهم من الأشاعرة وغيرهم في كثير من أحكام الله وشرائعه عز وجل ملقين اليها سلاح النظر والتفكير لذلك لم يكن بدُ من البحث عن هذا المكثر نفسه . وعن حديثه كماً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله عز وجل .

١

اسمه ونسبه.

كان أبو هريرة غامض الحسب. مغمور النسب، فاختلف الناس في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً. لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والاسلام[١] وإنما يعرف بكنيته. وينسب الى دوس. وهي قبيلة يمانية تفرعت عن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن مالك بن النضر بن الأزد بن الغوث.

أما أبوه: فقد قيل[٢] ان اسمه عمير وانه ابن عامر بن عبد ذي الشرى

(*) بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى.
وبعد: فيقول أضعف المؤمنين عملا، وأقواهم بعفو الله أملا، عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي: هذه تعليقة تضمن بيان مصادر الكتاب. ولا تدع شاردة عنه إلا ردتها اليه، فما أولى اولي البحث والتدقيق بتتبعها، والله سبحانه هو المرجو ان ينفع بها وبأصلها ويجعلها خالصين لوجهه الكريم إنه أرحم الراحمين.

(١) نص على هذا بعين لفظه أبو عمر بن عبد البر في ترجمة أبي هريرة من استيعابه، ومن راجع ترجمته في معاجم التراجم كالاستيعاب والاصابة واسد الغابة وطبقات ابن سعد وغيرها يجد غموض حسبه ونسبه محسوساً.

(٢) القائل بهذا محمد بن هشام بن السائب الكلبي فيما نقله عنه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته. وقواه ابو احمد الدمياطي فيما نقله عنه ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من اصابته.

ابن طريف بن غياث بن أبي صعب بن هينة بن سعد بن ثعلبة بن سُليم ابن فهم بن غنم بن دوس .

وامه أميمة ابنة صفيح بن الحارث بن شابى بن أبي صعب بن هنية ابن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس[1] .

وكني أبو هريرة بهرة صغيرة كان مغرماً بها[2] ولعل من غرامه بها حدث عن رسول الله (ص) : ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض[3] وردت عليه عائشة إذ بلغها حديثه هذا — كما ستسمعه ان شاء الله تعالى في محله من هذا الكتاب .

---

(١) هكذا ساق نسبها محمد بن سعد في ترجمة ابي هريرة ، وهي في ص ٥٢ وما بعدها من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته .

(٢) روى ابن قتيبة الدينوري (في ترجمة ابي هريرة ص ٩٣ من كتابه المعارف (ان ابا هريرة كان يقول : وكنيت بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت العب بها . واخرج ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من الطبقات بالاسناد اليه قال كنت ارعى غنماً وكانت لي هرة صغيرة فكنت إذا كان الليل وضعتها في شجرة فاذا اصبحت اخذتها فلعبت بها فكنوني ابا هريرة ، وكل من ترجم ذكر هذا أو نحوه واستمر في الاسلام على غرامه بالهرة والعبث بها حتى رآه النبي (ص) يحملها في كمه كما ذكره الفيروز آبادى في مادة الهرة من قاموسه المحيط .

(٣) اخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيحه واخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة ص ٢٦١ من الجزء الثاني من مسنده .

٢

نشأته واسلامه وصحبته

نشأ في مسقط رأسه (اليمن) وشب ثمة حتى أناف على الثلاثين[١] جاهلياً لا يستضيء بنور بصيرة، ولا يقدح بزناد فهم، صعلوكاً قد أخمله الدهر ويتيماً أزرى به الفقر. يخدم هذا وذاك. وتي وتلك مؤجراً نفسه بطعام بطنه[٢] حافياً عارياً. راضياً بهذا الهوان، مطمئناً اليه كل الاطمئنان.

لكن لما أظهر الله أمر نبيه (ص) في المدينة الطيبة بعد بدر وأحد والأحزاب وبعد اللتيا والتي. لم يكن لهذا البائس المسكين حينئذ مذهب عن باب رسول الله (ص) فهاجر اليه بعد فتح خيبر فبايعه على الاسلام وكان ذلك سنة سبع للهجرة باتفاق أهل الاخبار.

أما صحبته فقد صرح أبو هريرة — في حديث أخرجه البخاري[٣] — بأنها إنما كانت ثلاث سنين.

---

(١) قال ابو هريرة من حديث تجده في ترجمته من الإصابة وغيرها: قدمت ورسول الله بخيبر وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين.

(٢) كان ابو هريرة يحدث عن نفسه فيقول كما في ترجمته من الطبقات والإصابة وحلية الأولياء وغيرها: كنت اجيراً لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني اسوق بهم إذا ركبوا واخدمهم اذا نزلوا. وله كلام في هذا المعنى كثير سنورده في محله من الأصل.

(٣) في باب علامات النبوة في الاسلام ص ١٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه. وهو موجود في ترجمة ابي هريرة من الاصابة والطبقات.

٣

على عهد النبي

لما أسلم أبو هريرة انضوى بإسلامه الى مساكين الصفة[١] وهم — كما قال أبو الفداء في تاريخه المختصر — : اناس فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله (ص) في المسجد ويظلون فيه . وكانت صفة المسجد مثواهم فنسبوا اليها . وكان اذا تعشى رسول الله (ص) يدعو منهم طائفة يتعشون معه ، ويفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشوهم . قال : ومن مشاهيرهم أبو هريرة الى آخر كلامه[٢] .

وكان أبو هريرة — كما نص عليه أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء[٣] أشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي (ص) ولم ينتقل عنها . وكان عرّيف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين الى آخر كلامه .

وصف أبو هريرة نفسه فقال — كما في أول البيوع من صحيح

(١) قال ابن الأثير في مادة صفف من النهاية : أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه وكانوا يأوون الى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه .
(٢) فراجعة في آخر حياة النبي عند ذكر اصحابه .
(٣) ص ٣٧٦ من جزئها الاول حيث ترجم ابا هريرة .

البخاري — : وكنت امرءً مسكيناً من مساكين الصفة ، الحديث وهو طويل[1] .

قال : كما في باب نوم الرجال في المسجد من كتاب الصلاة من صحيح البخاري[2] — : رأيت سبعين من أصحاب الصفة[3] ما منهم رجل عليه رداء وإنما عليه أما إزار وأما كساء ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين . ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته ا هـ .

وفي صحيح البخاري من حديث طويل[4] عن أبي هريرة قال فيه : وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) بشبع بطنه .

وفيه أيضاً من طريق ابن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة من حديث[5] قال فيه : وكنت ألزم رسول الله (ص) على ملء بطني .

وحدّث عن نفسه في مقام آخر فقال[6] : كنت من أصحاب الصفة فظللت صائماً فأمسيت وأنا أشتكي بطني فانطلقت لأقضي حاجتي فجئت وقد أكل الطعام . وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لأهل الصفة فقلت : الى من أذهب ؟ فقيل لي : الى عمر بن الخطاب فأتيته وهو يسبح بعد

---

(١) فراجعه في الصفحة الاولى من الجزء الثاني من الصحيح .

(٢) ص ٦٠ من جزئه الاول .

(٣) السبعون من اصحاب الصفة قد استشهدوا بأجمعهم يوم بئر معونة قبل إسلام ابي هريرة ، وهذا الحديث نظير حديثه إذ قال : دخلت على رقية بنت رسول الله (ص) وفي يدها مشط ، مع ان رقية قد ماتت قبل مجيء ابي هريرة الى المدينة بزمان . وكم له من نظير هذا كما ستسمعه في محله من الاصل .

(٤) تجده في باب حفظ العلم من كتاب العلم ص ٢٤ من جزئه الاول واخرجه ايضاً غير واحد من حفظة الآثار كأبي نعيم في حليته .

(٥) هو الحديث الاول من كتاب البيوع في الصفحة الاولى من جزئه الثاني .

(٦) فيما اخرجه ابو نعيم في ترجمة ابي هريرة من الحلية ص ٣٧٨ من جزئها الاول .

الصلاة فانتظرته فلما انصرف دنوت منه ، فقلت : أقرئني وما أريد إلا الطعام ، قال : فاقرأني آيات من سورة آل عمران ، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب فأبطأ ، فقلت : ينزع ثيابه ، ثم يأمر لي بطعام ، فلم أر شيئاً ، فلما طال علي قمت فاستقبلني رسول الله (ص) فانطلقت معه حتى أتى بيته فدعا جارية له سوداء[1] فقال : آتينا بتلك القصعة ، قال : فأتتنا بقصعة فيها وضر[2] من طعام أراه شعيراً قد أكل وبقى في جوانبها بعضه وهو يسير فأكلت حتى شبعت اهـ .

وكثيراً ما كان يصف نفسه فيقول[3]: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه — من المسجد — فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر عمر بي فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل . ثم مر بي أبو القاسم (ص) فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي . ثم قال : أبا هر قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : إلحق ومضى فتبعته فدخل فأذن لي فدخلت فوجدنا لبناً في قدح ، فقال (ص) : من أين هذا اللبن ؟ قالوا أهداه لك فلان أو فلانة ، قال : أبا هر ، قلت : لبيك ، قال : إلحق الى أهل الصفة فادعهم لي ، قال : وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون الى أهل ولا على أحد ، وكان (ص) اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئاً ، واذا أتته هدية أشركهم فيها ، قال فساءني ذلك ، فقلت : وما

---

(١) ما عهدنا ولا سمعنا ان في بيت رسول الله (ص) جارية سوداء .

(٢) في النهاية وضر الصفحة دسمها واثر الطعام فيها .

(٣) كما في باب كيف كان يعيش النبي (ص) واصحابه من كتاب الرقاق ص ٨١ من الجزء الرابع من صحيح البخاري . . واخرجه ابو نعيم مختصراً في ترجمة ابي هريرة من حلية الأولياء .

هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أنا أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فاذا جاءوا أمرني أن أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم وأخذوا مجالسهم فقال (ص) : يا أبا هر خذ فاعطهم ، فاخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرده عليّ فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ولم أزل حتى انتهيت الى النبي (ص) وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح وتبسم إليّ فقال : أبا هر بقيت أنا وأنت ، قلت : صدقت يا رسول الله قال : اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، قال : اشرب فشربت ، فما زال يقول : اشرب ، حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال : فأرنيه ، فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[1] .

وفي صحيح البخاري[2] عن أبي هريرة قال : رأيتني واني لاخر فيما بين منبر رسول الله (ص) الى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى اني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع ا هـ .

وكان ذو الجناحين جعفر بن أبي طالب عليهما السلام كثير البر والإحسان والصدقة والعطف على البائسين ، فكان يطعم أبا هريرة من

(١) هذا الحديث اخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه وهو من أعلام النبوة — لو صح — فما ندري لم لم يروه غير ابي هريرة ؟ وهلا حدث بهذه الآية شركاء ابي هريرة في اللبن على الأقل ؟ ولا ندري هل كان ثمة مقتض للتحدي والاعجاز ؟ وموجب لخرق العادات ؟ فان مثل هذه الآية لا تكون إلا عند الاقتضاء ونحن نؤمن بآيات الله تعالى ومعجزات رسله ومع ذلك فان الظاهر ان هذا الحديث مما تزلف به ابو هريرة الى غوغاء الناس وعوامهم بعد وفاة كبراء الصحابة حيث لم يبق منهم من يخشاه .

(٢) راجع من جزئه الرابع ص ١٧٥ تجده في اواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

جوع فوالاه أبو هريرة وفضله – كما في ترجمة جعفر من الاصابة – على الناس بعد النبي كافة .

وقد روى البخاري[1] بالإسناد إلى أبي هريرة قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة على رسول الله (ص) واني كنت ألزمه بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير ولا يخدمني فلان وفلانة وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وكنت استقرىء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان اخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته الحديث[2].

وأخرج البغوي من طريق المقبري – كما في ترجمة جعفر من الاصابة – قال : كان جعفر بن أبي طالب يحب المساكين ويجلس اليهم ويخدمهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه فكان رسول الله (ص) يكنيه أبا المساكين[3] .

وأخرج الترمذي والنسائي بالسند الصحيح – كما في ترجمة جعفر من الإصابة أيضاً – عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا ركب

---

(١) في ص ١٩٧ من الجزء الثاني من صحيحه في باب مناقب جعفر واخرج نحوه ابو نعيم في ترجمة جعفر ١١٧ من الجزء الاول من حليته .

(٢) ونقل ابن عبد ربه الاندلسي – في فصل الجود مع الاقلال من الجزء الاول من عقده الفريد – عن ابي هريرة انه قال : تبعت جعفر بن ابي طالب ذات يوم وانا جائع فلما بلغ الباب التفت فرآني فقال لي : ادخل فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً إلا نحيا كان فيه سمن مرة ، فأنزله من رف لهم ، فشقه بين ايدينا ، فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت وهو يقول :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد

(٣) وهذا الحديث اخرجه ابو نعيم في ترجمة جعفر من حلية الاولياء ص ١١٧ من جزئها الاول من طريق المقبري عن ابي هريرة ايضاً .

المطايا ولا وطأ التراب بعد رسول الله (ص) أفضل من جعفر بن أبي طالب[1].

وما زالت الصفة موطن أبي هريرة الذي يطمئن اليه ليلاً ونهاراً، لا يأوي إلى ما سواها حتى ارتحل النبي (ص) من هذه الدار الفانية ولحق بالرفيق الأعلى وقبل ذلك لم يقم أبو هريرة بشيء يعود عليه بشبع بطنه سوى القعود في طريق المارة ينتزع اليهم بجوعه. لا تحفزه مهمة. ولا يذكر في حرب ولا في سلم، بلى ذكروا انه فرّ من الزحف يوم مؤتة[2].

وزعم انه كان في البعث الذي بعثه رسول الله (ص) مع علي ببراءة الى مكة وأنه نادى يوم الحج الأكبر حتى صحل صوته، وله في ذلك حديثان متناقضان متساقطان كما ستقف عليه في محله إن شاء الله تعالى.

وزعم أن النبي (ص) وكله بحفظ زكاة رمضان في حديث طويل[3] سنورده في الأباطيل.

---

(١) راجع ص ٤٢ من الجزء الثالث من المستدرك تجد ابا هريرة يعير بذلك فلا يدري اي شيء يقول لمن عيره.

(٢) اخرجه البخاري في كتاب الوكالة ص ٢٩ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) حين مات الوالي عليها من قبل رسول الله (ص) وابي بكر وعمر وهو العلاء ابن الحضرمي.

٤

على عهد الخليفتين

ألممنا بأخبار الخليفتين ، واستقرأنا ما كان على عهدهما ، فلم نجد لأبي هريرة ثمة أثراً يذكر ، سوى ان عمر بعثه والياً على البحرين سنة إحدى وعشرين[1] . فلما كانت سنة ثلاث وعشرين عزله وولى عثمان ابن أبي العاص الثقفي[2] ، ولم يكتف بعزله حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف زعم انه سرقها من مال الله في قضية مستفيضة ، وحسبك منها ما ذكره ابن عبد ربه المالكي (فيما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم من أوائل الجزء الأول من عقده الفريد) إذ قال – وقد ذكر عمر – : ثم دعا أبا هريرة . فقال له : علمت اني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين . ثم بلغني انك ابتعت افراساً بألف دينار وستماية دينار . قال : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت . قال : حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله وأوجع ظهرك ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه ثم قال : ائت بها ، قال :

(١) وهذا الحديث اورده ابن عبد البر في ترجمة جعفر من الاستيعاب .
(٢) كما هو ثابت لدى اهل الأخبار ومصرح به في عدة حوادث تلك السنة من تاريخ ابن الأثير وغيره .

احتسبها عند الله ، قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً ، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين ؟ ما رجعت[1] بك اميمة إلا لرعية الحمر .

قال ابن عبد ربه : وفي حديث أبي هريرة : لما عزلني عمر عن البحرين قال لي : يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله ؟ قال فقلت : ما أنا عدو الله وعدو كتابه ولكني عدو من عاداك وما سرقت مال الله ، قال : فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف ؟ قال فقلت : خيل تناتجت ، وعطايا تلاحقت ، وسهام تتابعت قال : فقبضها مني فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين الحديث ، وقد أورده ابن أبي الحديد إذ ألم بشيء من سيرة عمر في المجلد الثالث من شرح النهج[2] وأخرجه ابن سعد في ترجمة أبي هريرة من طبقاته الكبرى[3] من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال لي عمر : يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله الى آخر الحديث . وأورده ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبي هريرة من اصابته فحوّره عطفاً على أبي هريرة تحويراً خالف فيه الحقيقة الثابتة باتفاق أهل العلم ، وذهل عما يستلزمه ذلك التحوير من الطعن بمن ضرب ظهره فأدماه وأخذ ماله وعزله .

---

(١) الرجع والرجيع العذرة والروث سميا رجيعاً لانهما رجعا من حالتهما الاولى بعد ان كانا طعاماً وعلفاً ، واميمة ام ابي هريرة ، وكلمة الخليفة هذه من افظع كلمات الشتم .

(٢) ص ١٠٤ طبع مصر .

(٣) ص ٩٠ من قسمها الثاني من جزئها الرابع .

٥

على عهد عثمان

أخلص أبو هريرة لآل أبي العاص وسائر بني أمية على عهد عثمان واتصل بمروان وتزلف الى آل أبي معيط ، فكان له بسبب ذلك شأن ، ولا سيما بعد يوم الدار إذ حوصر عثمان فكان أبو هريرة معه . وبهذا نال نضارة بعد الذبول ونباهة بعد الخمول .

سنحت له في تلك الفتنة فرصة الانضواء الى الدار فأسدى بها الى آل أبي العاص وغيرهم من الأمويين يداً كان لها أثرها عندهم وعند أعوانهم ومقوية سلطانهم ، فنضوا عنه دثار الخمول ، وأشادوا بذكره ، على أنه لم يخف عليهم كونه ما استسلم الى الحصار ولا دخل الدار إلا بعد أن كف الخليفة أيدي أوليائه عن القتال وأمرهم بالسكينة . كما قال بعض معاصريه في رثائه :

فكف يديه ثم أغلق بابـــه وأيقن أن الله ليس بغافـــل
وقال لأهل الدار لا تقتلونـه عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

وإنما فعل ذلك احتياطاً على نفسه واحتفاظاً بأصحابه . وكان أبو هريرة على علم بأن الثائرين لا يطلبون إلا عثمان ومروان . وهذا ما شجعه على أن يكون في المحصورين .

ومهما يكن فقد اختلس الرجل هذه الفرصة فربحت صفقته وراجت سلعته ، وأكب بعدها بنو أمية وأولياؤهم على السماع منه . فلم يألوا جهداً في نشر حديثه ، والاحتجاج به ، وكان ينزل فيه على ما يرغبون .

وكان مما حدثهم به عن رسول الله (ص) إن لكل نبي خليلاً من أمته وان خليلي عثمان[١] .

وقال[٢] : سمعت رسول الله (ص) يقول : عثمان حيي تستحي منه الملائكة .

ورووا عنه مرفوعاً : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان[٣] .

ورووا عنه مرفوعاً أيضاً : أتاني جبرئيل فقال لي : إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية الحديث[٤] .

وقال : دخلت على رقية بنت رسول الله (ص) امرأة عثمان وبيدها مشط فقالت خرج رسول الله (ص) من عندي آنفاً رجلت شعره

---

(١) اهل العلم كافة متصافقون على بطلان هذا الحديث، لكن اولياء ابي هريرة يحيلون الآفة به على اسحاق بن نجيح الملطي احد رجال سنده الى ابي هريرة ، وقد اورده الذهبي في ترجمة اسحاق من ميزان الاعتدال جازماً ببطلانه .

(٢) فيما أخرجه ابن كثير عند ذكر فضائل عثمان في حوادث سنة ٣٥ ص ٢٠٣ من الجزء السابع من كتابه « البداية والنهاية » .

(٣) هذا الحديث باطل بالاجماع ، وأولياء أبي هريرة يحيلون الآفة فيه على عثمان بن خالد ابن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان أحد سلسلة سنده المتصلة بأبي هريرة، وقد أورده الذهبي في ترجمة عثمان بن خالد المذكور من ميزان الاعتدال وعده من منكراته .

(٤) اخرجه ابن مندة وقال : غريب تفرد به محمد بن عثمان بن خالد العثماني اهـ «قلت» : وقد نقل هذا الحديث ابن حجر العسقلاني في آخر ترجمة السيدة ام كلثوم عليها السلام من الجزء الرابع من الاصابة ، وذكر انه غريب ، وانه تفرد به محمد بن عثمان بن خالد العثماني فراجع .

فقال لي : كيف تجدين أبا عبد الله (عثمان) ؟ قلت : بخير . قال أكرميه ، فانه من أشبه أصحابي بي خلقاً[1] .

وربما حرف الكلم عن مواضعه ، كما فعل في الصحيح الثابت عن رسول الله (ص) من قوله : ستكون بعدي فتنة واختلاف . قالوا فما تأمرنا عند ذلك يا رسول الله ؟ قال (ص) — وقد أشار الى علي — : عليكم بالأمير وأصحابه .

لكن أبا هريرة آثر التزلف الى آل أبي العاص وآل معيط وآل أبي سفيان فروى لهم ان النبي (ص) أشار في هذا الحديث الى عثمان[2] وقد

(١) سنورد هذا الحديث في اول الفصل ١٣ فراجعه ثمة واعجب .

(٢) ولذا اخرجه الحاكم عن ابي هريرة في فضائل عثمان اول ص ٩٩ من الجزء ٣ من المستدرك .

والحق يوجب ذكره في فضائل علي ، نظير قول النبي (ص) : تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا واصحابه على الحق ، واشار الى علي ، اخرجه الطبراني عن كعب بن عجزة ، وهو الحديث ٢٦٣٥ من الجزء ٦ من كنز العمال ، وقوله (ص) — ستكون بعدي فتنة فالزموا فيها علي بن ابي طالب فانه اول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الامة الحديث ، اخرجه ابو احمد وابن مندة وغيرهما عن ابي ليلى الغفاري ، ونقله في ترجمة ابي ليلى كل من ابن عبد البر في استيعابه وابن حجر في اصابته وغيرهما ، وقوله (ص) : يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس انه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من الهدى الحديث ، اخرجه الديلمي عن كل من عمار وابي ايوب وهو الحديث ٢٥٩ في آخر ص ١٥٥ من الجزء ٦ من كنز العمال وقوله (ص) : يا ابا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حق على الله جهادهم الحديث اخرجه الطبراني في الكبير عن محمد بن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده وهو الحديث ٢٥٨٩ من الجزء ٦ من الكنز الى كثير من امثال هذه النصوص التي لا يسعنا الآن استقصاؤها ، وحسبك قوله (ص) : إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم ابو بكر وعمر ، فقال ابو بكر انا هو ؟ قال=

حفظوا له هذا الصنع . كما ستقف عليه في الفصل ٨ من هذا الإملاء ان شاء الله تعالى .

= لا ، قال عمر : انا هو ؟ قال : لا ولكنه خاصف النعل الحديث ، اخرجه الحاكم في آخر ص ١٢٢ من الجزء ٣ من المستدرك وصححه على شرط الشيخين واورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرطهما واخرجه احمد من حديث ابي سعيد في ص ٣٣ وص ٨٢ من الجزء ٣ من المسند ورواه الحافظ ابو نعيم في ترجمة علي ص ٦٧ من الجزء الاول من حليته واخرجه ابو يعلى في السنن وسعيد بن منصور في سننه وهو الحديث ٢٥٨٥ في ص ١٥٥ من الجزء ٦ من الكنز ، والاحاديث في وجوب قتال الناكثين والقاسطين والمارقين متظافرة ، واخباره (ص) بوقوع الفتن من بعده متواترة وهي من اعلام النبوة وكلها صريح بوجوب اتباع علي ، فحديث ابي هريرة الذي اخرجه الحاكم من جملتها بلا ريب ، ويؤيد ذلك ان النبي (ص) لم يطلق الأمير على غير علي ابداً ، اما علي فقد نال منه هذا الوسام ، وحسبك قوله (ص) لأنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين وسيد الوصيين ، الحديث ، اخرجة الحافظ الاصفهاني في ترجمة علي من الجزء الاول من حلية الاولياء ، وقد امر (ص) ان يسلموا على علي بالامرة كما هو ثابت من طرق العترة الطاهرة ، والمقام لا يسع التفصيل .

٦

على عهد علي

خفت صوت أبي هريرة على عهد أمير المؤمنين . واحتبى برد الخمول وكاد أن يرجع الى سيرته الاولى . حيث كان هيان بن بيان وصلعمة بن قلعمة قعد عن نصرة أمير المؤمنين فلم ينضو الى لوائه ، بل كان وجهه ونصيحته الى أعدائه .

وقد أرسله معاوية مع النعمان بن بشير – وكانا عنده في الشام – الى علي « ع » يسألانه أن يدفع قتلة عثمان الى معاوية ليقيدهم بعثمان ، وقد أراد معاوية بهذا أن يرجعا من عند علي الى الشام وهما لمعاوية عاذران ولعلي لائمان ، علماً من معاوية أن علياً لا يدفع قتلة عثمان اليه ، فأراد ان يكون النعمان وأبو هريرة شاهدين له عند أهل الشام بذلك ، وان يظهرا للناس عذر معاوية في قتال علي .

فقال لهما ائتيا علياً فأنشداه الله لما دفع الينا قتلة عثمان ، فانه قد آواهم ، ثم لا حرب بيننا وبينه ، فان أبى فكونوا شهداء الله عليه ، واقبلا على الناس فاعلماهم بذلك.فأتيا علياً فدخلا عليه،فقال له أبو هريرة: يا أبا حسن ان الله قد جعل لك في الاسلام فضلاً وشرفاً ، فأنت ابن عم محمد

رسول الله (ص) وقد بعثنا اليك ابن عمك يسألك امراً تسكن به هذه الحرب، ويصلح الله به ذات البين أن تدفع اليه قتلة ابن عمه عثمان فيقتلهم به ويجمع الله تعالى امرك وامره ويصلح بينكم وتسلم هذه الامة من الفتنة والفرقة، ثم تكلم النعمان بنحو من هذا فقال لها: دعا الكلام في هذا، حدثني عنك يا نعمان، هل أنت أهدى قومك سبيلاً؟ — يعني الأنصار — قال: لا. قال فكل قومك قد اتبعني إلا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ؟ قال النعمان: أصلحك الله إنما جئت لأكون معك وألزمك، وقد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام، ورجوت أن يكون لي موقف اجتمع فيه معك. وطمعت ان يجري الله تعالى بينكما صلحاً فاذا كان رأيك غير ذلك فانا ملازمك وكائن معك.

قال حفظة الآثار: أما أبو هريرة فلم يكلمه أمير المؤمنين فانصرف الى الشام فأخبر معاوية بالخبر فأمره معاوية أن يعلم الناس ففعل ذلك وعمل اعمالاً ترضي معاوية.

وأقام النعمان بعده عند علي ثم خرج فاراً الى الشام فأخبر أهلها بما لقي الى آخر ما كان من هذه الواقعة[1].

وحين جد الجد، وحمي وطيس الحرب، ورد على أبي هريرة من الهول ما هزم فؤاده وزلزل أقدامه، وكان في أول تلك الفتنة لا يشك

(١) وقد ذكرها ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات، ونقلها البحاثة المعتزلي في ص ٢١٣ من المجلد الاول من شرح نهج البلاغة فليراجعها من اراد التفصيل ليعرف سوء نوايا معاوية وسوء منقلب النعمان في هذه الواقعة وإنما اعرض امير المؤمنين عن ابي هريرة فلم يكلمه لكونه لم يره اهلا لتزلفه بدينه الى معاوية، وعلم امير المؤمنين ما اراده معاوية من المكائد إذ ارسلها اليه يطلبان منه قتلة عثمان فلم يجبهما بشيء لا سلباً ولا إيجاباً بل اعرض عن طلبهما، وتكلم مع النعمان في موضوع آخر وهذا من قوته في سياسته عليه السلام.

بأن العاقبة ستكون لعلي ، فضرب الأرض بذقنه ، قابعاً في زوايا الخمول يثبط الناس عن نصرة أمير المؤمنين بما يحدثهم به سراً وكان مما قاله يومئذ : سمعت رسول الله (ص) يقول : ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي . ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به[1] .

ولم يزل كذلك حتى خرجت الخوارج على أمير المؤمنين واختلف الناس عليه في العراق واستفحل أمر معاوية باستيلائه على مصر وقتله محمد ابن أبي بكر وعيثه في بلاد أمير المؤمنين ، وشنه الغارات عليها ، وبعثه بسراً في ثلاثة آلاف الى الحجاز واليمن عيثاً في الأرض وفساداً ، وتنكيلاً بعباد الله وتقتيلاً ، وتحريقاً لهم وتمزيقاً ، وانتهاكاً لحرمات الله ، وهتكاً لامائه ، وسبياً لذراري المؤمنين من عباده ، وعبرة للناظرين ، ومثلاً واحدوثة في الغابرين .

وفي ختام هذه الفظائع أخذ البيعة لمعاوية من أهل الحجاز واليمن عامة[1] فعندها باح أبو هريرة بما في صدره ، واستراح الى بسر بن ارطاة بمكنون سره فوجد بسر منه اخلاصاً لمعاوية ، ونصحاً في أخذ البيعة له من الناس ، فولاه على المدينة [2] حين انصرف عنها وأمر أهلها بطاعته ولم يزل بعدها يصلي بهم ويرى لنفسه الولاية عليهم حتى جاءهم جارية بن قدامة السعدي

---

(١) اخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في ص ٢٨٢ من الجزء الثاني من مسنده . وهو من الأباطيل بدليل قوله تعالى : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) .

(٢) من اراد الوقوف على تفصيل هذه الفظائع والفجائع فعليه بص ١١٦ حتى ص ١٢١ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي على ان كل من ارخ حوادث سنة الأربعين ذكرها كابن جرير وابن الأثير وغيرهما وهي من القضايا الثابتة من افعال معاوية ثبوت وقعتي الحرة والطف من ولده يزيد .

(٣) كما نص عليه ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات ، ونقله ابن ابي الحديد في اواخر صفحة : ١٢٨ من المجلد الأول من شرح النهج .

من قبل أمير المؤمنين في الفي فارس وأبو هريرة يصلي في الناس ، فهرب من وجهه ، فقال جارية[1] : لو وجدت أبا سنور لقتلته .

وبلغ جارية — وهو في الحجاز — استشهاد أمير المؤمنين في الكوفة فأخذ البيعة من أهل المدينة للإمام السبط أبي محمد الحسن الزكي المجتبى (ع) ثم عاد الى الكوفة فرجع أبو هريرة يصلي بالناس[2] واستفحل بعدها أمره حيث انتهى الأمر الى معاوية .

---

(١) كما نص عليه ابن الاثير عند ذكر سرية بسر الى الحجاز واليمن سنة ٤٠ فراجع ص ١٥٣ من الجزء الثالث من تاريخه الكامل .

(٢) كما في الصفحة المتقدمة الذكر من كامل ابن الأثير .

٧

على عهد معاويـــة

نزل أبو هريرة أيام معاوية الى جناب مريع ، وانزل آماله منه منزل صدق لذلك نزل في كثير من الحديث على رغائبه ، فحدث الناس في فضل معاوية وغيره أحاديث عجيبة .

وقد كثر وضع الحديث في تلك الدولة حسبما اقتضته دعايتها ، واوجبته سياستها في نكاية الهاشميين ، وكثرت الكذابة يومئذ على رسول الله كما أنذر به (ص) وتطوروا فيما اختلقوه من الحديث حسبما أوحي اليهم وكان أبو هريرة في الرعيل الأول من هؤلاء ، فحدث الناس في الفضائل أحاديث منكرة ، فمنها ما أخرجه ابن عساكر بطريقين وابن عدي بطريقين ومحمد ابن عائذ بطريق خامس ومحمد بن عبد السمرقندي بطريق سادس ومحمد ابن مبارك الصوري بطريق سابع والخطيب البغدادي بطريق ثامن كلهم عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ان الله ائتمن على وحيه ثلاثة أنا وجبرئيل ومعاوية ؟ !

ومنها ما أخرجه الخطيب بالإسناد إلى أبي هريرة قال : ناول النبي (ص) معاوية سهماً فقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة !

ومنها : ما أخرجه أبو العباس الوليد بن أحمد الزوزني في كتابه

ـ شجرة العقل ـ من طريقين الى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول ان لأبي بكر قبة من درة بيضاء لها أربعة أبواب تخترقها رياح الرحمة ظاهرها عفو الله وباطنها رضوان الله كلما اشتاق الى الله انفتح له مصراع ينظر منه الى الله عز وجل.

ومنها: ما أخرجه ابن حبان بالإسناد إلى أبي هريرة قال: لما قدم رسول الله (ص) من الغار يريد المدينة أخذ أبو بكر بغرزه فقال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ ان الله تعالى يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة!

ومنها: ما اخرجه ابن حبان أيضاً بالإسناد الى أبي هريرة قال: بينا جبرائيل مع النبي (ص) إذ مر بهما أبو بكر فقال جبرائيل: هذا أبو بكر الصديق قال رسول الله (ص): أتعرفه يا جبرئيل؟ قال: نعم انه في السماء لأشهر منه في الأرض، وان الملائكة لتسميه حليم قريش وانه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد مماتك.

ومنها: ما أخرجه الخطيب بالإسناد الى أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) تباشرت الملائكة يوم ولد أبو بكر الصديق واطلع الله الى جنة عدن فقال وعزتي وجلالي لا أدخلها إلا من أحب هذا المولود.

ومنها: ما اخرجه ابن عدي بالإسناد الى أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: عرج بي الى السماء فما مررت بسماء إلا وجدت مكتوباً فيها محمد رسول الله أبو بكر الصديق الحديث[1].

ومنها: ما أخرجه أبو الفرج ابن الجوزي بالإسناد الى أبي هريرة قال: حدثني رسول الله (ص) بأن الجنة والنار تفاخرتا فقالت النار للجنة

(١) واخرجه الخطيب في ترجمة محمد بن عبد الله المهري ص ٤٤٥ من المجلد الخامس من تاريخ بغداد.

أنا أعظم منك قدراً ، لأن فيّ الفراعنة والجبابرة والملوك وأبناؤهم ، فأوحى الله الى الجنة أن قولي : بل لي الفضل إذ زينني الله لأبي بكر .

ومنها : ما أخرجه الخطيب بالإسناد الى أبي هريرة قال : خرج النبي (ص) متكئاً على علي بن أبي طالب فاستقبله أبو بكر وعمر فقال يا علي أتحب هذين الشيخين ؟ قال : نعم ، قال : أحببهما تدخل الجنة ! ! .

ومنها : ما أخرجه الخطيب أيضاً في تاريخ بغداد وابن شاهين في سننه من طريقين الى أبي هريرة قال : سمعت رسول الله يقول : ان في السماء الدنيا ثمانين الف ملك يستغفرون لمن أحب أبا بكر وعمر ، وفي السماء الثانية ثمانين الف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر .

ومنها : ما أخرجه الخطيب بالإسناد الى أبي هريرة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ان لله تعالى في السماء سبعين الف ملك يلعنون من شتم أبا بكر وعمر .

وهذه الأحاديث كلها باطلة اجماعاً وقولاً واحداً صرح بذلك كل من أخرجها ممن ذكرناهم .

والسيوطي نظمها بأسانيدها ومتونها في سالك الأحاديث الموضوعة من لآليه المصنوعة غير أنهم لم يجعلوا الآفة فيها من أبي هريرة نفسه وإنما جعلوها ممن نقلها عنه عملاً برأيهم في كل من رأى النبي (ص) وروى عنه من المسلمين .

وكذلك فعلوا في سائر ما صنعته يدا أبي هريرة مما ضاق به ذرعهم نحو قوله : سمعت رسول الله (ص) يقول : هذا جبرائيل يخبرني عن

الله ما أحب أبا بكر وعمر الا مؤمن تقي ولا أبغضهما إلا منافق شقي[1] .

وقوله : قال رسول الله (ص) خلقني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق امتي من نور عمر وعمر سراج أهل الجنة[2] .

وقوله : سمعت رسول الله (ص) يقول : أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين[3] .

وقوله : ان النبي (ص) كان يقول : أصحابي كالنجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى[4].

وقوله : قال رسول الله (ص) : انزل في الانجيل نعتي ونعت أصحابي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كزرع أخرج شطأه الآية[5] .

إلى آخر ما كان يسترسل به من هذه المختلقات ، وله في صحيحي البخاري ومسلم أحاديث أفرغها على هذا القالب ، وحاكها على هذا المنوال فراجعها في الفصل ١١ من هذا الإملاء .

---

(١) ان هذا الحديث معدود في الاباطيل باجماع اهل العلم وقد ذكره الذهبي في ترجمة ابراهيم ابن مالك الانصاري من ميزان الاعتدال فابطله وخسرت صفقة من اراد ان يعارض الحق بالباطل .

(٢) وهذا كسابقه باطل بالاجماع، وقد ذكره الذهبي في ترجمة احمد السمرقندي من الميزان . فراجعه تعلم انه باطل مخالف لكتاب الله وخسر هنالك المبطلون الذين يريدون معارضة الحق الواضح بالباطل الفاضح .

(٣) وهذا كسابقيه في البطلان . وقد ذكره الذهبي في ترجمة جبرون بن واقد الافريقي من الميزان فارسل بطلانه ارسال المسلمات .

(٤) نقله الذهبي في ترجمة جعفر بن عبد الواحد القاضي من ميزانه ونص ثمة على انه من بلاياه .

(٥) تجد هذا الحديث في ترجمة محمد بن موسى بن عطاء الدمياطي من ميزان الذهبي وتجد ثمة بطلانه لكن الجمهور يحيلون البلاء في اباطيل ابي هريرة على الرواة عنه .

٨

أيادي بني امية عليه

تتمثل لك نعمهم عليه إذا أنعمت النظر في حاليه ، حاله قبل دولتهم حيث كان ذليلاً مهيناً ينظر الى القمل يدب على نمرته[١] وحاله على عهدهم حيث أخذوا بظبعيه وأطلقوا عنه ربقة الخمول فكسوه الخز[٢] والساج وجعلوه يزر أزراره بالديباج[٣] وألبسوه الكتان المشيق[٤] وبنوا له القصر

(١) هذا مأخوذ من قول ابي هريرة : فنزعت نمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه (ص) حتى كأني انظر الى القمل يدب عليها . الحديث اخرجه ابو نعيم في أحوال ابي هريرة ص ٣٨١ من الجزء الاول من حليته .

(٢) اخرج ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من طبقاته عن وهب بن كيسان وعن قتادة والمغيرة ان ابا هريرة كان يلبس الخز .

(٣) هو الطيلسان الأخضر ، وقيل الاسود ، وقيل المقور ينسج كذلك ، وفي الاساس لبسوا السيجان وهي الطيالسة المدورة الواسعة ، وقد جاء في ترجمة ابي هريرة من طبقات ابن سعد عن سعيد قال : رأيت على ابي هريرة ساجاً مزروراً بديباج .

(٤) اخرج البخاري في صفحة ١٧٥ من الجزء الرابع من صحيحه في اواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عن محمد بن سيرين قال : كنا عند ابي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان .

في العقيق[1] وطوقوه ببرهم ، وناطوا نعمهم قلائد في عنقه ، واذاعوا ذكره ، ونوهوا باسمه ، وولوه على المدينة الطيبة مدينة النبي[2] وانكحوه أيام ولايته عليها بسرة بن غزوان بن جابر بن وهب المازنية اخت الأمير عتبة بن غزوان[3] وما كان ليحلم بذلك ، ولا ليسنح في امانيه ، وقد كان يخدمها بطعام بطنه ، ويكادح في خدمتها حافياً :

قال مضارب بن جزء[4] : كنت أسير في الليل فاذا رجل يكبر فلحقته فاذا هو أبو هريرة ، فقلت : ما هذا ؟ . قال : أشكر الله على ان كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها فأنا الآن أركب ، فاذا نزلت خدمتني « قال » وكانت إذا أتت على مكان سهل نزلت فقالت : لا أريم حتى تجعل لي عصيدة ، فها انا ذا إذا أتيت على نحو من مكانها قلت لها : لا اريم حتى تجعلي لي عصيدة[5] .

وكان كثيراً ما يقول — وهو أمير المدينة — : نشأت يتيماً ، وهاجرت

---

(١) وفيه مات كما هو منصوص عليه في كل من اصابة ابن حجر ومعارف ابن قتيبة وطبقات ابن سعد اثناء ترجمتهم اياه .

(٢) فيما اخرجه الامام احمد في ص ٤٣٠ من الجزء الثاني من مسنده عن محمد بن زياد واخرجه ابن قتيبة في ترجمة ابي هريرة من معارفه عن ابي رافع . واورده الامام ابو جعفر الاسكافي كما في ص ٣٥٩ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي طبع مصر .

(٣) هو حليف بني عبد شمس الذي ولاه عمر (رض) في الفتوح فاختط البصرة وكان اميرها ، وفتح فتوحاً وهو من مشاهير الصحابة والابطال مات على عهد عمر ، وإنما تزوج ابو هريرة اخته بعد موته بزمان ،وقد ذكر ابن حجر العسقلاني بسرة هذه في القسم الاول من الاصابة وذكر قصة ابي هريرة معها فقال : وكانت قد استأجرته في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك لما كان مروان يستخلفه في امرة المدينة على عهد معاوية .

(٤) فيما أخرجه أبو العباس السراج في تاريخه بسند صحيح ونقله العسقلاني في ترجمة ابي هريرة من اصابته .

(٥) أخرجه ابن خزيمة ، ونقله ابن حجر في ترجمة ابي هريرة من الاصابة .

مسكيناً ، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، وعقبة رجلي ، فكنت اخدم إذا نزلوا ، وأحدو إذا ركبوا فزوجنيها الله ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة إماماً[١] .

وقال مرة : اكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي قال : فكانت تكلفني ان أركب قائماً ، واورد حافياً ، فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله فكلفتها أن تركب قائمة وان تورد حافية[٢] ! !

وصلى بالناس يوماً فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواماً ، وجعل أبا هريرة اماماً ، بعد أن كان اجيراً لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله[٣] .

وقام مرة على منبر رسول الله (ص) وهو أمير المدينة فقال : الحمد لله الذي أطعمني الخمير ، وألبسني الحرير ، وزوجني بنت غزوان بعدما كنت أجيراً لها بطعام بطني ، فأرحلتني فأرحلتها كما ارحلتني الحديث[٤] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في اوائل ترجمة ابي هريرة ص ٥٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات .

(٢) أخرج ابن سعد هذا الحديث في أوائل الصفحة الآنفة الذكر .

(٣) أخرجه ابو نعيم الاصفهاني في ترجمة ابي هريرة آخر ص ٣٧٩ من الجزء الاول من حليته .

(٤) اخرجه ابو نعيم في احوال ابي هريرة ص ٣٨٤ من الجزء الاول من الحلية .

٩

تطوره في شكر أياديهم

استعبد بنو أمية أبا هريرة ببرهم ، فملكوا قياده ، واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فاذا هو لسان دعايتهم في سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه اهواؤهم فتارة يفتئت الأحاديث في فضائلهم ، كما سمعته في الفصل الخامس والفصل السابع[١] من هذا الاملاء .

وتارة يلفق أحاديث في فضائل الخليفتين نزولاً على رغائب معاوية وفئته الباغية ، إذ كانت لهم مقاصد سياسية ضد الوصي وآل النبي لا تتسق لهم — فيما كانوا يظنون — إلا بالإشادة بتفضيل الخليفتين ، فافتأت في ذلك أحاديث أوردنا بعضها في الفصل السابع من املائنا هذا .

وحسبك مما لم نورده ثمة حديثه في تأمير أبي بكر على الحج سنة براءة — وهي سنة تسع للهجرة — وحديثه في ان عمر كان محدثاً تكلمه الملائكة .

وقد اقتضت سياسة الأمويين في نكاية الهاشميين تثبيت هذين الحديثين واذاعتهما بكل ما لمعاوية وأعوانه ، ومقوية سلطانه من وسيلة أو حيلة ، فبلغوا في ذلك ما شاء حولهم وطولهم حتى أخرجتها الصحاح ، وستسمعها

(١) الفصل الخامس يتعلق بأحواله على عهد عثمان ، والسابع يتعلق بأحواله على عهد معاوية .

في الفصل ١١ حيث نوردهما ونبسط القول فيهما على ما يوجبه العلم، وتقتضيه قواعده ان شاء الله تعالى.

وتارة يقتضب أحاديث ضد أمير المؤمنين جرياً على مقتضى تلك السياسة كقوله: سمعت رسول الله (ص) يقول: لم تحبس الشمس أو ترد لأحد الا ليوشع بن نون ليالي سار الى بيت المقدس اه[1].

وقوله: قام رسول الله (ص) حين أنزل الله عليه: «وأنذر عشيرتك الأقربين» فقال: يا معشر قريش الحديث، بتره أبو هريرة فلم يعج على نصه الصريح تحريفاً للكلم عن مواضعه جرياً على مقتضيات السياسة الأموية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله: إن رسول الله (ص) قال: لا يقتسم ورثتي ما تركت. الحديث.

وقوله: قال رسول الله (ص) لعمه أبي طالب: قل لا إله إلا الله الحديث وآخره فأنزل الله تعالى «انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء»[2] الى كثير من المختلقات التي أريد بها نكاية الوصي وأهل بيت النبي.

قال الإمام أبو جعفر الإسكافي[3]: إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه،

(١) اخرجه الخطيب في ترجمة اسود بن عامر ص ٣٥ من المجلد السابع من تاريخ بغداد، وفي ترجمة سعيد بن عثمان الحناط ص ٩٩ من المجلد التاسع عن ابي هريرة.

(٢) سنفصل القول في هذه الأحاديث الثلاثة، حيث نوردها من الفصل ١١ من هذا الاملاء فراجع.

(٣) كما في صفحه ٣٥٨ من المجلد الأول من شرح نهج البلاغة الحميدي.

منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة ابن الزبير الى آخر كلامه .

وقال[1] : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء الى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً ! ! وقال : يا أهل العراق أتزعمون اني أكذب على الله ورسوله واحرق نفسي بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول : ان لكل نبي حرماً وان المدينة حرمي فمن احدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين « قال » وأشهد بالله ان علياً احدث فيها ! ! فلما بلغ معاوية قوله أجازه واكرمه وولاه إمارة المدينة اهـ[2] .

وتارة يرتجل أحاديث يدافع بها عن منافقي بني أمية الذين لعنهم رسول الله (ص) في كثير من مواقفه ليسجل عليهم بذلك خزياً يأمن به على الدين من نفاقهم وعلى الامة من عيثهم « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

لكن أبا هريرة تزلف الى مروان ومعاوية وأوليائهما فأنشأ يقول :

سمعت رسول الله (ص) يقول : اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة .

وقد عمل مروان وبنوه في تعداد أسانيده وتكثير طرقه اعمالاً جبارة

(١) كما في ص ٣٥٩ من المجلد المذكور من شرح النهج .

(٢) وروى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار ان ابا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس اليه فجاءه شاب من الكوفة – لعله الاصبغ بن نباتة – فجلس اليه فقال : يا ابا هريرة انشدك بالله اسمعت رسول الله (ص) يقول لعلي بن ابي طالب : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال : اللهم نعم قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه وانصرف .

لم يألوا فيها جهداً ، ولم يدخروا وسعاً ، حتى اخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد .

ولمروان وبنيه في رفع مستوى أبي هريرة وتفضيله على من سواه في الحفظ والضبط والاتقان والورع أعمال كان لها أثرها الى يومنا هذا .

فمنها : ان مروان كان يزعم انه أجلس كاتبه في مكان لا يراه فيه أحد ، ثم دعا أبا هريرة فجعل يسأله عن أشياء وأكثر في سؤاله وأبو هريرة يحدثه في الجواب عن رسول الله وكاتب مروان — واسمه زعيزعة[1] — يكتب من حيث لا يشعر به أحد أبداً فكتب أحاديث جمة ثم أمهله مروان حولاً كاملاً فسأله تلك المسائل كلها ، فأجابه أبو هريرة تلك الأجوبة بألفاظها لم ينقص ولم يزد وأذاع مروان وكاتبه هذه الاكذوبة بين طغام أهل الشام فسارت كل مسير حتى أخرجها الحاكم في أحوال أبي هريرة من مستدركه[2] .

ومنها : أن مروان لما أراد أن يجلب على بني هاشم بخيله ورجله ليمنعهم من دفن الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عند جده رسول الله (ص) أوعز الى أبي هريرة — من تدجيله — أن يعارضه ويغلظ له القول في ذلك علانية ، تمويهاً على العامة وسواد الناس بأن له منزلة الصديقين لا تأخذه في الله ورسوله سطوة ولا تمنعه عن الانتصار لهما قوة .

وحين قام أبو هريرة بهذه المعارضة ، أظهر مروان الغضب منه ، فكان بينهما صحب رياء ، وغيظ تصنع . اشتد أبو هريرة فيهما احتجاجاً

---

(١) وكنيته ابو زعبره .
(٢) ٥١ من جزئه الثالث .

على مروان بمنزلته من رسول الله (ص)[1] التي لم تكن لخاصة أصحابه وذويه وبوعيه عنه (ص) وحفظه الذي فاق به السابقين الأولين كعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأمثالهم . واسترسل في خصائصه التي توجب له أسمى منازل المقربين ، فانتهت الخصومة بينهما بخوع مروان لمنزلة أبي هريرة في الإسلام ، ومكانته في العلم بالسنن ، يرائي الناس ببخوعه لفضل أبي هريرة ترويجاً لسلعته التي كان مروان ومعاوية وبنوهما يحاربون بها الحسن والحسين واباهما وبنيهما . وكانت من أنجع الدعايات في تلك السياسات (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

(١) في حديث اخرجه ابن سعد من طريق الوليد بن رباح ، ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من اصابته ، وسنورده بألفاظه في فضائله من هذا الاملاء معلقين عليه ما لا يسعنا اغفالـــه .

١٠

كمية حديثه

أجمع أهل الحديث ــ كما في ترجمته من (الإصابة)[1] وغيرها ــ على انه أكثر الصحابة حديثاً، وقد ضبط الجهابذة من الحفظة الاثبات حديثه، فكان خمسة آلاف وثلاثمائة واربعة وسبعين مسنداً. وله في البخاري فقط اربعمائة وستة واربعين حديثاً[2].

وقد نظرنا في مجموع ما روي من الحديث عن الخلفاء الأربعة فوجدناه بالنسبة إلى حديث أبي هريرة وحده أقل من السبعة والعشرين في المائة،

(١) راجع السطر الاخير ص ٢٤٠ من الجزء الرابع من الإصابة المطبوع في هامشها كتاب الاستيعاب.

(٢) راجع من إرشاد الساري شرح اول حديث لأبي هريرة اخرجه البخاري في صحيحه وهو في باب امور الايمان من كتاب الايمان ص ٢١٢ من الجزء الاول من الارشاد للشارح القسطلاني تجد النص ثمة على ان ابا هريرة روى عن النبي (ص) ٥٣٧٤ حديثاً وان له في صحيح البخاري فقط اربعمائة وستة واربعين حديثاً وضبط ابن حزم ايضاً مجموع ما حدث به ابو هريرة فكان كما سمعت ٥٣٧٤ مسنداً فراجع ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصل ابن حزم اثناء كلامه في وجوه المفاضلة.

لأن جميع ما روي عن أبي بكر إنما هو مائة واثنان وأربعون حديثاً[1] وكل ما اسند الى عمر إنما هو خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً[2] وكل ما لعثمان مائة وستة واربعين حديثاً[3] وكلما رووه عن علي خمسمائة وستة وثمانين مسنداً[4] فهذه الف واربعمائة وأحد عشر حديثاً ، فاذا نسبتها الى حديث أبي هريرة وحده – وقد عرفت انه ٥٣٧٤ – تجد الأمر كما قلناه .

فلينظر ناظر بعقله في أبي هريرة ، وتأخره في إسلامه ، وخموله في حسبه وأميته ، وما الى ذلك مما يوجب إقلاله . ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة وسبقهم واختصاصهم ، وحضورهم تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة ، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله (ص) وتسعة وعشرين من بعده ساسوا فيها الامة وسادوا الامم ، وفتح الله لهم ملك كسرى وقيصر ، فمدنوا المدن ، ومصروا الأمصار ، ونشروا دعوة الإسلام وصدعوا بأحكامه ، وأذاعوا السنن ، ينحدر عنهم السيل ، ولا يرقى اليهم الطير ، فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبي هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً أفتونا يا اولي الألباب ؟!

وليس أبو هريرة كعائشة وان أكثرت أيضاً ، فقد تزوجها رسول الله

(١) ضبطها الجهابذة ، فكانت بهذا العدد ، وممن صرح بعدّتها جلال الدين السيوطي في احوال ابي بكر من كتابه (تاريخ الخلفاء) وقد اوردها ثمة بأجمعها في فصل افرده لها ، وضبطها ايضاً العلامة النووي في التهذيب وابن حزم الظاهري في ص ١٣٧ من الجزء الرابع من الفصل في الملل والنحل فنص على انها بهذا العدد ، والذهبي صرح (في ترجمة ابراهيم ابن سعيد الجوهري من ميزان الاعتدال) : بأنه لا يصح لأبي بكر عشرون حديثاً .

(٢) قال السيوطي في اوائل ترجمة عمر من تاريخ الخلفاء : وروي له عن رسول الله (ص) خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثاً ، وضبطها ابن حزم بهذا العدد في ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصله وقال : إنما يصح منها نحو خمسين .

(٣) نص على ذلك جلال الدين السيوطي في اوائل احوال عثمان من تاريخ الخلفاء .

(٤) كما نص عليه السيوطي في اوائل ترجمة علي من تاريخ الخلفاء وصرح به ابن حزم في ص ١٣٧ من الجزء الرابع من فصله .

(ص) قبـــل إسلام أبي هريرة بعشر سنين[1] فكانت في مهبط الوحي والتنزيل ومختلف جبرائيل وميكائيل أربعة عشر عاماً ، وماتت قبل موت أبي هريرة بيسير[2].

وشتان بين الصحبتين وبين الفطنتين ، أما أمر الصحبتين فمعلوم ، وأما الفطنتان فقد كان فهم عائشة يباري سمعها ، وقلبها يسبق اذنها ، فلا أرشح منها فؤاداً ، ولا أسرع تناولاً ، ما نزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً ، وعن عروة ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر مـــن عائشة . وعن مسروق رأيت مشيخة من أكابر الصحابة يسألونها عـــن الفرائض .

على انها اضطرت إلى نشر حديثها إذ بثت دعاتها في الأمصار ، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر الجرار . ومع هذا فان جميع ما روي عنها إنما هو عشرة مسانيد ومائتا مسند والفا مسند[3] فحديثها كله أقل من نصف حديث أبي هريرة .

ولو ضممت حديثها وحديث أم سلمة مع بقائها الى ما بعد وقعـــة

---

(١) اخرج ابن عبد البر في احوال عائشة من الاستيعاب عن ابن شهاب ان رسول الله (ص) تزوج عائشة في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وعرس بها في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجرته الى المدينة اﻫ فيكون زواجها قبل إسلام ابي هريرة بعشر سنين ، إذ لا ريب في ان اسلامه انما كان سنة سبع .

(٢) توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة سبع وخمسين او ثمـــان وخمسين قبيل وفاة أبي هريرة بيسير ، وهو الذي صلى عليها بأمر الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وكان والياً على المدينة من قبل عمه معاوية اراد إكرام ابي هريرة فامره بالصلاة عليها ودفنت بالبقيع .

(٣) فيما ضبطه ابن حزم الظاهري في ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصله وغير واحد من الحفظة واهل الضبط ، واما قول القائل :

حفظت اربعـــين الـــف حـــديث ومن الذكـــر آيـــة تنساهـــا

فليس على حقيقته وإنما هو كناية عن كثرة حفظها .

الطف ، وجمعت ذلك كله الى حديث البقية من أمهات المؤمنين ، وحديث سيدي شباب أهل الجنة وسيدة نساء العالمين . وحديث الاربعة من خلفاء المسلمين ما كان كله إلا دون حديث أبي هريرة وحده ! وهذا أمر مهول الفت اليه ارباب العقول :

على انه كان مع ذلك يزعم ان النبي (ص) أفضى اليه بأحاديث لن يميط حجابها لاحد ولا ينالها منه متسقط[1] فهي دخلة ضميره ودفينة صدره وأبو هريرة حصين الصدر : بعيد غور الضمير ! كما تعلمون : ولذا قال : حفظت عن رسول الله (ص) وعاءين فأما احدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[2] .

وقال لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخزف ، وقالوا : أبو هريرة مجنون .

وقال : لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر .

وقال : يقولون أكثرت يا أبا هريرة والذي نفسي بيده لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله (ص) لرميتموني بالقشع – يعني المزابل – ثم ما ناظرتموني[3] .

وقال : حفظت من رسول الله (ص) أحاديث ما حدثتكم بها ولو حدثتكم بحديث منها لرميتموني بالأحجار[4] .

---

(١) يقال : تسقطه عن سره ، اي احتال له حتى اباح به .

(٢) اخرجه البخاري باب حفظ العلم من كتاب العلم ص ٢٤ من الجزء الاول من صحيحه .

(٣) هذه الأحاديث الثلاثة ذوات الخزف والبعر والقشع أخرجها بالاسناد اليه ابن سعد في ترجمته ص ٥٧ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات .

(٤) أخرجه الحاكم في ترجمة أبي هريرة من المستدرك فراجع ص ٥٠٩ من جزئه الثالث وقد صححه ، وكذلك فعل الذهبي في تلخيصه وما أعز نفس أبي هريرة عليه إذ يقول : لرجمتموني بالأحجار بالخزف بالبعر بالمزابل . وكذلك حين يحدث عن نفسه فيقول : يجيء الجائي فيضع رجله على عنقي . وحين يحدث عن بطنه وقمله وسائر شؤونه .

وقال : حفظت من رسول الله خمسة جرب فأخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة[1] .

قلت : إن أبا هريرة لم يكن من رسول الله (ص) ولي عهده ، ولا خليفته من بعده ، ليؤثره بأسراره ، ويفضي اليه من العلوم ما لم يفض بها إلى أحد من خاصته .

وما الفائدة بإفضاء تلك الأسرار اليه ؟ ! وهو رجل ضعيف ذو مهانة تمنعه من أن ينبس في شيء منها ببنت شفة . فاذا نبس رجم بالحجارة ورمي بالبعر وبالمزابل ، واذا حدث بشيء من تلك العلوم قطعوا منه البلعوم .

وهلا أفضى بها إلى الخلفاء من بعده ، الغزاة الفاتحين الذين عنت لهم وجوه الأمم ، وخضعت لأقوالهم رقاب العرب والعجم ، وساقوا الناس الى ما أرادوا بعصاً واحدة ، فانهم أولى بما يدعيه أبو هريرة ، إذ لو كانت عندهم تلك الأسرار لانتشرت انتشار الشمس في الأقطار ، وحاشا رسول الله (ص) أن يفعل عبثاً فيودعها حيث تضيع سدى لا ينتفع بها أحد أبداً ، ومن هو أبو هريرة ؟ ! . . ليختص بهذه الحبوة دون السابقين الأولين (والسابقون السابقون أولئك المقربون) .

على أن أبا هريرة كان كثيراً ما يقول : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب[2] فكيف يجتمع هذا القول منه مع قوله : حفظت على رسول الله (ص) وعائين : فأما أحدهما فبثثته، واما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم . إلى آخر اقواله في هذا المعنى الصريحة بأنه كان يكتم ! ؟ .

---

(١) اخرجه ابو نعيم في احوال ابي هريرة ص ٣٨١ من حليته.

(٢) أخرجه ابن سعد في ص ١١٩ من القسم الثاني من الجزء الثاني من طبقاته عند ذكر أبي هريرة في باب أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله (ص) .

ولنسأل أولي البحث عن الأسرار الالهية التي أفضاها (ص) الى أبي هريرة فكان يكتمها خوفاً على حياته، أو اشفاقاً على كرامته، فهل كانت من سنخ الأسرار التي عهد بها رسول الله (ص) الى وليه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أموراً تتعلق بالخلافة وتختص بالخلفاء من بعده؟ أم كانت من سنخ آخر؟. فان كانت من السنخ الأول فلماذا كان منصرفاً عنها كل الانصراف مخالفاً لمقتضياتها كل الخلاف؟؟ وكان رأيه فيما هنالك رأي الجمهور، مسترسلاً معهم في كل الامور. وإن كانت السنخ الثاني فلا خوف عليه وان حدث بالطامات أو جاء بالمخزيات!.

ألم يحدث بنوم النبي عن صلاة الصبح؟ وعروض الشيطان له (ص) وهو في الصلاة ليقطعها عليه؟!.

ألم يرو انه سهى فصلى الرباعية ثنائية! فقيل له: أنسيت أم قصرت الصلاة فقال: لم أنس ولم تقصر؟.

ألم يخبر أنه كان (ص) يؤذي ويسب ويلعن ويجلد على الغضب من لا يستحق ذلك؟.

ألم يصم الأنبياء بما لا يجوزه عليهم شرع ولا عقل؟ حتى روى عن رسول الله (ص) انه قال: نحن أحق بالشك من ابراهيم، وروى عن لوط ما يستلزم ضعف ثقته بالله تعالى.

ألم يتسور على آدم، ونوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى بما يجب تنزيههم عنه؟.

ألم ينسب الى كليم الله ونجيه موسى (ع): انه لطم ملك الموت ففقأ عينه وانه اشتد يركض مرة وهو عريان فمر على بني اسرائيل فنظروا الى سوأته؟.

ألم يحدث عن سليمان بن داود انه نقض حكم أبيه ؟ وانه أبى أن يعلق أمره على مشيئة الله تعالى ففشل في أمره .

ألم يحدث عن الله عز وجل بما لا يجوز عليه شرعاً ولا عقلاً ؟ كقوله : لا تمتلىء جهنم حتى يضع الله رجله فيها ؟ وكقوله في حديث أهل المحشر : فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفون ! فيقولون : أنت ربنا ؟ وكقوله : خلق آدم على صورة الرحمن ! وقوله : خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في سبعة اذرع عرضاً ؟

الى كثير مما ستسمعه في الفصل الآتي من هذه الفظائع التي تقطع البلعوم فما باله يحدث بها طمئناً كل الاطمئنان ؟ . بل ممتناً بها على الامة كل الامتنان وقد حدث بالخرافات ، فلم يرجم بحجر ، ولم يرمَ بقشع ولا بعر كما يعلمه من ألمّ بأحواله ، ولكن منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

ومما نلفت اليه أولي النظر من كل بحاثة: ان أبا هريرة كان يقول[1] ما من أصحاب النبي (ص) أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو (بن العاص) فانه كان يكتب ولا اكتب اهـ .

يعترف ان عبد الله هذا كان أكثر منه حديثاً عن رسول الله (ص) كما ترى ، وقد بحثنا عن حديث عبد الله بن عمرو فوجدناه سبعمائة مسند لا يزيد على هذا العدد شيئاً[2] .

---

(١) فيما حدث به وهب به منبه عن اخيه همام عن ابي هريرة ، واخرجه البخاري في باب كتابة العلم من كتاب العلم ص ٢٢ من الجزء الاول من صحيحه .

(٢) وقد ضبطه القسطلاني في شرح هذا الحديث من كتابه – ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٣٧٣ من جزئه الاول – فكان بهذا العدد .

فهو دون السبع من حديث أبي هريرة كما لا يخفى .

وقد أرتج على العلماء الاعلام باب الاعتذار عن أبي هريرة في هذا التهافت ، لكن ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريا الأنصاري قد اعتذرا عند انتهائهما الى هذا الحديث في شرحيهما[1] بأن عبد الله بن عمرو بن العاص سكن مصر ، وكان الواردون اليها قليلاً فقلت روايته ، بخلاف أبي هريرة ، فانه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة ، فكثرت روايته .

وأنت تعلم ان كلام أبي هريرة بظاهره ، بل بصريحه يخبط هذا الاعتذار ألا تراه يقول : ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فان معناه ــ كما في ارشاد الساري وفي تحفة الباري كليهما ــ ما أحد من أصحاب النبي حديثه أكثر من حديثي إلا أحاديث حصلت من عبد الله فانها اكثر من حديثي . واذا كان الرجل يعترف بأن الأحاديث التي حصلت من عبد الله أكثر من حديثه فأي وجه لما اعتذر به الشارحان ؟ .

على أن مقام عبد الله في مصر كان ادعى لكثرة روايته إذ كان له ثمة المكانة العالية والمنزلة السامية . حيث لم يكن هناك سواه ممن تعرفهم الناس من الصحابة إلا نزر يسير ، أو عابر سبيل ، لذلك تبوأ مقام المرجع الوحيد في شرائع الإسلام وعلوم الكتاب والسنة . وشتان بين مقامه في مصر ، ومقام أبي هريرة في المدينة ، إذ كان لعبد الله في نفوس أهل مصر منزلة العالم المرشد الصدوق وعز ابن الحاكم الفاتح عنوة ، أما

(١) وهما ارشاد الساري للقسطلاني وتحفة الباري لزكريا الانصاري وقد طبعا معاً في اثني عشر جزءاً . ووضع بالهامش متن صحيح مسلم وشرحه للنووي . والعذر المذكور تجده في ص ٣٧٣ من الجزء الأول .

أبوهريرة في المدينة، فقد كان كواحد من الوف الصحابة الذين كانوا على عهده ، وكانت وفود المدينة انما تأتي مشاهير الصحابة وأبو هريرة لم يكن منهم ، على انه كان متهماً عندهم وكثيراً ما كانوا ينقمون عليه اكثاره على رسول الله (ص) فيقولون : ان أبا هريرة يكثر الحديث ، ويقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه[1] فمقامه في المدينة والحال هذه كان أدعى لقلة روايته ، فمن الغريب أن يكون حديثه أكثر من حديث عبد الله ، وخصوصاً بعد اعترافه له . وبعد العلم بأن عبد الله عمّر بعد أبي هريرة زمناً ليس بالقصير[2] .

والحق ان أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله في اوائل امره بعد رسول الله (ص) حين لم يكن مفرطاً هذا الافراط الفاحش ، فانه إنما تفاقم افراطه ، وطغى فيه على عهد معاوية ، حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين كان يخشاهم أبو هريرة كما أشرنا اليه وسنوضحه في محله من هذا الإملاء إن شاء الله تعالى .

---

(١) كان ابو هريرة يتذمر منهم ويشكوهم الى الله فيما اخرجه البخاري عنه في آخر المزارعة من الجزء الثاني من صحيحه .

(٢) لأن أبا هريرة توفي – كما في آخر ترجمته من الاصابة – سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، أما عبد الله بن عمرو بن العاص فقد مات – كما في ترجمته من الاصابة – سنة خمس وستين ، وقيل سنة ثمان وستين وقيل سنة تسع وستين ، وقيل – كما في ترجمته من كتاب القيسراني في رجال الصحيحين – مات سنة اثنين وتسعين ، والله تعالى اعلم .

١١

كيفية حديثه

الأذواق الفنية لا تسيغ كثيراً من أساليب أبي هريرة في حديثه والمقاييس العلمية عقلية ونقلية لا تقرها. وحسبك عنواناً لهذه الحقيقة اربعون حديثاً صحت عنه، اتلوها الآن عليك لتمعن فيها وفيما علقناه عليها متحرراً متجرداً، ولك بعد ذلك رأيك : —

١ — خلق الله آدم على صورته :

أخرج الشيخان البخاري ومسلم[١] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله (ص) قال : خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، وزاد أحمد[٢] من

(١) راجع من البخاري الحديث الاول من كتاب الاستئذان في ص ٥٧ من جزئه الرابع. ومن صحيح مسلم باب يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير من كتاب الجنة وصفة نعيمها ص ٤٨١ من جزئه الثاني. واخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة في ص ٣١٥ من الجزء الثاني من مسنده من حديث طويل يشتمل على امور كثيرة.

(٢) كما في آخر ص ٩٠ من الجزء السابع من ارشاد الساري في باب خلق آدم وذريته من كتاب بدء الخلق.

طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً : في سبعة اذرع عرضاً ، قال : فلما خلقه قال اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحيه ذريتك ، قال : فذهب فقال : السلام عليكم . فقالوا السلام عليك ورحمة الله ، قال : فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ا هـ .

وهذا مما لا يجوز على رسول الله (ص) ولا على غيره من الأنبياء ولا على أوصيائهم عليهم السلام . ولعل أبا هريرة انما اخذه عن اليهود[1] بواسطة صديقه كعب الأحبار أو غيره ، فان مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الاصحاح الأول من اصحاحات التكوين من كتاب اليهود – العهد القديم – واليك نصها بعين لفظه قال : فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم ا هـ .

تقدس الله عن الصورة والكيفية والشبيه ، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وربما تأولوا الحديث فارجعوا ضمير صورته إلى آدم نفسه لا الى الله تبارك وتعالى فيكون المعنى ان الله عز وعلا خلقه في الجنة على صورته التي كان عليها بعد هبوطه منها إذ أنشأه تاماً مستوياً طوله ستون ذراعاً وعرضه سبعة اذرع لم يتغير من حال الى حال ، ولم يتطور أطواراً مختلفة كذريته فلم يكن نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً كسيت لحماً ثم جنيناً ثم رضيعاً ثم فطيماً ثم مراهقاً ثم رجلاً حتى تم طوله وعرضه بل خلقه دفعة واحدة على صورته التي رآه عليها بنوه في الأرض .

---

(١) وكان في كثير من حديثه عيالا على اليهود ، الا تراه يرسل قوله : ان سيحان وجيحان والفرات ونيل مصر كلها من الجنة ، اخرج هذا عنه الخطيب في ترجمة محمد بن الحسين المطبخي في ص ٢٣٥ من المجلد الثاني من تاريخ بغداد وهذا مأخوذ عن العهد القديم .

هذا غاية ما يمكن أن يقوله أهل التنزيه في تأويل هذا الحديث لولا وروده عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : خلق آدم على صورة الرحمن[1] ومجيؤه من طريق الجمهور بسند آخر مرفوعاً أيضاً بلفظ : ان موسى «ع» ضرب الحجر لبني اسرائيل فتفجر وقال : اشربوا يا حمير فأوحى الله اليه عمدت الى خلق خلقتهم على صورتي فشبهتهم بالحمير الحديث[2] .

وهذا ما اخرج الجمهور ولم يبق لمدافعتهم عن أبي هريرة بالتأويل الذي قلناه محلاً ، ولذا أسلموا بإعادة الضمير في صورته الى الله تعالى متأولين تأولاً آخر .

وحاصله ان المراد من قوله : خلق الله آدم على صورته ، وقوله : خلق آدم على صورة الرحمن ، وقوله في الحديث الأخير : خلقتهم على صورتي : أنه تعالى خلق آدم وبنيه على صفة الله . فان الله عز وجل حيّ سميعٌ بصيرٌ متكلمٌ عالمٌ مريد كاره وكذلك آدم وبنوه .

وأنت تعلم أنهم وقعوا فيما فروا منه لأن صفة الله عز وجل تنزهت عن التشبيه باجماع أهل التنزيه ، ولا سيما على قولنا بأن صفاته عين ذاته ، وهو الحق بحكم العقل والنقل كما هو مقرر في محله من اصولنا .

على أن أبا هريرة قد تطور في هذا الحديث كما هي عادته فتارة رواه كما سمعت ، وتارة رواه بلفظ : إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه

---

(١) هذا الحديث بهذا اللفظ مستفيض عن ابي هريرة وقد جعله القسطلاني قرينة على ان الهاء من (صورته) في قول ابي هريرة : خلق الله آدم على صورته إنما هي لله تعالى لا لآدم فراجع ص ٤٩١ من الجزء العاشر من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري .

(٢) اورده ابن قتيبة في ص ٢٨٠ من كتابه تأويل مختلف الحديث وجعله دليلا على ان ضمير صورته في قوله : خلق الله آدم على صورته راجع الى الله لا إلى آدم .

فان الله خلق آدم على صورته[1] ، ومرة رواه بلفظ : إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته اهـ[2] .

ولا يخفى انه قطع بهذا على أوليائه خط الرجعة الى كل من التأويلين فانك تعلم انه لا يصح ارجاع الضمير في صورته الى آدم في كل من الروايتين بل لا بد من إرجاعه الى الله عز وجل ليستقيم الكلام ، ويصح تعليل النهي عن ضرب الوجه وتقبيحه[3] وتعلم أيضاً ان خلق آدم حياً سميعاً بصيراً متكلماً عالماً مريداً كارهاً لا يوجب اختصاص الوجه بالصون دون باقي الجوارح ، فحمل تينك الروايتين على واحد من ذينك التأويلين مما لا وجه له بل لا يكون للروايتين معنى إلا اذا اريد بها صون وجه الانسان ، لكونه يشبه وجه الله . تعالى الله وتقدست ذاته وصفاته وأسماؤه .

ولذلك تحير المحققون من أهل التنزيه من الجمهور ، وتوقفوا في معاني هذه الأحاديث كلها ، وأحالوا العلم بالمراد منها الى الله تعالى الذي

---

(١) اخرجه بهذه الالفاظ عن ابي هريرة بطرق اليه كثيرة غير واحد من حفظة الآثار ، فراجع ص ٣٩٧ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب النهي عن ضرب الوجه تجده بعين لفظه .

(٢) اخرجه البخاري في الادب المفرد ورواه احمد بالطرق الصحيحة عن ابي هريرة ص ٤٣٤ من الجزء الثاني من مسنده .

(٣) ليت أبا هريرة علل النهي عن ضرب الوجه بلطفه وجماله وجمعه للاعضاء النفيسة من السمع والبصر والأنف والفم والشفتين والأسنان والحاجبين والجبهة وغيرها فان اكثر الادراك إنما يكون بها فقد يعطلها الضرب او ينقصها وقد يشوه الوجه وتشويه الوجه فاحش لكونه بارزاً لا يمكن ستره لكن ابا هريرة إنما يؤثر التحريف من حيث يدري اولياؤه او لا يدرون فانا لله وانا اليه راجعون .

أحاط بكل شيء علماً ، كما صرح به شارحوا الصحيحين عند انتهائهم الى هذا الحديث من شروحهم فراجع[1] .

تنبيهـــان :

أحدهما : انه إذا كان طول آدم ستين ذراعاً يجب مع تناسب اعضائه أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعاً وسبع الذراع ، واذا كان عرضه سبعة اذرع يجب ان يكون طوله اربعة وعشرين ذراعاً ونصف الذراع لأن عرض الانسان مع استواء خلقه بقدر سبعي طوله فما بال أبي هريرة يقول طوله ستون ذراعاً في سبعة اذرع عرضاً ؟ فهل كان آدم غير متناسب في خلقته مشوهاً في تركيبه ؟ كلا ! بل قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) .

ثانيهما : ان تحية السلام إنما شرعت في دين الإسلام وقد قال رسول الله (ص) : [2] ما حسدكم اليهود على شيء كما حسدوكم على السلام ، فلولا اختصاصه بهذه الأمة ما اختصوهم بالحسد عليه فما بال

---

(١) قال الامام النووي : وان من العلماء من يمسك عن تأويل هذه الأحاديث كلها ويقول : نؤمن بأنها حق وان ظاهرها غير مراد لها معان تليق بها قال : وهذا مذهب جمهور السلف وهو احوط وأسلم الى آخر كلامه.فراجعه في شرح صحيح مسلم وهو مطبوع في هامش شرحي البخاري وما نقلناه عنه هنا موجود في ص ١٨ من الجزء ١٢ من الشرح في باب النهي عن ضرب الوجه ، ونقل القسطلاني نحوه في ص ٤٩١ من الجزء العاشر من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري . ثم قال : وهذا اسلم قلت : هذا بناء منهم على صحة هذه الاحاديث وهيهات ذلك – وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون – .

(٢) فيما اخرجه ابن ماجة في صحيحه وصححه ابن خزيمة بالاسناد الى عائشة مرفوعاً ونقله القسطلاني في صفحة ٤٩٢ من الجزء العاشر من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري اثناء شرح حديث ابي هريرة هذا .

أبي هريرة يقول في هذا الحديث : فلما خلق الله آدم قال اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك ؟ . وما رأي اولي النظر في هذا الخبر ؟ ! وماذا يقولون في قول أبي هريرة : ولم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ؟ !

٢ — رؤية الله يوم القيامة بالعين الباصرة في صور مختلفة :

أخرج الشيخان[١] بالاسناد الى أبي هريرة قال : قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فانكم ترونه يوم القيامة كذلك . يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس . ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت . وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ! فيقول أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ،فاذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ! ! فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ! ويضرب جسر جهنم قال : قال رسول الله (ص) : فأكون أول من يجيز[٢] ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ،

---

(١) اما البخاري فأخرجه في آخر ص ٩٢ من الجزء الرابع من صحيحه في باب الصراط جسر جهنم من كتاب الرقاق ، واخرجه ايضاً في ص ١٠٠ من الجزء الاول من صحيحه في باب فضل السجود من كتاب الاذان ، واما مسلم فأخرجه في ص ٨٦ من الجزء الاول من صحيحه في باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة واخرجه احمد في ص ٢٧٥ من الجزء الثاني من مسنده .

(٢) يجيز لغة في يجوز يقال : جاز ، واجاز بمعنى واحد ، كذا قال في النهاية الاثيرية .

وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى قال : فانها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمتها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو حتى اذا فرّغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمرّ الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار ، فيقول : يا ربي قشبني ريحها وأحرّقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو الله ، فيقول : لعلك ان اعطيتك ان تسألني غيره ، فيقول : لا وعزتك لا أسألك غيره ، فيصرف وجهه عن النار ، ثم يقول بعد ذلك : يا ربي قربني الجنة ، فيقول : أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يابن آدم ما اغدرك ، فلا يزال يدعو فيقول : لعلي إن اعطيتك ذلك تسألني غيره ، فيقول ، لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه الى باب الجنة فاذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : ربي ادخلني الجنة فيقول له : أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ؟ ويلك يا ابن آدم ما اغدرك فيقول : يا ربي لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك (الله) ! ؟ فإذا ضحك منه اذن له بالدخول فيها فإذا دخل قيل تمن من كذا فيتمنى . ثم يقال له : تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول له هذا لك ومثله معه . الحديث .

وقد أخرّجه مسلم بسند آخر [١] ومما جاء فيه عنده : ان الله عز جل

(١) في ص ٨٨ والتي بعدها من الجزء الاول من صحيحه في باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة من اواخر كتاب الايمان .

يأتي يوم القيامة هذه الامة وفيها البر والفاجر وهو في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقول لهم : أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ! فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق ! فلا يبقى ممن كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من يسجد اتقاء ورئاء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم فيرون الله وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال : أنا ربكم ! فيقولون : أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم الحديث ، هو طويل وقد اختصره البخاري في تفسير سورة ن من صحيحه[1] ولفظه ثمة : سمعت النبي (ص) يقول : يكشف ربنا عن ساقه ! فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من يسجد في الدنيا رئاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً اﻫ .

وهذا حديث مهول الفت اليه أرباب العقول فهل يجوز عندهم ان تكون لله صور مختلفة ينكرون بعضها ويعرفون البعض الآخر ؟ وهل يرون ان لله ساقاً تكون آية له وعلامة عليه ؟ وبأي شيء كانت ساقه علامة دون غيرها من الاعضاء ؟ وهل تجوز عليه الحركة والانتقال فيأتيهم أولاً وثانياً وهل يجوز عليه الضحك ؟ وأي وزن لهذا الكلام ؟ وهل يشبه كلام رسول الله (ص) ؟ لا والذي بعثه بالحق (رسولاً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

كلمة في الرؤية :

أما رؤية الله عز وجل بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على امكانها في الدنيا والآخرة ، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة ، وان المؤمنين

---

(١) ص ١٣٨ من جزئه الثاني .

والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم ، وان الكافرين والكافرات لا يرونه أبداً ، وأكثر هؤلاء على أن الرؤية لا تقع في الدنيا ، وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً ، ثم ان المجسمة من هؤلاء زعموا انهم سيرونه يوم القيامة باتصال الاشعة من أبصارهم بجسمه ماثلاً أمامهم فينظرون اليه كما ينظر بعضهم الى بعض لا يمارون فيه كما لا يمارون في الشمس والقمر ليس دونهما سحاب على ما يقتضيه حديث أبي هريرة وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل ، وخرقوا اجماع الامة بأسرها ، وخرجوا عليها ، ومرقوا من الدين ، وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الإسلامية فلا كلام لنا معهم .

وأما غيرهم من الجمهور وهم المنزهون من الأشعرية فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصة لا تكون باتصال الأشعة، ولا بمقابلة المرئي ولا بتحيزه ولا بتكيفه، ولا ، ولا، فهي على غير الرؤية المعهودة للناس، بل هي رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عز وجل لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست .

وهذا محال لا يعقل ، ولا يمكن ان يتصور متصور إلا اذا اختص الله المؤمنين في الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيـــه خواص الأبصار المعهودة في الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصرية كالرؤية القلبية وهذا خروج عن محل النزاع في ظاهر الحال ، ولعل النزاع بيننا وبينهم في الواقع ونفس الامر لفظي .

٣ ــ لا تملأ النار حتى يضع الله رجله فيها :

أخرج الشيخان من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي

هريرة قال : قال النبي (ص) : تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ! . وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطتهم قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي . وقال للنار إنما أنت عذاب اعذب بك من أشاء من عبادي . ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوى بعضها الى بعض الحديث[1] .

إن أبا هريرة كلما ازداد مثالة زاده الله رعالة[2] رأى ان جهنم أوسع من أن تمتلىء بالعصاة وان الله عز وجل أخبر بامتلائها إذ قال : (فالحق والحق أقول لأملأن جهنم) فوقف أبو هريرة امام هذين الأمرين وقفة الحائر يفكر في الجمع بينهما حتى انتهى به الفكر الى حل المشكلة بادخال رجل الله في جهنم لأن رجل الله تعالى – على رأى أبي هريرة – لا بد أن تكون أفخم وأعظم من جهنم مهما كانت جهنم متسعة الاكناف ، ومهما كانت متباعدة الأطراف ، وأبو هريرة كيس ثقف لقف ، فلا غرو أن جمع بين المتناقضات ، لكن فاته تدبر قوله تعالى إذ قال : (فالحقُ[3] والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) ولو تدبر الآية لاعتقل لسانه وانصرف يتعثر بنمرته ، فانها نص في أن امتلاءها لا يكون إلا منه ، أي من جنسه وهم الشياطين وممن تبعه من الناس كافة .

---

(١) اخرجه البخاري في تفسير سورة ق ص ١٢٧ من الجزء الثالث من صحيحه واخرجه مسلم في ص ٤٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه في باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء اخرجه من خمسة طرق عن ابي هريرة ، واخرجه احمد من حديث ابي هريرة آخر ص ٣١٤ من الجزء الثاني من مسنده .

(٢) مثل يضرب لمن كان كلما ازداد رزقاً ازداد حمقاً.

(٣) فالحق مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره : فالحق قسمي او يميني لأملأن جهنم والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه معناه : لا اقول إلا الحق .

وعلى كل : فإن هذا الحديث محال ممتنع بحكم العقل والشرع ، وهل يؤمن مسلم ينزه الله تعالى بأن لله رجلاً ؟ . وهل يصدق عاقل بأنه يضعها في جهنم لتمتلىء بها ؟ ! وما الحكمة بذلك ! ؟ وأي وزن لهذا الكلام البارد وبأي لسان تتحاج النار والجنة ؟ ! وبأي حواسها أدركتا ما ادركتاه وعرفتا من دخلها وأي فضل للمتجبرين والمتكبرين لتفخر بهم النار وهم يومئذ في اسفل سافلين ؟ وكيف تظن الجنة ان الفائزين بها من سقطة الناس وهم من الذين انعم الله عليهم بين نبي وصديق وشهيد وصالح ما أظن الجنة والنار قد بلغ بها الجهل والحمق والخرف الى هذه الغاية ؟ .

٤ – نزول ربه كل ليلة إلى سماء الدنيا تعالى الله :

أخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة ابن عبد الرحمان عن أبي هريرة مرفوعاً قال : ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له الحديث[1] .

تعالى الله عن النزول والصعود والمجيء والذهاب والحركة والانتقال وسائر العوارض والحوادث ، وقد كان هذا الحديث والثلاثة التي قبله مصدراً للتجسيم في الإسلام ، كما ظهر في عصر التعقيد الفكري . وكان من الحنابلة بسببها انواع من البدع والاضاليل، ولا سيما ابن تيمية الذي قام على منبر الجامع الاموي في دمشق يوم الجمعة خطيباً ، فقال أثناء أضاليله :

---

(١) اخرجه البخاري في باب الدعاء نصف الليل ص ٦٨ من الجزء الرابع من صحيحه في كتاب الدعوات ، واخرجه ايضاً في آخر ص ١٣٦ من الجزء الاول من صحيحه في باب الدعاء والصلاة من آخر الليل في كتاب الكسوف ، واخرجه مسلم في ٢٨٣ من الجزء الاول من صحيحه في باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل واخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في ص ٢٥٨ من الجزء الثاني من مسنده .

ان الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر يـبهم نزول الله تعالى نزولاً حقيقياً بكل ما للنزول من لوازم كالحركة والانتقال من العالي الى السافل ، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وانكر عليه ما قال ، فقامت العامة الى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً فسقطت عمامته واحتملوه الى قاضي الحنابلة يومئـــذ في دمشق واسمه عز الدين بن مسلم ، فأمر بسجنه ، وعزره بعد ذلك ، الى آخر ما كان في هذه الواقعة[1] ...

٥ ـ نقض سليمان حكم أبيه داود :

أخرج الشيخان[2] بالاسناد الى أبي هريرة مرفوعاً قال : كانت امرأتان معهما إبناهما جاء الذئب فذهب بابن احديهما فقالت صاحبتها : إنما ذهب بابنك وقالت الاخرى إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود (ع) فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى ، قال أبو هريرة والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية اهـ . في هذا الحديث نظر من وجوه :

(أحدها) : ان داود (ع) خليفة الله في أرضه ، ونبيه المرسل الى

---

(١) التي حضرها الرحالة ابن بطوطة بنفسه ورآها بعينه وسجلها في ص ٥٧ من الجزء الاول من رحلته عند ذكره قضاة دمشق فراجع .

(٢) اما البخاري فقد اخرجه في اول ص ١٦٦ من الجزء الثاني من صحيحه في باب قوله تعالى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب (من كتاب بدء الخلق. واما مسلم فاخرجه في ص ٥٧ من الجزء الثاني من صحيحه في باب بيان اختلاف المجتهدين من كتاب الاقضية ، واخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في ص ٣٢٢ من الجزء الثاني من مسنده .

عباده وقد أمره الله أن يحكم بين الناس بالحق فقال عز من قائل (يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) وقد أثنى عليه في الذكر الحكيم والفرقان العظيم فقال عز من قائل (واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معـــه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه وآتينـــاه الحكمة وفصل الخطاب) الى ان قال عز سلطانه (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) وقال عز وعلا (ولقـــد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينـــا داود زبورا) فداود ممن فضله الله بزبوره فهو معصوم من الخطأ ولا سيما في القضاء والحكم بمـــا أنزل الله تعالى (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون) وولده سليمان وارث علمه وحكمه ، وهو نبي معصوم أيضاً فكيف ينقض حكم أبيه وهو أعرف الناس بعصمته ؟ ولو ان حاكماً في هذه الايام من قضاة الشرع جامعاً لشرائط الحكومة الشرعية حكم بين اثنين ترافعا اليه لوجب على سائر حكام الشرع اعتبار حكمه بدون توقف إلا مع العلم بخطأه والخطأ هنا مأمون لوجوب عصمة الأنبياء ، فلا يجوز على سليمان وهو من أنبياء الله أن ينقض حكم أبيه الذي ارتضاه الله رسولاً لعباده وحاكماً بينهم لأن نقضه رد على الله تعالى وسوء أدب مع أبيه بل عقوق له .

ثانيها : ان هذا الحديث صريح بتناقض الحكمين الصادرين من هذين النبيين وذلك مما يوجب القطع بخطأ أحدهما لو كان الحديث صحيحاً والخطأ ممتنع على الأنبياء ولا سيما في مقام الحكم بما أنزل الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

ثالثها : ظاهر هذا الحديث ان داود (ع) حكم بالولد للكبرى بدون بينة ولا مستند غير أنها كبرى وهذا لا يصدر إلا من جاهل بالموازين الشرعية بعيد عن قوانين المحاكمات تعالى الله وتنزهت انبياؤه عن ذلك .

(رابعها) : ان هذا الحديث صريح في ان سليمان إنما حكم به للصغرى

بمجرد اشفاقها عليه من الشق بالسكين وهذا بمجرده لا يكون ميزاناً لحكمه، ولا سيما بعد اقرارها به للكبرى، وبعد حكم أبيه بذلك.

خامسها: لا ينقضي والله عجبي ممن يسعه تصديق أبي هريرة في قوله: والله ان سمعت بالسكين إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية، أي أن السكين أكثر دوراناً في كلام العرب من المدية بكثير! وما أظن أحداً منهم يجهل معنى السكين بخلاف المدية، فان أكثر العامة لا يعرفونها وَى. كأن أبا هريرة لم يقرأ ولم يسمع قوله تعالى في سورة يوسف وهي مكية (وآتت كل واحدة منهن سكيناً)[1].

وكأنه لم يرو عن رسول الله (ص) قوله: من جعل قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين[2].

تنبيــه:

ظن أبو هريرة أن داود وسليمان (إذ يحكمان في الحرث) كانا متناقضين في الحكم فهان عليه تزوير تلك القصة الخيالية ولم يدر أنهما انما كانا على الصواب وان حكم كل منهما وعلمه انما كان من لدن رب الأرباب.

ومجمل قضيتهما أن غنما أصابت في الليل حرثاً وكان كرماً قد بدت عناقيده[3] فاكلته فترافع صاحب الحرث وأصحاب الغنم الى داود «ع»

(١) سورة يوسف كلها نزلت في مكة إلا اربع آيات منها نزلت في المدينة ثلاث من اولها والرابعة (لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين) وابو هريرة إنما اسلم بعد نزولها بأكثر من سبع سنين وكانت محفوظة يرتلها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، وقد سمعهم يقرؤونها في صلواتهم وخلواتهم وفي كثير من اوقاتهم.

(٢) بل قد رواه واخرجه عنه الامام احمد في ص ٢٣٠ من الجزء الثاني من مسنده من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن العلاء عن ابيه عن ابي هريرة مرفوعاً.

(٣) فيما روى عن الامامين الباقرين الصادقين ابي جعفر وابي عبد الله «ع».

فكان بمقتضى شرعه الموحى اليه من الله تعالى أن يحكم بالغنم لصاحب الحرث لأن قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ، فلما أراد أن يحكم بذلك نسخه الله تعالى على لسان سليمان وكان شريكه في النبوة فأفهمه الله أن الحكم أصبح في مثل تلك الواقعة أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأصوافها ويدفع الحرث الى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئته قبل عيث الغنم فيه ثم يترادان .

جعل الله في هذا الحكم انتفاع صاحب الحرث بالغنم بأزاء ما فاته من الانتفاع بحرثه من غير أن يزول ملك المالك على الغنم وأوجب على أصحاب الغنم أن يعملوا في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان ، فلما أفهم الله عز وجل سليمان ذلك رفعه الى أبيه فعزم أبوه عليه ليحكمن بما أنزل الله عليه فحكم به .

هذا ملخص ما كان يومئذ بينهما لا تناقض فيه ولا اختلاف شأن كل حكمين عن الله تعالى نسخ ثانيهما الأول .

وأنا أتلو عليك من محكمات الفرقان ما يلمسك هذه الحقيقة قال تبارك وتعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت[1] فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان[2] وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) فانظر الى قوله عز اسمه وكلا آتينا حكماً وعلماً تجده نصاً في انهما كانا جميعاً على الصواب ، وان حكم كل منهما وعلمه انما هو من لدن رب الارباب .

لكن من رأي أبي هريرة ان أنبياء الله يجوز عليهم الحكم بمجرد

---

(١) النفش : هو الانتشار في الليل .

(٢) اي ففهمنا هذه الحكومة سليمان فكانت ناسخة للحكومة التي كان الله من ذي قبل فهمها داود عليهما السلام .

الاجتهاد لذلك جوز عليهم الخطأ فيما يحكمون به كسائر المجتهدين .

(ما قدروا الله حق قدره) إذ جوزوا الاجتهاد والعمل بالظن على مهابط وحي الله ، ومختلف ملائكته ، وجوزوا الخطأ عليهم حتى في القضاء الشرعي والحكم عن الله عز وجل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) .

ولو ثابت اليهم أحلامهم لعلموا ان العمل بالاجتهاد واستفراغ الوسع محال على الأنبياء لانه لا يوصل غالباً إلا الى الظن ، والأنبياء لا يعولون عليه لتمكنهم من العلم بسبب الوحي ، وإنما يجوز ذلك لمجتهدي الامة لأنه أقصى ما يتمكنون منه .

ولو جاز الاجتهاد على الأنبياء لجاز لغيرهم من المجتهدين أن يعارضوهم فيما يصدعون به من أحكام الله وحينئذ لا تبقى للنبوة منزلتها ، ولا للنبيين الشأو لا يلحقه لاحق ولا يطمع من غيرهم فيه طامع ، وهل يجرأ مؤمن من المجتهدين أن يعارض النبي وينقض حكمه (ص) كلا ! إنه الكفر بالإجماع .

على ان القرآن العظيم والذكر الحكيم صريح بأن النبي (ص) إنما يعمل بالوحي (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٦ ــ طواف سليمان بمائة امرأة في ليلة :

أخرج الشيخان بالإسناد الى أبي هريرة مرفوعاً قال : قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة بمائة امرأة ! تلد كل امرأة غلاماً ؟ يقاتل في سبيل الله ! فقال له الملك : قل إن شاء الله فلم يقل ! ! فأطاف بهن ! فلم تلد

منهن إلا امرأة نصف انسان ! (قال أبو هريرة) : قال النبي (ص) لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته.

قلت : وفي هذا أيضاً نظر من وجوه :

أحدها : ان القوة البشرية لتضعف عن الطواف بهن في ليلة واحدة مهما كان الإنسان قوياً ، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان «ع» بهن مخالف لنواميس الطبيعة لا يمكن عادة وقوعه أبداً.

ثانيها : انه لا يجوز على نبي الله تعالى سليمان «ع» أن يترك التعليق على المشيئة ، ولا سيما بعد تنبيه الملك إياه الى ذلك ، وما يمنعه من قول إن شاء الله ؟ وهو من الدعاة الى الله والأدلاء عليه ، وإنما يتركها الغافلون عن الله عز وجل ، الجاهلون بأن الامور كلها بيده . فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن ، وحاشا أنبياء الله عن غفلة الجاهلين إنهم (ع) لفوق ما يظن المخرّفون.

ثالثها : أن أبا هريرة قد اضطرب في عدة نساء سليمان ، فتارة روى انهن مائة امرأة كما سمعت[1] ، وتارة روى انهن تسعون[2] ، وتارة روى انهن سبعون[3] ، وتارة روى انهن ستون[4] وهذه الروايات كلها في

---

(١) وقد اخرجه البخاري في باب قول الرجل : لأطوفن الليلة على نسائي في آخر ص ١٧٦ من الجزء الثالث من صحيحه في الورقة الأخيرة من كتاب النكاح ، واخرجه احمد من حديث ابي هريرة ص ٢٢٩ وص ٢٧٠ من الجزء الثاني من مسنده.

(٢) كما اخرجه البخاري عنه في ص ١٠٧ من الجزء الرابع من صحيحه في باب الاستثناء في الايمان من كتاب الايمان والنذور.

(٣) كما اخرجه البخاري بالاسناد اليه في ص ١٦٥ من الجزء الثاني من صحيحه في باب قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب) من كتاب بدء الخلق.

(٤) كما اخرجه مسلم بالاسناد اليه في باب الاستثناء من كتاب الايمان - ص ٢٣ من الجزء الثاني من صحيحه ، واخرج مسلم ايضاً في ذلك الباب نفسه حديثاً من طريق آخر عن ابي هريرة انهن سبعون واخرج فيه من طريق ثالث انهن تسعون فراجع.

صحيحي البخاري ومسلم ومسند أحمد فما أدري ما يقوله فيها المعتذرون عن هذا الرجل ؟ أيقولون ان هذه الحادثة تكررت من سليمان مع زوجاته ؟ وكن مرة مائة ومرة كن تسعين ومرة سبعين واخرى ستين ! وفي كل مرة ينبهه الملك فلا يقول ! ما أظنهم يقولون بهذا ولو قالوا : قد اتسع الخرق على الراقع ، لكان أولى بهم وفي المثل السائر : ليس لكذوب حافظة .

٧ ـ لطم موسى عين ملك الموت :

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد الى أبي هريرة قال : جاء ملك الموت الى موسى « ع » فقال له : أجب ربك . قال : فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك الى الله تعالى فقال : انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت ففقأ عيني . قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل : الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت بيدك من شعرة فانك تعيش بها سنة الحديث[1] .

وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في مسنده[2] وفيه : أن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا ، قال : فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه الحديث ،

---

(١) اوردناه بلفظ مسلم وقد اخرجه ـ عن طريق ابي هريرة بطرق كثيرة ـ في باب فضائل موسى من كتاب الفضائل من صحيحه ص ٣٠٩ من جزئه الثاني ، واخرجه البخاري في باب وفاة موسى من كتاب بدء الخلق بعد حديث الخضر بأقل من صفحتين من صحيحه فراجع ص ١٦٣ من جزئه الثاني واخرجه ايضاً في باب من احب الدفن في الأرض المقدسة من ابواب الجنائز من صحيحه فراجع ص ١٥٨ من جزئه الاول .

(٢) ص ٣١٥ من جزئه الثاني .

وأخرجه ابن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه[1] عن أبي هريرة ولفظه عنده : أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه وفي آخره ان ملك الموت جاء الى الناس خفياً بعد موت موسى[2] .

وأنت ترى ما فيه مما لا يجوز على الله تعالى ، ولا على أنبيائه ، ولا على ملائكته ، أيليق بالحق تبارك وتعالى أن يصطفي من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبارين ؟ ؟ . ويوقع بأسه حتى في ملائكة الله المقربين ويعمل عمل المتمردين ؟ ، ويكره الموت كراهة الجاهلين ؟ ، وكيف يجوز ذلك على موسى ؟ وقد اختاره الله لرسالته ، وائتمنه على وحيه ، وآثره بمناجاته وجعله من سادة رسله ، وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه ؟ ورغبته في القرب من الله تعالى والفوز بلقائه ؟ ومـــا ذنب ملك الموت « ع » ؟ وإنما هو رسول الله اليه ، وبما استحق الضرب والمثلة فيه بقلع عينه ؟ وما جاء إلا عن الله وما قال له سوى : أجب ربك أيجوز على أولي العزم من الرسل اهانة الكروبيين من الملائكة ؟ وضربهم حين يبلغونهم رسالات الله وأوامره عز وجل ! ؟ تعالى الله وتعالت انبياؤه وملائكته عن ذلك علواً كبيراً .

ونحن لِمَ برئنا من أصحاب الرس ، وفرعون موسى ، وأبي جهل ، وأمثالهم ولعناهم بكرة وأصيلا ؟ أليس ذلك لأنهم آذوا رسل الله حين جاؤوهم بأوامره فكيف نجوز مثل فعلهم على أنبياء الله وصفوته من عباده ؟ حاشا لله ان هذا لبهتان عظيم .

---

(١) وذلك حيث ذكر وفاة موسى في كتابه تاريخ الامم والملوك .

(٢) لو ان ملك الموت كان يأتي عياناً قبل وفاة موسى لطفحت به الاخبار واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار فما بال المحدثين والمؤرخين واهل الاخبار من جميع الامم اغفلوا هذا الخبر لو كان له اثر ، وما بال القصاصين والمخرفين ما حام خيالهم حوله ، فهل تركوا الامتياز به لأبي هريرة ؟

ثم إن من المعلوم أن قوة البشر بأسرهم ، بل قوة جميع الحيوانات منذ خلقها الله تعالى إلى يوم القيامة لا تثبت امام قوة ملك الموت فكيف — والحال هذه — تمكن موسى « ع » من الوقيعة فيه ؟ وهلا دفعه الملك عن نفسه ؟ مع قدرته على ازهاق روحه ، وكونه مأموراً عن الله تعالى بذلك .

ومتى كان للملك عين يجوز أن تفقأ ؟ !

ولا تنس تضييع حق الملك وذهاب عينه ، ولطمته هدراً ، إذ لم يؤمر الملك من الله بأن يقتص من موسى صاحب التوراة التي كتب الله فيها (ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص)[1] ولم يعاتب الله موسى على فعله هذا بل أكرمه إذ خيره بسببه بين الموت والحياة سنين كثيرة بقدر ما تواريه يده من شعر الثور .

وما أدري والله ما الحكمة في ذكره شعر الثور بالخصوص ؟ !

أما وعزة الحق ، وشرف الصدق ، وعلوهما على الباطل والافك لقد حمّل هذا الرجل اولياءه ما لا طاقة لهم به ، وكلفهم بأحاديثه هذه بما لا تحتمله عقولهم أبداً ولا سيما قوله في هذا الحديث : إن ملك الموت قبل وفاة موسى كان يأتي الناس عياناً وإنما جاءهم خفياً بعد موت موسى نعوذ بالله من سبات العقل وخطل القول والفعل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة المائدة ، وقد وجدنا في الفقرة ٢٣ من الاصحاح ٢١ من أصحاحات الخروج ، من التوراة الموجودة في ايدي اليهود والنصارى في هذه الايام ما هذا لفظه : ان حصلت اذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلا برجل وكياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض .

٨ ـ فرار الحجر بثياب موسى وعدو موسى خلفه ونظر بني اسرائيل اليه مكشوفاً :

أخرج الشيخان في صحيحيهما بالإسناد الى أبي هريرة قال: كان بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض ، وكان موسى «ع» يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر (أي ذو فتق) قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه ! فجمح موسى بأثره يقول : ثوبي حجر ! ثوبي حجر ! حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا : والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر اليه فأخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضرباً ؟ فوالله ان بالحجر ندباً[١] ستة أو سبعة الحديث[٢] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن هذه الواقعة هي التي أشار الله اليها بقوله عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) اهـ .

وأنت ترى ما في هذا الحديث من المحال الممتنع عقلاً فانه لا يجوز تشهير كليم الله «ع» بابداء سوأته على رؤوس الأشهاد من قومه لأن ذلك ينقصه ويسقط من مقامه ، ولا سيما إذا رأوه يشتد عارياً ينادي الحجر وهو لا يسمع ولا يبصر : ثوبي حجر ثوبي حجر ثم يقف عليه وهو عار أمام الناس فيضربه والناس تنظر اليه مكشوف العورة كالمجنون !

---

(١) الندب بوزن جمل اثر الجراح اذا لم يرتفع عن الجلد .

(٢) اوردناه بلفظ مسلم إذ أخرجه عن ابي هريرة بطرق كثيرة فراجع باب فضائل موسى ص ٣٠٨ من الجزء الثاني من صحيحه واخرجه البخاري في الباب الذي هو بعد حديث الخضر من صحيحه ص ١٦٢ من جزئه الثاني وفي ص ٤٢ من جزئه الاول في باب اغتسل عرياناً من كتاب الغسل ، واخرجه احمد من حديث ابي هريرة من طرق كثيرة فراجع ص ٣١٥ من الجزء الثاني من مسنده .

وهذه الحركة لو صحت فإنما هي من فعل الله تعالى فكيف يغضب منها كليم الله فيعاقب الحجر عليها ؟ ! وما هو إلا مقسور على الحركة وأي أثر لعقوبة الحجر ؟ ؟ .

ثم ان هربه بثياب موسى « ع » لا يبيح له ابداء عورته ، وهتك نفسه بذلك وقد كان في إمكانه أن يبقى في مكانه حتى يؤتى بثيابه أو بساتر غيرها كما يفعله كل ذي لب إذا ابتلى بمثل هذه القصة .

على ان هرب الحجر من المعجزات وخوارق العادات التي لا تكون إلا في مقام التحدي كمقام انتقال الشجرة في مكة المعظمة لرسول الله (ص) حين اقترح عليه المشركون ذلك فنقلها الله عز وجل من مكانها تصديقاً لدعوته وتثبيتاً لنبوته (ص) ومن المعلوم أن مقام موسى « ع » وهو يغتسل لم يكن مقام تحد وتعجيز فلا تقع فيه المعجزات وخوارق العادات ولا سيما اذا ترتب عليها فضيحة نبي الله بإبداء سوأته للملأ من قومه على وجه يستخف به كل من رآه وكل من سمع بخبره هذا واما براءته من الادرة فليست من الامور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره ولا هي من المهمات التي تصدر بسببها الآيات إذ يمكن العلم ببراءته منها بسبب اطلاع نسائه عليه ، واخبارهن بحقيقة حاله .

ولو فرض ابتلاؤه بالادرة فأي بأس عليه بذلك ؟ . وقد اصيب شعيب « ع » ببصره وأيوب « ع » بجسمه وأنبياء الله كافة تمرضوا وماتوا ، ولا يجب انتفاء مثل هذه العوارض عن انبياء الله ورسله ، ولا سيما إذا كانت مستورة عن الناس كالادرة ، نعم لا يجوز عليهم ما يوجب نقصاً في مداركهم أو في مروءتهم أو يوجب نفرة الناس عنهم واستخفافهم بهم والادرة ليست في شيء من ذلك .

على ان القول بأن بني اسرائيل كانوا يظنون ان في موسى ادرة لم ينقل إلا عن أبي هريرة .

أما الواقعة التي أشار الله اليها بقوله عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فالمروي عن أمير المؤمنين «ع» وابن عباس أنها قضية اتهامهم إياه بقتل هارون، وهو الذي اختاره الجبائي وقيل هي قضية المومسة التي أغراها قارون بقذف موسى «ع» بنفسها فبرأه الله تعالى إذ أنطقها بالحق ، وقيل آذوه من حيث نسبوه الى السحر والكذب والجنون بعدما رأوا الآيات .

واني لأعجب من الشيخين يخرجان هذا الحديث والذي قبله في فضائل موسى وما أدري أي فضيلة بضرب ملائكة الله المقربين وفقء عيونهم عند ارادتهم تنفيذ أوامر الله عز وجل ؟ وأي منقبة بإبداء العورة للناظرين وأي وزن لهذه السخافات ؟ ان كليم الله ونجيه ونبيه لأكبر من هذا ، وحسبه ما صدع به الذكر الحكيم والفرقان العظيم ، من خصائصه الحسنى (ع) .

٩ — فزع الناس يوم القيامة الى آدم فنوح فابراهيم فموسى فعيسى رجاء شفاعتهم فإذا هم في أمرهم ملبسون :

أخرج الشيخان بالإسناد الى أبي هريرة حديثاً (من أحاديثه الطويلة) مرفوعاً جاء فيه ما هذا نصه : يجمع الله الناس الأولين منهم والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ . فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم «ع» فيقولون له : أنت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ! ولن يغضب

بعده مثله ! وانه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي ! ! ! اذهبوا إلى غيري اذهبوا الى نوح (قال) فيأتون نوحاً «ع» فيقولون : يا نوح انك أنت أول الرسل الى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ! وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ! نفسي نفسي نفسي ! ! ! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم قال : فيأتون ابراهيم «ع» فيقولون : يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ! ولن يغضب بعده مثله ! واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ! نفسي نفسي نفسي ! ! ! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى «ع» قال : فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك أترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، واني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها . نفسي نفسي نفسي !!! اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى «ع» قال : فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته التي القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا الى ربك ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ قال : فيقول عيسى «ع» : ان ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ! ولن يغضب بعده مثله ! — ولم يذكر ذنباً — نفسي نفسي نفسي ! ! ! اذهبوا الى محمد ، قال فيأتون محمداً (ص) فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ قال أبو هريرة قال رسول الله (ص) : فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال : يا محمد ارفع رأسك

سَل تعطه واشفع تشفّع فأرفع رأسي فأقول : امّتي يا رب امّتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب الحديث[1] .

وفيه من التسور على مقام أولي العزم من أنبياء الله وأصفيائه ما تبرأ منه السنن وتتنزه عن خطله فان للسنن المقدسة (سنن نبينا (ص)) في تعظيم الأنبياء غاية تملأ الصدور هيبة وإجلالاً وتعنو لها الجباه خوعاً وقد ملأت مسامع الدهر بحمدهم ونظمت حاشيتي البر والبحر بمجدهم ، فكل ما عرفته الأمم لهم من جلالة تخشع امامها العيون ومهابة تتطامن لديها المفارق وعظمة تتصاغر عندها الهمم وتخفض لها جناح الضعة فانما هو من آثاره (ص) ولولا فرقانه العظيم ، وقرآنه الحكيم ، وسنته المعصومة ما عرفهم ممن تأخر عنهم أحد إذ ليس (غير الكتاب والسنة) في أيدي الناس برهان قاطع ولا حجة بالغة ، بل لا خبر مسند ولا رواية تليق بالعقول ، فرسول الله (ص) حفظ بسنته وكتاب ربه عز وجل خصائص الأنبياء وسننهم ، وخلد مجدهم وحمدهم ، ومثل اخلاصهم لله بالعبادة ، وإخلاصهم للعباد بالنصح والارشاد والإفادة ، كما حفظ بها تاريخ الامم الماضية ، والقرون الخالية ، وتمم بها مكارم الأخلاق ، ومحامد الصفات والآداب ، وشرع بها عن الله تعالى تلك الأنظمة الحكيمة ، والقوانين القويمة ، شرائع تضمن للبشر كافة سعادة الدنيا والآخرة وجمع فيها العلم والحكمة والسياسة وشرف المعاش والمعاد ، وحفظ بها لغة الضاد الى يوم التناد .

فحديث أبي هريرة هذا — بهرائه وهذره[2] — أجنبي عن كلام

(١) أوردناه بلفظ البخاري في صفحة ١٠٠ من الجزء الثالث من صحيحه في باب ذرية من حملنا مع نوح من تفسير سورة بني اسرائيل ، واخرجه مسلم في ص ٩٧ من الجزء الأول من صحيحه في اواخر باب اثبات الشفاعة وهو في اواخر كتاب الايمان ، واخرجه احمد من حديث أبي هريرة بطرق اليه كثيرة في الجزء الثاني من مسنده .

(٢) الهراء المنطق الفاسد لا نظام له ، والهذر هو الاكثار من الخطأ والباطل .

رسول الله (ص) مباين لسنته كل المباينة . ومعاذ الله أن ينسب إلى أنبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغث التفه[1] وحاشا آدم من المعصية بارتكاب المحرم الذي يوجب غضب الله ، وإنما كان منهياً عن الشجرة نهي تنزيه وإرشاد ، وتقدس نوح من الدعاء إلا على أعداء الله تقرباً اليه عز سلطانه ، وتنزه ابراهيم عن الكذب وعن كل قول أو فعل يغضب الله عز وجل أو يخالف الحكمة ومعاذ الله أن يقتل موسى نفساً يغضب الله لقتلها وإنما يقتل من لا حرمة له عند الله تعالى ولا وزن له عند اولي الألباب ، وتعالى الله عن أن يعاملهم إلا بالحسنى كما قال عز من قائل (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وأنبياء الله أجل من أن يتوهموا بربهم تبارك وتعالى انه قد غضب عليهم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ويمتنع عن رسول الله أن يذكرهم إلا بما هم أهله .

ثم كيف يتسنى لأهل المحشر أن يتهوروا ويأتمروا ؟ وهم بحيث : (تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) ، (يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) .

وأنى لهم بالوصول الى الأنبياء في ذلك الموقف والأنبياء يومئذ على الأعراف ، وهل يصل أهل الأرض الى السماء ؟ وما الذي منعهم من التوسل توّاً برسول الله ؟ فانه (ص) صاحب المقام المحمود والجاه العظيم والشفاعة المقبولة لا يجهله يومئذ أحد من الناس ، ولم لم يرجعهم اليه آدم ولا نوح ولا ابراهيم ولا موسى ؟ وهلا أراحوا اولئك المساكين بدلالتهم من أول الأمر على ولي الأمر في ذلك الحشر ؟ ! أكانوا يجهلون مقامه المحمود في اليوم الموعود أم كانوا يؤثرون عناء اولئك المؤمنين المستغيثين .

(١) الذي لا طعم له .

ولنا أن نسأل أبا هريرة عن هؤلاء المساكين أمن امة محمد هم ؟ أم من أمة غيره ؟ فان كانوا من امته فما الذي صرفهم عنه الى غيره ؟ وان كانوا من امة غيره فمن الطبيعي له أن لا يحبط مساعيهم ، ولا يخيب آمالهم فكيف اختص أمته بالشفاعة دونهم ؟ مع ما فطر عليه من الرحمة الواسعة ومع ما آتاه الله يومئذ من الشفاعة والوسيلة معاذ الله أن يخيبهم وهو أمل الراغب الراجي وأمن الخائف اللاجي يجيب لسان العافي بلسان نداه ويروي صدى اللهيف قبل رجع صداه (ص) :

١٠ ـ شك الأنبياء والتنديد بلوط وتفضيل يوسف على رسول الله بصبره :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً قال : نحن أحق بالشك من ابراهيم إذ قال : ربي أرني كيف تحيي الموتى ، قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي ، وليرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي اهـ ـ وهذا الحديث[1] ممتنع من وجوه : ـ

أحدها : انه أثبت الشك لخليل الله ابراهيم « ع » : وقد قال الله عز من قائل (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل) وقال جل سلطانه وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) والايقان أسمى مراتب العلم والموقن بالشيء لا يمكن أن يكون شاكاً فيه ، والعقل

(١) اخرجه البخاري في ص ١٥٨ من الجزء الثاني من صحيحه في باب ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه من كتاب بدء الخلق ، واخرجه مسلم في ص ٧١ من الجزء الأول من صحيحه في باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة من كتاب الايمان . واخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة في الجزء الثاني من مسنده .

بمجرده يحيل وقوع الشك من الأنبياء «ع» كافة ، وهذا من الامور المسلمة .

أما قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى) فظاهر في ان ابراهيم «ع» إنما سأل ربه عن كيفية الإحياء لا عن الإحياء نفسه ، وهذا لا يأتي إلا اذا كان نفس الاحياء محققاً معلوماً لدى ابراهيم .

وبعبارة أوضح الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء موجود معلوم الوجود لدى السائل والمسؤول نحو : كيف زيد ، يعني أصحيح هو مثلاً أم مريض ؟ وكيف فعل زيد ، أي أحسنا فعل مثلاً أم قبيحاً ؟ وكيف وقعت القضية أو كيف تقع ، يعني أعلى ما نريد مثلاً أم على خلاف ما نريد ؟ وعلى هذا فقوله ارني كيف تحيي الموتى ، انما هو طلب لأن يريه كيفية ما قد علمه وتقرر لديه من احياء الموتى .

لكن لما كان مثل هذا الطلب قد يكون ناشئاً عن الشك في القدرة على الإحياء ، وربما يتوهم من يبلغه هذا الطلب ممن لا يعرف مقام ابراهيم انه «ع» قد شك في القدرة . اراد الله تعالى بسبب ذلك أن يرفع هذا التوهم ببيان منشأ طلبه فقال له : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، أي : أنا مؤمن بالقدرة ولكني إنما طلبت ذلك ليطمئن قلبي بسبب رؤية الكيفية التي تحيي بها الموتى بعد تفرق أجزائها في مضامين القبور وأوجار الطيور وبطون السباع ، ومطارح المهالك من البر والبحر ، وكأن قلبه «ع» قد ولع برؤية الكيفية فقال : ليطمئن قلبي ، أي لتبرد غلة شوقه برؤيتها .

هذا هو المراد من الآية الكريمة ، ومن نسب الشك اليه صلوات الله وسلامه عليه فقد ضل ضلالاً مبيناً .

ثانيها : ان الظاهر من قوله : نحن أولى بالشك من ابراهيم ثبوت الشك لرسول الله (ص) ولسائر الأنبياء ، وانهم جميعاً أولى به من ابراهيم .

. ولو فرض عدم ارادة الأنبياء جميعاً فارادة رسول الله (ص) مما لا بد منها ، والحديث نص صريح في أنه أولى بالشك (سبحانك هذا بهتان عظيم) قد انعقد الاجماع على بطلانه ، وتصافق العقل والنقل على امتناعه .

وما ندري والله لم كان (ص) أولى بالشك من ابراهيم «ع » مع ما آتاه الله مما لم يؤت ابراهيم وغيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين .

ووصيه أميرالمؤمنين « ع » إنما كان الباب من مدينة علمه وانما هو منه بمنزلة هارون من موسى إلا انه ليس بنبي ، وقد قال «ع » لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً[1] فما الظن بسيد المرسلين ، وخاتم النبيين صلّى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين .

ثالثها : ان قوله : ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد تنديد بلوط ورد عليه ، وتهمة له بما لا يليق بمنزلته من الله عز وجل وحاشاه أن يكون قليل الثقة بالله وإنما أراد أن يستفز عشيرته وذويه ، ويستظهر بفصيلته التي تؤويه نصحاً من الله عز وجل في أمر عباده بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وحاشا رسول الله (ص) ان يندد بلوط أو يفند قوله ومعاذ الله أن يظن به إلا ما هو أهله ولكنه (ص) أنذر بكثرة الكذابة عليه .

رابعها : ان قوله : ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي . ظاهر في تفضيل يوسف على رسول الله (ص) وهذا خلاف ما أجمعت عليه الامة وتواترت به الصحاح الصريحة وثبت بحكم الضرورة بين المسلمين .

فان قلت : إنما كان هذا من رسول الله (ص) تواضعاً ليوسف وإعجاباً

---

(١) هذه الكلمة مستفيضة عنه «ع » وقد اشار اليها البوصيري في همزيته إذ يقول :

ووزير ابن عمه في المعالي ... ومن الأهل تسعد الوزراء

لم يزده كشف الغطاء يقيناً ... بل هو الشمس ما عليه غطاء

بحزمه وصبره وحكمته في اثبات براءته حتى حصحص الحق قبل خروجه من السجن .

قلنا : لا يجوز مثل هذا الكلام على رسول الله (ص) ولو كان على سبيل التواضع ، لاشتماله على خبر غير مطابق للواقع ، لأنه لو ابتلي بما ابتلي به يوسف لكان أصبر من يوسف وأولى منه بالحزم والحكمة ، وبكل ما يتحصحص به الحق ، وهيهات أن يجيب الداعي بمجرد أن يدعوه الى الخروج فتفوته الحكمة التي آثرها يوسف إذ قال لرسول الملك حين أخلى سبيله : ارجع إلى ربك — أي صاحبك — فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم . قال — يعني الملك — : ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ، قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين .

فما خرج من السجن حتى تجلت براءته كالشمس الضاحية ليس دونها سحاب ولئن اخذ يوسف بالحزم فلم يسرع بالخروج من السجن حتى تم له ما أراد ، فان رسول الله (ص) قد مثل الصبر والاناة والحلم والحزم والعزم والحكمة والعصمة في كل أفعاله وأقواله وهو الذي لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله على أن يترك الأمر ما تركه .

وكان الأولى أن يقول أبو هريرة في هذا المقام : ولو لبث رسول الله (ص) في السجن اضعاف ما لبث فيه يوسف ما توسل إلى خروجه منه بما توسل اليه يوسف إذ قال للذي ظن انه ناج من صاحبي السجن — اذكرني عند ربك — أي صفني عند الملك بصفاتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويتداركني من هذه الورطة (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي ان الشيطان أنسى الرجل ان يذكر يوسف لربه — أعني الملك — (فلبث في السجن بضع سنين) وكان نسيان الرجل ولبث يوسف في السجن بضع سنين إنما كان تنبيهاً له إلى انه قد فعل غير الأولى إذ كان الأولى به أن لا يتوسل

الى رحمة الله بغير الله عز وجل كما هو المأثور عن رسول الله (ص) وقد مُني (ص) بما هو أعظم محنة من سجن يوسف وابتلي بما هو أكثر ضرراً وأكبر خطراً من كل ما قاساه آل يعقوب (ع) فما وهن ولا استكان ولا استعان إلا بالله وقد حوصر وجميع عشيرته في الشعب سنين ، فكانوا في منتهى الضائقة واوذي في نفسه وعشيرته والمؤمنين به بما لم يؤذ به نبي قبله واجلبوا عليه بما لديهم من حول وطول ، فاتل ان شئت : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليقتلوك أو يثبتوك أو يخرجوك) واقرأ : (ان لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وأمعن في قوله عز اسمه : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) وتدبر قوله عزّ سلطانه (إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غماً بغم) وأنعم النظر في قوله عن الأحزاب (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) وأوغل في البحث عن وقعة هوازن وحسبك منها (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الى كثير من مواقفه الكريمة التي خاض فيها الأهوال فكان فيها أرسى من الجبال يتلقى شدائدها برحب صدره وثبات جنانه فتنزل منه في بال واسع وخلق وادع لم يتوسل في الخروج من عسر الى يسر إلا بالله وحده ولم يتذرع الى شيء ما من شؤونه إلا بالصبر والتوكل على الله تعالى فأين من عزائمه في صبره وحلمه وحكمته عزائم يوسف ويعقوب ؟ واسحاق وابراهيم وسائر النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

١١ – جراد الذهب المتساقط على أيوب وهو يغتسل ومعاتبة الله إياه على ما حشاه منه في ثوبه :

أخرج الشيخان بطرق متعددة [١] عن أبي هريرة مرفوعاً قال : بينا أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه[٢] جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك .

(قلت) : لا يركن الى هذا الحديث إلا أعشى البصيرة ، مظلم الحس ، فان خلق الجراد من ذهب آية من الآيات ، وخوارق العادات وسنة الله عز وجل في خلقه أن لا يخلق مثلها إلا عند الضرورة كما لو توقف ثبوت النبوة عليها فتأتي حينئذ برهاناً على النبوة ودليلاً على الرسالة وما كان الله ليخلقها عبثاً وجزافاً فتخر على أيوب « ع » وهو منفرد بنفسه يغتسل عرياناً كما يزعم أبوهريرة .

ولو خرت عليه فجعل يحتثي في ثوبه لكان ذلك في محله لأنها نعمة من الله خارقة لم يحتسبها فيقتضي شكرها بتعظيم شأنها وتلقيها بكل قبول ولا يحسن منه الإعراض عنها والاستخفاف بها ، وقد اختصه الله فيها لأن فيه من كفران النعمة ما يجب تنزيه الأنبياء عنه .

والأنبياء إذا جمعوا المال فإنما يجمعونه لينفقوه في سبيل الله وابتغاء مرضاته وليستعينوا به على مشاريعهم الاصلاحية والله عز وجل خبير بهم عليم بنواياهم فلا يعاتبهم على جمعه أبداً .

---

(١) راجع من البخاري ص ٤٢ من الجزء الأول من صحيحه قبل كتاب الحيض بأقل من صفحتين وص ١٦٠ من جزئه الثاني قبل حديث الخضر مع موسى بأقل من صفحتين .
(٢) هكذا في صحيح البخاري والأصح إذ خر عليه .

١٢ – التنديد بموسى إذ قرصته نملة فأحرق قريتها !!! :

أخرج الشيخان بالاسناد الى أبي هريرة مرفوعاً قال : قرصت نملة نبياً من الأنبياء – هو موسى بن عمران فيما نص عليه الترمذي[1] – فأمر بقرية النمل فاحرقت فأوحى الله اليه ان قرصتك نملة أحرقت امة من الامم تسبح الله ! ؟[2].

إن أبا هريرة مولع بالأنبياء « ع » هائم بكل مصيبة غريبة تقذى بها الأبصار وتصتك منها المسامع وان أنبياء الله لأعظم صبراً وأوسع صدراً ، وأعلى قدراً ، مما يحدث عنهم المخرفون .

وهذا وصي رسول الله (ص) أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يقول في خطبة له[3] : والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى .

وعلي(ع) ما كان نبياً وانما هو وصي وصديق وهذه حالة تمثل عصمة الأنبياء عما ينسبه الجاهلون اليهم ، وما كان الله ليصطفي لرسالاته

(١) كما نص عليه القسطلاني في شرح هذا الحديث من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٢٨٨ من جزئه السادس .

(٢) أخرجه البخاري في آخر ص ١١٤ من الجزء الثاني في أواخر كتاب الجهاد والسير من صحيحه ، وأخرجه مسلم في باب النهي عن قتل النمل ص ٢٦٧ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب قتل الحيات وغيرها وأخرجه ابو داود في الادب وابن ماجة والنسائي في الصيد ، وأخرجه احمد من حديث ابي هريرة في مسنده .

(٣) خطبها في تهويل الظلم وتبرئه منه وبيان صغر الدنيا في نظره والخطبة في نهج البلاغة اولها والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً .

ويختص بمناجاته من لا يتنزه عن ذلك . تعالى الله وتعالت رسله عما يقوله المخرفون علواً كبيراً .

وما أدري والله ماذا يقول مصححوا هذا الحديث فيما فعله هذا النبي من تعذيب النمل بالنار ؟ مع قول رسول الله (ص) : لا يعذب بالنار إلا الله وقد أجمعوا على أنه لا يجوز الاحراق بالنار للحيوان مطلقاً إلا إذا أحرق انسان انساناً فمات بالإحراق فلوليه الاقتصاص باحراق الجاني وسواء في منع الاحراق بالنار النمل وغيره من سائر الحيوانات للحديث المشهور (لا يعذب بالنار إلا الله)[1] .

وأخرج أبو داود باسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابن عباس ان النبي (ص) نهى عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد .

١٣ – سهو النبي عن ركعتين :

أخرج الشيخان فيما جاء في السهو من صحيحيهما عن أبي هريرة قال : صلى النبي احدى صلاتي العشي وأكثر ظني العصر[2] ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها[3] وفيهم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا : أقصرت الصلاة ؟ ورجل يدعوه النبي ذو اليدين[4] فقال : أنسيت أم قصرت ؟ فقال : لم أنس

---

(١) نقله النووي في شرح هذا الحديث ص ٦ من الجزء ١١ من شرح صحيح مسلم المطبوع في هامش شرح صحيح البخاري .

(٢) ما اورع ابا هريرة ! واحوطه في حديثه ، ألا تراه كيف لم يجز انها العصر ولم يعول على ظنه ! !

(٣) ورع ابي هريرة في حديثه يتمثل للناظرين بذكر هذه الخشبة ووضع النبي يده عليها إذ لا دخل لها في موضوع هذا الكلام ولا في حكمه وإنما دعاه إلى ذكرها الاحتياط بنقل الوقائع بجميع حذافيرها ؟ ؟

(٤) كذا في صحيح البخاري ولعل الصواب ذا اليدين .

ولم تقصر ! قال : بلى نسيت ! فصلى ركعتين ! ثم سلم ثم كبر ! فسجد الحديث[1] . وفيه كيفية سجود السهو ، وأنت ترى ما فيه من الوجوه الحاكمة بامتناعه .

أحدها : ان مثل هذا السهو الفاحش لا يكون ممن فرّغ للصلاة شيئاً من قلبه ، أو أقبل عليها بشيء من لبه ، وإنما يكون من الساهين عن صلاتهم ، اللاهين عن مناجاتهم ، وحاشا أنبياء الله من احوال الغافلين ، وتقدسوا عن اقوال الجاهلين ، فان أنبياء الله عز وجل ولا سيما سيدهم وخاتمهم أفضل مما يظنون على أنه لم يبلغنا مثل هذا السهو عن أحد ولا أظن وقوعه إلا ممن يمثل حال القائل :

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها — أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا ؟

وأما وسيد النبيين، وتقلبه في الساجدين، ان مثل هذا السهو لو صدر مني لاستولى علي الحياء وأخذني الخجل واستخف المؤتمون بي وبعبادتي ومثل هذا لا يجوز على أنبياء الله أبداً .

الثاني : ان الحديث قد اشتمل على ان النبي (ص) قال لم أنس ولم تقصر فكيف يمكن أن يكون قد نسي بعد هذا ؟ ولو فرضنا عدم وجوب عصمته عن مثل هذا السهو ، فان عصمته عن المكابرة والتسرع بالأقوال المخالفة للواقع مما لابد منه عند جميع المسلمين .

الثالث : ان أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث ، وتعارضت أقواله فتارة يقول : صلى بنا إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر —

(1) نقلناه بلفظ البخاري في باب من يكبر في سجدتي السهو ، وأخرجه أيضاً في كل من البابين المذكورين قبله بلا فصل فراجع ابواب ما جاء في السهو ص ١٤٥ من الجزء الاول من صحيحه واخرجه ايضاً في مواضع أخر كثيرة يعرفها المتتبعون ، اما مسلم فقد اخرجه في باب السهو في الصلاة والسجود له بطرق عديدة فراجع ص ٢١٥ من الجزء الاول من صحيحه ، واخرجه احمد في آخر ص ٢٣٤ من الجزء الثاني من مسنده وفي مواضع اخر كثيرة .

على سبيل الشك – واخرى يقول : صلى بنا صلاة العصر – على سبيل القطع بأنها العصر – وثالثة يقول : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلاة الظهر – على سبيل القطع بأنها الظهر – وهذه الروايات كلها ثابتة في صحيحي البخاري ومسلم كليهما ، وقد ارتبك فيها شارحوا الصحيحين ارتباكاً دعاهم الى التعسف والتكلف كما تكلفوا وتعسفوا في الرد على الزهري إذ جزم بأن ذا اليدين وذا الشمالين واحد لا اثنان ، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا (تحفة المحدثين) .

الرابع : ان ما اشتمل هذا الحديث عليه من قيام النبي (ص) عن مصلاه ووضع يده على الخشبة وخروج سرعان من المسجد وقولهم أقصرت الصلاة ؟ . وقول ذي اليدين أنسيت أم قصرت ؟ . وقول النبي (ص) لم أنس ولم تقصر . فقال له : قد نسيت ، وقيل النبي لأصحابه : أحق ما يقول قالوا : بلى نعم وغير ذلك مما نقله أبو هريرة[1] لما يمحو صورة الصلاة بتاتاً : والمعلوم من الشريعة المقدسة يقيناً بطلان الصلاة بكل ماح لصورتها فلا يمكن بعد هذا بناؤه (ص) على الركعتين الأوليتين لأنه يناقض الحكم المقطوع بثبوته عنه (ص) فتأمل .

الخامس : أن ذا اليدين المذكور في الحديث انما هو ذو الشمالين[2] ابن عبد عمرو حليف بني زهرة ، وقد استشهد في بدر ، نص على ذلك امام بني زهرة وأعرف الناس بحلفائهم محمد بن مسلم الزهري كما في الاستيعاب والاصابة وشروح الصحيحين كافة وهذا هو الذي صرح به الثوري في أصح الروايتين عنه وأبو حنيفة حين تركوا العمل بهذا الحديث ، وافتوا بخلاف مفاده – كما في اواخر باب السهو والسجود له من شرح

---

(١) فان من جملة ما نقله في رواية اخرى انه (ص) دخل الحجرة ثم خرج ورجع الناس .

(٢) اسمه عمير ، ويقال : عمرو وكذا في الاصابة .

النووي لصحيح مسلم[١] – وحسبك حديث النسائي مما يدل على ان ذا اليدين وذا الشمالين واحد – واليك لفظه: قال[٢] فقال له ذو الشمالين ابن عبد عمرو : أنقصت الصلاة أم نسيت ؟ فقال النبي (ص) : ما يقول ذو اليدين فصرح بأن ذا الشمالين هو ذو اليدين ، ومثله بل أصرح منه ما أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة[٣] عن أبي سلمة عن عبد الرحمن وأبي بكر بن سليمان ابن أبي خيثمة كليهما عن أبي هريرة ، قال صلى رسول الله (ص) الظهر أو العصر فسلم في ركعتين ، فقال له ذو الشمالين ابن عبد عمرو (قال) : وكان حليفاً لبني زهرة أخففت الصلاة أم نسيت ؟ . فقال النبي (ص) ما يقول ذو اليدين ؟ قالوا صدق ، الحديث .

وأخرج أبو موسى من طريق جعفر المستغفري كما في ترجمة عبد عمرو بن نضلة من الاصابة بالاسناد إلى محمد بن كثير عن الاوزاعي عن الزهري عن كل من سعيد بن المسيب وأبي سلمة وعبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة قال : سلم رسول الله (ص) في الركعتين فقام عبد عمرو[٤] بن نضلة رجل من خزاعة حليف لبني زهرة فقال : أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ . الحديث ، وفيه قول النبي (ص) : صدق ذو الشمالين ؟ .

فهذه الأحاديث كلها صريحة في أن ذا اليدين المذكور في حديث أبي هريرة إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو حليف بني زهرة ، ولا

(١) في ص ٢٣٥ من الجزء الرابع من الشرح وهو مطبوع في هامش ارشاد القسطلاني وتحفة زكريا الأنصاري .
(٢) كما في ص ٢٦٧ من الجزء الثالث من ارشاد القسطلاني .
(٣) كما في ص ٢٧١ وفي ص ٢٧٤ من الجزء ٢ من المسند .
(٤) كذا في الإصابة وقد عرفت انه قد قال : ان اسم ذوالشمالين عبد عمرو .

ريب في أن ذا الشمالين المذكور قتل يوم بدر قبل أن يسلم أبو هريرة بأكثر من خمس سنين ، وان قاتله اسامة الجشمي ، نص على ذلك ابن عبد البر وسائر أهل الأخبار فكيف يمكن أن يجتمع مع أبي هريرة في الصلاة خلف رسول الله (ص) يا اولي الألباب ؟؟.

وقد اعتذر بعضهم بأن الصحابي قد يروي ما لا يحضره بأن يسمعه من النبي (ص) أو من صحابي آخر ، وعلى هـذا لا يكون موت ذي اليدين قبل إسلام أبي هريرة مانعاً من رواية أبي هريرة لهذا الحديث.

لكن هذا الاعتذار غلط محض، لأن دعوى الحضور من أبي هريرة محفوظة ثابتة برواية الثقات الحفظة الاثبات ، وحسبك في اثباتها ما أخرجه البخاري فيما جاء في السهو من صحيحه[1] عن آدم بن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : صلى بنا النبي (ص) الظهر أو العصر وساق حديث ذي اليدين.

وأخرج مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه[2] عن محمد بن سيرين قال : سمعت أبا هريرة يقول : صلى بنا رسول الله (ص) احدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر وساق الحديث.

وقد ارتبك الإمام الطحاوي في هذه الأحاديث لبنائه على صحتها مع جزمه بما جزم به الإمام الزهري من أن ذا اليدين انما هو ذو الشمالين حليف بني زهرة المستشهد في بدر قبل إسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين ، فلا يمكن اجتماعها في الصلاة أبداً ، لذلك اضطر الى التأويل فحمل — كما في ص ٢٦٦ من الجزء الثالث من ارشاد الساري في شرح

---

(١) راجع الباب الثالث من أبواب ما جاء في السهو وهو باب اذا سلم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدتين مثل سجود الصلاة او اطول ص ١٤٥ من جزئه الأول.

(٢) ص ٢١٥ من جزئه الأول.

البخاري للقسطلاني — قول أبي هريرة في هذه الأحاديث : صلى بنا على المجاز وان المراد صلى بالمسلمين .

والجواب أنه قد ثبت عن أبي هريرة النص الصريح بحضوره على وجه لا يقبل التأويل أبداً ، وحسبك ما أخرجه مسلم في باب السهو في الصلاة والسجود له من صحيحه(١) عن أبي هريرة قال : بينا أنا اصلي مع رسول الله (ص) صلاة الظهر سلم في الركعتين وساق الحديث ، فهل يأتي التجوز فيه ؟. كلا ! بل منينا بقوم لا يتأملون ؟ ؟ فإنا لله وانا اليه راجعون .

١٤ — كان النبي يؤذي ويجلد ويسب ويلعن من لا يستحق !! :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً : اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو لعنته ، أو جلدته ، فاجعلها له كفارة وقربة بها تقربه اليك ، الحديث(٢) .

وفيه ان رسول الله (ص) وسائر الأنبياء لا يجوز عليهم أن يؤذوا أو يجلدوا أو يسبوا أو يلعنوا من لا يستحق ، سواء أكان ذلك في حال الرضا أم في حال الغضب ، بل لا يمكن أن يغضبوا بغير حق ، وتعالى الله عن ارسال رسل يستفزهم الغضب الى جلد من لا يستحق أو لعنه

(١) ص ٢١٦ من جزئه الأول .
(٢) اخرجه مسلم في ص ٣٩٢ والتي قبلها من الجزء الثاني من صحيحه في باب من لعنه النبي وليس هو اهلا لذلك من كتاب البر والصلة والآداب وطرقه ثمة الى ابي هريرة ثمانية ، واخرجه البخاري ايضاً في صفحة ٧١ من الجزء الرابع من صحيحه في باب قول النبي من آذيته فاجعل ذلك له قربة اليك من كتاب الدعوات ، واخرجه احمد في ص ٢٤٣ من الجزء الثاني من مسنده .

أو سبه أو اذيته ، وتنزهت أنبياء الله عن كل قول أو فعل ينافي عصمتهم ، وتقدسوا عن كل ما لا يليق بالحكماء .

وقد علم البر والفاجر والمؤمن والكافر ان ايذاء من لا يستحق من المؤمنين أو جلدهم أو سبهم أو لعنهم على الغضب ظلم قبيح وفسق صريح ، يربأ عنه عدول المؤمنين ، فكيف يجوز على سيد النبيين ، وخاتم المرسلين ؟ وقد قال (ص)[1] : سباب المسلم فسوق ، وعن أبي هريرة[2] قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين ، قال : إني لم أبعث لعاناً وانما بعثت رحمة ، هذه حاله مع المشركين فكيف به مع من لا يستحق من المؤمنين ؟ وقد قال (ص)[3] : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ، وعن عبد الله بن عمرو[4] لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : ان خياركم أحاسنكم أخلاقاً وعن أنس[5] قال : لم يكن رسول الله فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً ، وقال أبوذر[6] لأخيه حين بلغه مبعث النبي (ص) اركب الى هذا الوادي فاسمع من قوله ، فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وعن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : اتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب ، وذكرت ذلك لرسول الله

---

(١) من حديث اخرجه البخاري ص ٣٩ من الجزء الرابع من صحيحه في باب ما ينهى عنه من السباب واللعن من كتاب الآداب .

(٢) فيما اخرجه مسلم ص ٣٩٣ من الجزء الثاني من صحيحه في باب النهي عن لعن الدواب وغيرها .

(٣) فيما اخرجه مسلم في الصفحة المذكورة أعني ص ٣٩٣ من جزء ٢ .

(٤) فيما أخرجه البخاري في ص ٣٨ من الجزء الرابع من صحيحه في باب حسن الخلق .

(٥) فيما أخرجه البخاري في ص ٣٩ من الجزء الرابع من صحيحه في باب ما ينهى عنه من السباب واللعن .

(٦) كما في ص ٣٨ من الجزء الرابع من صحيح البخاري .

(ص) فأومأ باصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق اهـ. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك؟ قال: نعم، قلت في الرضا والغضب؟ قال: نعم فاني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً اهـ[1].

وسئلت عائشة عن خلق النبي (ص) فقالت: هل قرأت القرآن قال: نعم قالت: خلقه القرآن، قلت: يا لها كلمة تدل على بلاغتها ومعرفتها بكنه اخلاقه (ص) ولا غرو فقد رأته (ص) والقرآن نصب عينيه يهتدي بهديه، ويستضيء بنور علمه، متعبداً بأوامره وزواجره، متأدباً بآدابه، مطبوعاً على حكمته، يتبع أثره، ويقتفي سوره، فاقرأ خلقه ـ ان شئت ـ في قوله تعالى[2] (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبينا ـ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون[3] والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين[4] واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً[5] خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين[6] ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم[7] وقولوا للناس حسناً[8] واجتنبوا قول الزور[9] ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[10] وما لنا أن

---

(١) أخرج هذين الحديثين كليهما ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله فراجع من مختصره باب الرخصة في كتاب العلم ص ٣٦.
(٢) هي الآية ٥٨ من سورة الأحزاب.
(٣) هي الآية ٣٨ من سورة الشورى.
(٤) هي الآية ١٣٥ من آل عمران.
(٥) هي الآية ٦٤ من سورة الفرقان.
(٦) هي الآية ١٩٩ من الأعراف.
(٧) هي الآية ٣٤ من فصلت.
(٨) هيالآية ٨٣ من البقرة.
(٩) هي الآية ٣٠ من الحج.
(١٠) هي الآية ٣٧ من المائدة.

لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون[١] ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور[٢] واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين[٣] فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله[٤].

هذا خلق رسول الله (ص) وهذه حاله مع المؤمنين وغيرهم وهو القائل[٥] الرجل من ملك نفسه عند الغضب، وقال(ص)[٦] من يحرم الرفق يحرم الخير وقال (ص)[٧] الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه وقال (ص)[٨]: ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه، وقال (ص)[٩]: المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وحسبك قوله تعالى وهو أصدق القائلين: (وإنك لعلى خلق عظيم).

فكيف يجوز عليه ــ بعد هذا ــ أن يلعن أو يسب أو يجلد أو يؤذي على مجرد الغضب نعوذ بالله وبه نستجير؟! ما قدروا الله حق قدره فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

انما وضع هذا الحديث على عهد معاوية تزلفاً اليه، وتقرباً الى آل

---

(١) هي الآية ١٢ من ابراهيم.
(٢) هي الآية ١٨٦ من آل عمران.
(٣) هي الآية ٢١٥ من الشعراء.
(٤) هي الآية ١٥٩ من آل عمران.
(٥) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٩٦ من الجزء الثاني من صحيحه.
(٦) فيما أخرجه مسلم في ص ٣٩٠ من الجزء الثاني من صحيحه.
(٧) فيما أخرجه مسلم في الصفحة المذكورة.
(٨) فيما أخرجه مسلم في الصفحة الآنفة الذكر اعني ص ٣٩٠ من الجزء الثاني من صحيحه.
(٩) فيما أخرجه البخاري في الصفحة السادسة من الجزء الأول من صحيحه.

أبي العاص ، وسائر بني أُمية وتداركاً لما ثبت عن النبي (ص) : من لعن جماعة من منافقيهم وفراعنتهم إذ كانوا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً فسجل عليهم رسول الله (ص) بلعنه إياهم في كثير من مواقفه المشهودة خزياً مؤبداً ، ليعلم الناس أنهم ليسوا من الله ورسوله في شيء ، فيأمن على الدين من نفاقهم ، وعلى الامة من عيثهم ، وما كان ذلك منه إلا نصحاً لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين من بعده ولعامتهم .

وقد كان (ص) رأى في منامه كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبره كما تنزو القردة فيردون الناس على أعقابهم القهقرى ، فما رؤي بعدها مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي(١) وقد أنزل الله تعالى في ذلك عليه قرآناً يتلوه المسلمون آناء الليل واطراف النهار (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً وكفراً) (٢) والشجرة الملعونة في القرآن هي الاسرة الأموية أخبره الله تعالى بتغلبهم على مقامه وقتلهم ذريته ، وعيثهم في أمته فلم ير بعدها ضاحكاً حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وهذا من أعلام النبوة وآيات الإسلام والصحاح فيه متواترة ولا سيما من طريق العترة الطاهرة .

أعلن رسول الله (ص) أمر هؤلاء المتغلبين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وحسبك من اعلانه أن الحكم بن أبي العاص استأذن عليه مرة فعرف (ص) صوته وكلامه فقال(٣) : إئذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج

---

(١) اخرجه الحاكم في ص ٤٨٠ من الجزء الرابع من مستدركه في كتاب الفتن والملاحم وصححه على شرط الشيخين واعترف الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك على تعنته .

(٢) هي الآية ٦ من الاسراء .

(٣) فيما اخرجه الحاكم وصححه في صفحة ٤٨١ من الجزء الرابع من مستدركه في كتاب الفتن والملاحم .

من صلبه إلا المؤمن منهم[١] وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق .

وقال (ص)[٢] : اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ، ودين الله دغلاً .

وقال (ص) مرة اخرى[٣] : إذا بلغ بنو أمية اربعين اتخذوا عباد الله خولاً ، ومال الله نحلاً ، وكتاب الله دغلاً .

وكان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي (ص) فدعا له فادخل عليه مروان بن الحكم ، فقال (ص)[٤] : هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون . .

وعن عائشة من حديث[٥] قالت فيه : ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه — قالت — فمروان قصص من لعنة الله .

وعن الشعبي عن عبد الله بن الزبير قال[٦] : إن رسول الله (ص) لعن الحكم وولده .

والصحاح في هذا ونحوه متواترة ، وحسبك منها ما أخرجه الحاكم

---

(١) هذا المؤمن المسكين لم يبق له في عرف ابي هريرة حظ من القرب لله ولا نصيب من الرحمة حيث استثناه النبي (ص) من هذه اللعنة فأولياء ابي هريرة يؤثرون عدم استثنائه كما يتمنون ان يلعنهم رسول الله ويلعن آباءهم ليكون ذلك كفارة لهم وقربة .

(٢) اخرجه الحاكم بالاسناد إلى كل من ابي ذر وامير المؤمنين علي وابي سعيد الخدري وصححه في ص ٤٨٠ من الجزء الرابع من المستدرك وصححه الذهبي في تلخيصه ايضاً .

(٣) اخرجه الحاكم في ص ٤٧٩ من الجزء الرابع من صحيحه المستدرك باسناده الى ابي ذر من طريقين .

(٤) فيما اخرجه الحاكم وصححه في صفحة ٤٧٩ من الجزء الرابع من مستدركه .

(٥) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين في ص ٤٨١ من الجزء الرابع من مستدركه

(٦) أخرجه الحاكم وصححه في آخر صفحة ٤٨١ من الجزء الرابع من المستدرك .

في كتاب الفتن والملاحم من صحيحه المستدرك ، إذ أخرج منها ما فيه بلاغ لأولى الألباب ، وختم الباب بقوله[1] : ليعلم طالب العلم أن هذا الباب لم أذكر فيه ثلث ما روي وان أول الفتن في هذه الامة فتنتهم — قال — : ولم يسعني فيما بيني وبين الله ان اخلي الكتاب من ذكرهم اه .

قلت : وهذا القدر كاف لإثبات ما قلناه من أنهم إنما اختلقوا هذا الحديث وأمثاله تداركاً لتلك اللعنات ، ومما يوجب الأسف أن العامة آثرت اولئك اللعناء المنافقين على نبيها (ص) من حيث لا تشعر إذ صححوا هذه الخرافة صوناً للملعونين ، ولم يأبهوا بما يلزم ذلك من اللوازم التي لا تليق برسول الله (ص) .

وما كان للأمة أن تحتفظ بكرامة من لعنهم نبينا لنفاقهم ، ونفاهم لفسادهم فتضيع على أنفسها المصلحة التي توخاها (ص) لها في لعنهم واقصائهم ، وهم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله (ص) فيطرحوه ، وكان إذ ذاك قافلاً من غزوة تبوك في حديث ثابت مستفيض[2] وهو طويل ، وقد جاء في آخره فلعنهم رسول الله (ص) يومئذ .

والعجب من المسلم ينتصر لهم وقد جرعوا النبي (ص) كل غصة وقعدوا له في كل مرصد ، ووثبوا عليه وعلى أهل بيته من بعده كل وثبة[3] وما لعنهم إلا ليطردهم الله من رحمته ، ويجتنبهم المؤمنون من

---

(١) في اول صفحة ٤٨٠ من الجزء الرابع من مستدركه ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على تخوفه من العامة وجمهور المسلمين ان ينكروا عليه إخراج هذه الصحاح فاعتذر اليهم بأنه لم يسعه ان يخلي كتابه منها وجعل الله شهيداً فيما بينه وبينهم على ذلك وهنا عرفت معنى قول القائل :

ما المسلمون بأمة لمحمد كلا ولكن أمة لعدوه

(٢) وقد اخرجه الامام احمد من حديث ابي الطفيل عامر بن واثلة في اواخر الجزء الخامس من مسنده .

(٣) ذكر الزبير بن بكار قضية كانت في الشام بين إمام الامة وسيد شباب اهل الجنة =

أمته جزاء وفاقــاً ، لا ليقربهم الى الله زلفى كما يخرفون .

١٥ ــ عروض الشيطان لرسول الله وهو في الصلاة :

أخرج الشيخان بالإسناد الى أبي هريرة قال : صلى رسول الله صلاة فقال (ص) : ان الشيطان عرض لي فشد علي يقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته ــ أي فخنقته ــ ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان (ع) : ربي هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي الحديث[1] .

= أبي محمد الحسن السبط وخصومه وهم معاوية واخوه عتبة وابن العاص وابن عقبة وابن شعبة ، وقد احتدم فيها الجدال فكان من جملة ما قاله الحسن يومئذ : وانتم تعلمون ان رسول الله (ص) لعن ابا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها واسترسل في ذكرها موطناً موطناً ثم تكلم مع ابن العاص ، فكان مما قاله يومئذ له : انك لتعلم وكل هؤلاء يعلمون انك هجوت رسول الله (ص) بسبعين بيتاً من الشعر فقال (ص) : اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي أللهم العنه بكل حرف الف لعنة فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن ، والقضية طويلة فراجعها في ص ١٠١ الى ص ١٠٤ من المجلد الثاني من شرح النهج الحميدي . واوردها الطبرسي في احتجاجه والمجلسي في بحاره ، وغير واحد من الخاصة والعامة ، واخرج مسلم في آخر باب من لعنه النبي وليس اهلا لذلك ــ ص ٣٩٢ من الجزء الثاني من صحيحه ــ بالاسناد الى ابن عباس ان النبي (ص) امره ان يدعو له معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل ، ثم قال لي : إذهب فادع لي معاوية ، قال فجئت هو يأكل ، فقال (ص) لا اشبع الله بطنه (قلت) : وجاء في بعض طرقنا الى ابن عباس في هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن معاوية يومئذ ، ويدلك على لعنه يومئذ ان مسلماً اورد هذا الحديث في باب من لعنه النبي في صحيحه كما سمعت لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه احتفاظاً منهم بكرامة هؤلاء المنافقين .

(١) اخرجه البخاري في ص ١٤٣ من الجزء الاول من صحيحه في باب ما يجوز من العمل في الصلاة ، واخرجه مسلم في ص ٢٠٤ من الجزء الاول من صحيحه في باب جواز لعن الشيطان في الصلاة ، واخرجه احمد في ص ٢٩٨ من حديث ابي هريرة في الجزء الثاني من مسنده .

وفيه ان أنبياء الله وخيرته من خلقه صلوات الله وسلامه عليهم يجب أن يكونوا في نجوة[1] من هذا وفي منترح عنه[2] فانه ينافي عصمتهم ، ويضع من قدرهم ، ومعاذ الله أن يشد الشيطان عليهم ، أو يعرض لهم ، أو تسول له نفسه الطمع فيهم ، وقد قال الله عز وجل : « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » .

وعلم المسلمون على اختلافهم في المذاهب والمشارب ان الشيطان قد عقر[3] بمولد رسول الله (ص) ودهش بمبعثه، وبرق بهجرته ، وخرق[4] بظهوره ، ونصرته ، وانماث كالملح في الماء بهديه وقوانينه ونظمه ، وطــار شعاعاً من صلاته ، وذهب لماعاً بما اودعه الله فيها من الحكم والأسرار فاذا هي تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وكان (ص) إذا قام الى الصلاة تخلى بنفسه المطمئنة ، وتجرد بروحه الروحية عن كل شيء سوى الله وحده يتمحض اقبالاً على الله ، وعبودية خالصة لوحدانيته عز سلطانه ، فاذا أحرم لها بالتكبير تعوذ بالله قبــل الشروع في القراءة عملاً بقوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ومن البديهي أنه اذا استعاذ بالله يعوذه ، والشيطان لا يجهل هذه الحقيقة وإن جهلها المخرفون .

وقد روى أبو هريرة[5] ان الشيطان اذا سمع الأذان للصلاة من أي

---

(١) النجوة في الاصل ما ارتفع من الارض جمع نجاة ، تقول : انك من الامر بنجوة إذا كنت بعيداً منه بريئا سالماً . (٢) مأخوذ من انترح بمعنى ابتعد .

(٣) بفتح العين وكسر القاف اي فاجأه الروع فدهش فلم يقدر ان يتقدم او يتأخر .

(٤) اي بهت شاخصاً ببصره .

(٥) فيما اخرجه البخاري في اول كتاب الاذان ص ٧٨ من الجزء الاول من صحيحه ، واخرجه مسلم في باب فضل الاذان وهرب الشيطان منه ص ١٥٤ من الجزء الاول من صحيحه .

مسلم كان أدبر هارباً وولى فرقاً ، وله ضراط هلع وجزع ، فكيف يجرأ على رسول الله (ص) فيتسور على مقامه الرفيع ، وهو في ذلك الحرم المنيع ، بين يدي الله . عائذاً بعزته ، لائذاً بعصمته ، منقطعاً اليه عن كل شيء ، هيهات هيهات « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه وهم به مشركون » .

فان قلت : ما تقولون في الآية ٣٧ من حم السجدة وهي قوله عز من قائل « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » .

قلنا : ان الله جلت آلاؤه أدب حبيبه محمداً بآداب اختصه بها ففضله على العالمين حتى لم يبق نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، ولا شيطان مريد ، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد ، إلا بخع لآدابه ، وخشع لأخلاقه ، فما من أمر في الذكر الحكيم إلا ائتمر به ، وما من زجر في القرآن العظيم إلا انزجر به ، وما من حكمة إلا أخذ بها ، كان القرآن نصب عينيه ، يقتفي أثره ، ويتبع سوره ، وهذه الآية مما جاء في سياق آدابه واخلاقه ، فانظر الى ما قبلها من الآيات البينات تجد الحكمة ، وفصل الخطاب ، فان ما قبلها بلا فصل (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

هذه هي الغاية في الأخلاق طبع الله عليها عبده ، وخاتم رسله ، فكان (ص) يمثلها في هديه منذ قال في مبدأ أمره (ودم جبهته يسيل على وجهه ولحيته) أللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون الى أن نادى مناديه يوم الفتح وكان في منتهى عمره من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

أرهف الله عزائمه ، وشحذ هممه للأخذ بهذه التعاليم وحمله على هذه الأخلاق بكل اسلوب يأخذ اليها بالأعناق ، ألا تراه جل وعلا كيف لم يكتف ببعثه عليها حتى شوقه اليها ، وبلغ الغاية في تحضيضه عليها ،

فقال وهو أصدق القائلين : (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) ثم لم يقف على هذا الحد في ارهاف عزيمته حتى حذره مما طبع البشر عليه من فورة تكون في النفس ، ونزعة ــ أي نخسة ــ تكون في القلب عند هجوم الأذى ، الممض من العدو الملح ، وسمى تلك النخسة البشرية نزغاً من الشيطان على سبيل المجاز تنفيراً منها وتنزيهاً عنها فقال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) أي وإما ينخسنك من الغضب الذي طبع عليه البشر نخس يشبه نزغ الشيطان في تضييق الصدر وتوهين عرى الصبر (فاستعذ بالله) ونظير هذه الآية قوله عز من قائل ــ في سورة الأعراف ــ (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ، واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) فان الله عز وجل أراد صيانة حبيبه عن مقابلة الجاهلين الذين قامت عليهم الحجة فجحدوها وتمادوا بالكفر عناداً لله تعالى ورسوله (ص) فأمره بالإعراض عنهم ، ولمزيد عنايته في تهذيبه وتفضيله على البشر حذره بما طبع البشر عليه من التأثر القلبي ، والتزفر النفسي عند هجوم الجاهلين بسفههم وبذاءتهم ، وسمى ذلك التأثر الطبيعي نزغاً من الشيطان على سبيل التجوز تنزيهاً لنبيه عنه ، وتنفيراً له منه إذ كان (ص) لا ينفر من شيء نفوره من الشيطان ، ومما يشبه عمله فقال عز من قائل : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) يوهن صبرك عن احتمال سفه الجاهلين ويدعوك الى اظهار الغضب منهم (فاستعذ بالله) .

فأين هذا المعنى عما جاء في حديث أبي هريرة من شدّ الشيطان على رسول الله (ص) ليقطع عليه صلاته ؟ الأمر الذي لا يجوز بحكم العقل والنقل .

(فان قلت) : ما تقول في الآية ٥٢ من سورة الحج (وما ارسلنا

---

(١) الامنية ما يتمنى والجمع امان واماني .

من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك) الآية .

(قلنا) : ان من المعلوم بحكم الضرورة من دين الإسلام ان رسول الله (ص) وسائر الرسل والأنبياء (ع) لا يجوز عليهم أن يتمنوا ما لا يرضى الله به وحاشاهم أن يتمنوا من الامور كلها إلا ما كان لله فيه رضاً ولعباده صلاح .

وقد كان (ص) يتمنى لأهل الأرض كافة ولكل واحد منهم **أن** يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ولا سيما الأقرب اليه منهم فالأقرب والشيطان كان يلقي في هذه الأمنية[1] بغروره وحيله ما يشوهها في نظر من كان كأبي لهب وأبي جهل ممن استحوذ عليهم بفتنته فصدهم عما تمناه الرسول لهم من خير الدنيا والآخرة حتى أغراهم بقتاله واستئصاله .

وكان (ص) يتمنى لمن دخل في الإسلام كافة ولكل واحد منهم أن يخلصوا لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولسائر عباده اخلاصاً تستوي فيه ظواهرهم وبواطنهم وعلانياتهم وسرائرهم لكن الشيطان كان يلقي في هذه الأمنية المبرورة من تسويله وتضليله ما يقتضي تشويش كثير من الناس ويوجب نفاقهم .

وكان (ص) يتمنى لكل فرد من أمته أن ينهج منهاجه القويم ، وصراطه المستقيم ، لا يحيد قيد شعرة فما دونها عن سنته المقدسة وكانت قصارى أمانيه أن تتفق الامة على هديه وتكون باجمعها نصب أمره ونهيه فلا يختلف منها اثنان لكن الشيطان القى في هذه الأمنية المشكورة من وسوسته في صدور كثير من الناس ما خدعهم عن السنن فتفرقت بهم السبل وكانوا طرائق قددا . وهكذا كان الغرور الرجيم يرصد ما يتمناه الرسول من

خبر عام أو خاص فيلقي فيه من التشويه في نظر المغترين بزخارفه مـا يصرفهم عنه .

والمنخدعون بأباطيل الشيطان وأضاليله كثيرون ، قد أعدلهم خيله ورجله ، ونصب لهم حبائله وأشراكه ، ووقف لهم على ساق يريهم الحق بغروره باطلاً ، والباطل بزخارفه حقاً ، لا يألوا جهداً في تشويه ما يتمناه الرسول لهم ، ولا يدخر وسعاً في صدهم عنه بكل حيلة .

وهذا ما أقض مضجع رسول الله (ص) اشفاقاً على الناس من هذا الوسواس الخناس ، وفرقاً من أضاليله وأباطيله أن تظهر على الحق المبين فكان (ص) بسبب ذلك مستوجباً للتعزية من الله عز وجل فعزاه وخفض عليه بهذه الآية (وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي [1] إلا إذا تمنى) مثل ما تمنيت من الخير خاصاً أو عاماً (القى الشيطان في أمنيته) ما القاه في أمنيتك من التشويه بالتمويه على كثير من الناس فصدهم عنها بغروره وفتنته فان الرسل والأنبياء كانوا بأجمعهم يتمنون لأهل الأرض عامة أن يكونوا على هدى من ربهم ، وكانوا بأسرهم يتمنون لمن آمنوا بهم أن يخلصوا لله اخلاصاً حقيقياً لا تشوبه شائبة ، وكانت قصارى أمانيهم أن تتفق أممهم على هديهم فلا يختلف في ذلك منهم اثنان ، لكن الشيطان كان يلقي في هذه الأماني الشريفة من وسوسته ما يخدعهم عنها فلم تتحقق أمانيهم الا قليلاً حتى افترقت امة موسى احدى وسبعين فرقة ، وافترقت امة عيسى اثنين وسبعين فرقة ، وهكذا امم الأنبياء كافة لم تتحقق فيهم اماني رسلهم بسبب ما يلقيه الشيطان فيها من التشويه بالتمويه ، فلا يكبرن عليك (يا محمد) ما منيت به في أمانيك المقدسة حيث لم تتحقق في كثير من الأوقات بسبب ما يلقيه الشيطان فيها من التشويه الموجب لصرف

---

(١) من ، الاولى لابتداء الغاية ، ومن ، الثانية زائدة لتاكيد النفي وهذه الآية دالة بظاهرها على التغاير بين الرسول والنبي ، والتحقيق في هذا موكول الى مظانه .

كثير من الناس عنها ولك أسوة حسنة في هذا بجميع من كان قبلك من الرسل والأنبياء فانك وإياهم في هذا الأمر شرع سواء، سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا .

وحيث كان (ص) مشفقاً من أباطيل الشيطان أن تظهر على الحق أمنه عز وجل من هذه الناحية إذ قال : (فينسخ الله) أي فيزيل الله (ما يلقي الشيطان) في أمانيك وأماني الرسل والأنبياء من تشويهها بتمويهه الذي لا يثبت أمام الحق الساطع والبرهان القاطع أبداً ثم بشره بظهور الحق الذي جاء به عن ربه . وجاءت به الرسل والأنبياء من قبله وبقائه محكماً فقال وقوله الحق ووعده الصدق (ثم يحكم الله آياته) أي يتقنها كما قال في مقام آخر (ويحق الله الحق بكلماته ولوكره المجرمون) .

وأولوا الألباب يعلمون ان ليس المراد من النسخ والإحكام هنا معناها المصطلح عليه في عرف المفسرين ، وإنما المراد من النسخ والإحكام في هذه الآية معناها اللغوي ، فالنسخ بمعنى الإزالة والإحكام بمعنى الإتقان وهذه الآية في نسخها وإحكامها ليست إلا كقوله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) .

ثم لمزيد عنايته عز وعلا بنبيه الفته الى ما يوجب له مزيد الطمأنينة بفوز الأنبياء وخزي الشيطان فقال (والله عليم حكيم) وسع كل شيء علماً وحكمة يعلم اخلاص الرسل والأنبياء في أمانيهم فيمدهم بروح القدس من عنده ويبوئهم مبوأ صدق من كرامته ويعلم عداوة الشيطان لله ولرسوله ولعباده بما يلقيه من التشويه في أماني الرسل والأنبياء فيخزيه بخبث سريرته ولؤم علانيته على ما تقتضيه الحكمة من كرامة من يستحق الكرامة وخزي من يستحق الخزي فان الحكمة وضع الامور في مواضعها .

وقد شاءت حكمته تعالى أن يميز الخبيث من الطيب من عباده فابتلاهم

بالغرور الرجيم يلقي التشويه في أماني الرسل والأنبياء (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) أي اختباراً وتمحيصاً (للذين في قلوبهم مرض) من النفاق (والقاسية قلوبهم) لا تلين لذكر الله وما نزل من الحق إذا ران عليها ما سول الشيطان لهم من الكفر فحجبها عن نور الإيمان والهدى (وان الظالمين) من المنافقين والكفار (لفي شقاق بعيد) أي في عداوة لله ولرسوله لا أجل لها قد أعمت عن الحق أبصارهم وأصمت أسماعهم ورانت على قلوبهم، ونعقوا بسببها مع كل ناعق من الشيطان (وليعلم الذين اوتوا العلم) بوحدانية الله وحكمته وبعثة الرسل والأنبياء (انه الحق من ربك ليؤمنوا به) غير آبهين بالشيطان ولا بشيء من تهويله وتضليله.

وبالجملة: فان الله سبحانه شاءت حكمته أن يميز الخبيث من الطيب فامتحن الناس بما قلناه فازداد الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم مرضاً وقسوة وازداد المؤمنين ايماناً ويقيناً فقوله عز وجل: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الى أن قال: وليعلم الذين اوتوا العلم، جار مجرى قوله تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [١] وقوله تعالى: (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) [٢] وقوله عز اسمه (وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين) [٣].

ولا غرو فان لله عز وجل أن يمتحن عباده من صنوف المحن وأنواع الفتن لتكون له الحجة في الثواب والعقاب كما هو مبرهن عليه في محله من كتب الأصحاب (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين [٤]) ليهلك من هلك

---

(١) في أول سورة العنكبوت.
(٢) الآية ١٧٩ من سورة آل عمران.
(٣) الآية ١٤١ من سورة آل عمران.
(٤) الآية ١٤٩ من سورة الانعام.

عن بينة ويحيى من حي عن بينة)[١] .

ولنرجع الى أصل الآية : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ، فانه لا يراد بها ان الشيطان يلقي في نفس الرسول أو النبي شيئاً (والعياذ بالله) ليشكل الامر فنحتاج الى تخريج الآية على خلاف ظاهرها وإنما المراد ما نصت الآية عليه من أن الشيطان يلقي في الامنية نفسها أي يلقي فيما يتمناه الرسول أو النبي — من الخير والسعادة — شيئاً من التشويه في نظر رعاع الشيطان والناعقين معه ليصدهم بسبب ذلك عما تمناه الرسول لهم ويحول بين الامنية وتحققها في الخارج فتكون الآية الحكيمة على حد قول القائل : ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

هذا هو المراد من الآية قطعاً وهو المتبادر منها الى الأذهان وان لم يذكره — فيما أعلمه — أحد من المفسرين أو غيرهم ، والعجب من غفلتهم عنه على وضوحه وكونه هو اللائق بالذكر الحكيم والنبي العظيم ، وسائر الرسل والأنبياء عليهم السلام فلا يجوز حمل الآية على ما سواه أبداً[٢] .

أما حديث الغرانقة فانه من مختلقات الزنادقة كما أوضحناه على سبيل التفصيل في رسالة أفردناها لهذا الحديث ولكل ما كان حوله متناً وسنداً أسميناها خرافة الزنادقة أو سخافة الغرانقة[٣] والله المسؤول أن يوفقنا لنشرها فانها في بابها مما لا نظير له ، والحمد لله على هدايته وعظيم عنايته .

ولنرجع الى ما كنا فيه من حديث أبي هريرة إذ قال : صلى رسول الله

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الانفال .

(٢) نشرنا هذا التفسير في المجلد الحادي والثلاثين من مجلة العرفان ص ١١٣ وما بعدها .

(٣) كنا اولا تصدينا في هذا المقام لحديث الغرانيق فلم نبق مما يتعلق به شيئاً إلا فصلناه تفصيلا حتى أفضت بنا التفاصيل الى الخروج عن موضوع الكتاب لذلك آثرت ان اسلخ منه ما يتعلق بسخافة الغرانقة فأخرجته كتاباً غزير المادة جم الفوائد داني القطوف .

صلاة فقـــال : ان الشيطان عرض لي فشدّ علي بقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فدعته وقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان : رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي الحديث .

فليسمح لي الشيخان وغيرهما ممن يعتبرون حديث أبي هريرة لأسألهم هل للشيطان جسم يشد وثاقه ويربط بالسارية حتى يصبح وتراه الناس بأعينها أسيراً مكبلاً ؟ ما أظن ان أحداً يقول بأن الشيطان ذو جسم كثيف يقع عليه ذلك .

ولعل الذي جرأ أبا هريرة على هذا الحديث قصور مداركه عـــن معاني الذكر الحكيم والفرقان العظيم ، فظن أن بعض آياته تثبت وقوع مثل ذلك إذ قال الله عز وجل فيما اقتص من خبر سليمان : (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين بالأصفاد) .

فظن الرجل أنهم كانوا كسائر المقرنين بالأصفاد من البشر ولم يدر أنهم كانوا مقرنين في عالمهم الشيطاني بأصفاد تتفق مع طبائعهم الشيطانية تمنعهم عما يحاولونه من العيث والفساد من حيث لا يراهم من الآدميين أحد أبداً .

ذكر أبو هريرة في هذا الحديث : ان النبي (ص) إنما أطلق سراح الشيطان كراهة أن يكون له ملك سليمان ، ولولا ذلك لأوثقه الى سارية حتى يصبحوا فينظروا اليه .

وقد اشتبه أبو هريرة فان الله عز سلطانه وهب لسليمان ملكاً سخر له فيه الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسال له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمره يذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور

راسيات فوهب له بهذا ملكاً لم يهبه لرسول الله في ظاهر الحال فلو أوثق (ص) شيطان أبي هريرة لا يكون بمجرد ذلك مساوياً في الملك لسليمان إذ تبقى الميزة لملك سليمان بتسخير الريح وإسالة عين القطر وعمل الجن والشياطين من كل بناء وغواص ، فالتعليل الذي ذكره أبوهريرة عايل وحديثه من الأباطيل وحاشا رسول الله ان يحير الحواس ، ويدهش مشاعر الناس وهو (ص) الذي نص على اختصاص العقل بالخطاب وحاكم اليه الخطأ والصواب فجعل صحة الدليل آية الحق وأمرنا أن لا نسير إلا على ضوئه أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سوياً على صراط مستقيم ؟) .

١٦ — نوم النبي عن صلاة الصبح !! :

أخرج الشيخان بالإسناد إلى أبي هريرة واللفظ لمسلم[١] قال : عرّسنا مع نبي الله فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس ، فقال النبي (ص) ليأخذ كل رجل منكم برأس راحلته فان هذا منزل حضره الشيطان ، قال أبوهريرة : ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين ثم اقيمت الصلاة فصلى صلاة الغداة .

وهذا حديث يبرأ منه هدى رسول الله (ص) فان الله عز وجل يقول : (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) الى أن قال وهو أصدق القائلين (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه) ويقول مخاطباً له في مقام آخر : (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن

---

(١) في باب قضاء الصلاة ص ٢٥٤ من الجزء الاول من صحيحه .

الفجر كان مشهودا[١] ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا) أي ومن الليل فصل بالقرآن زيادة لك على الفرائض الخمس التي أوجبتها الآية الاولى ، وبينت أوقاتها وذلك ان الفرائض الخمس واجبة على جميع المكلفين ، أما صلاة الليل فإنما كانت فريضة عليه (ص) خاصة لم تكتب على غيره ، وقال مخاطباً له في مقام ثالث (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) أي يراك إذ تقوم لعبادته في الليل حين لا يطلع عليك أحد ، ويرى تصرفك في المصلين بالقيام والقعود والركوع والسجود والذكر والقراءة والدعاء والابتهال اذا صليت في جماعة ، وقال مخاطباً له في مقام رابع (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود) .

وكان (ص) يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم[٢] فيظل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتى اسمغدت – أي تورمت قدماه[٣] – فقال له جبرائيل عن الله عز وجل : ابق على نفسك فان لها عليك حقاً وأوحى اليه : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، والشقاء هو الاستمرار فيما يشق على النفس نقيض السعادة ، والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتستمر فيما يشق عليك فتهلك نفسك بالعبادة وتحملها

(١) إن الله سبحانه جعل في هذه الآية من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتا للصلوات الأربع الظهر والعصر والمغرب والعشاء فالظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال الى المغرب ، إلا أن الظهر قبل العصر ، والمغرب والعشاء اشتركا في الوقت من المغرب إلى الغسق ، إلا أن المغرب قبل العشاء ، وأفرد الله صلاة الفجر بالذكر في قوله : وقرآن الفجر ، ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها على ما هو المعروف من مذهبنا الامامي .

(٢) كذا في تفسير آية طه من مجمع البيان نقلا عن قتادة .

(٣) تجد الرواية في تورم قدميه في تفسير آية طه من الكشاف وعقد البخاري بابا لقيام النبي حتى تفطر قدماه وتورم ساقاه في ص ١٣٥ من الجزء الاول من صحيحه .

المشقة الفادحة ، وإنما أنزلنا عليك القرآن تذكرة لمن يخشى ، فرفقاً بنفسك .

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً لتهجده في الليل وباباً لطول سجوده في صلاة الليل ، وباباً لطول قيامه فيها ، وباباً لقيامه حتى تورمت ساقاه وتفطرت قدماه .

هذا دأبه في قيام الليل ، فما ظنك به في إقامة الفرائض الخمس وهي أحد الأركان التي بني الإسلام عليها أيجوز عليه أن ينام عليها ؟ ! معاذ الله وحاشا لله وهو الذي أهاب بأهل الأرض يتلو عليهم عن ربهم جل وعلا (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ونادى في الناس (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال في وصفهم (والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وصاح في بني آدم (فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وأذن فاسمع العالم (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) .

والقرآن الحكيم مشحون بمثل هذه الآيات البينات التي كان رسول الله (ص) يحوط الناس بحكمتها وموعظتها الحسنة ، وكم وخز الساهين عن عبادة ربهم بقوله : (ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون) وفضح المنافقين بما أوحى الله اليه من صفاتهم بقوله تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون) وندّد برجل نام عن صلاة الليل حتى أصبح فقال (ص)[1] : بال الشيطان في اذنه .

يا لها كناية عن سوء حال من يستمر في عادته على النوم عن صلاة

(١) فيما أخرجه البخاري في باب اذا نام ولم يصل بال الشيطان في اذنه من كتاب الصلاة ص ١٣٦ من الجزء الاول من صحيحه .

الليل وما أبلغها من رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين .

كلمة تقض مضاجع المؤمنين وتقلقهم فلا ينامون بعدها عن نافلة الليل لو أنصفوا أنفسهم وقد علم البر والفاجر وشهد المسلم والكافر بأن محمداً (ص) كان أول المبادرين إلى العمل بتعاليمه وأعظم المتعبدين بها المستقيمين المستمرين عليها وأنه كان يهذب امته بأفعاله ، ويحملهم بها على البخوع لتعاليمه أكثر مما يهذبهم بأقواله وما كان وهو سيد الحكماء ليندد بمن نام عن صلاة الليل هذا التنديد ثم ينام هو بمنظر من أصحابه عن صلاة الصبح ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وقد روى أبو هريرة نفسه[1] ان رسول الله (ص) قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلاناً .

وهذا الحديث فيه من الكناية البليغة ما في الحديث السابق وهما يمثلان نصح النبي (ص) لأُمته في تحذيرها من الشيطان وتنشيطها الى عبادة الرحمن ولئن صدق أبو هريرة في هذا الحديث فقد كذب في نوم النبي عن صلاة الصبح .

وروى أبو هريرة أيضاً عن رسول الله (ص) قال[2] : ليس صلاة

---

(١) فيما أخرجه البخاري في باب عقد الشيطان على قافية الرأس اذا لم يصل بالليل ص ١٣٦ من الجزء الاول من صحيحه ، والعجب من البخاري يثبت في صحيحه هذا الحديث عن أبي هريرة ويثبت عنه ايضاً نوم النبي عن الفريضة فاعتبروا يا اولي الألباب ، وأخرجه أحمد عن أبي هريرة في ص ١٥٣ من الجزء ٢ من مسنده .

(٢) فيما اخرجه البخاري من حديث ابي هريرة في ٧٣ من الجزء الأول من صحيحه في باب فضل صلاة العشاء من كتاب الصلاة .

أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلاً يؤم الناس ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج الى الصلاة بعد اﻫ .

أتراه (ص) يحض الناس على الصلاة هذا الحض ، ويهتم بصلاة الفجر هذا الاهتمام ، ويهدد بالتحريق على من لا يخرج اليها ثم ينام عنها ؟ حاشا لله ومعاذ الله أن يكون كذلك .

ورحم الله عبد الله بن رواحة الصحابي الشهيد إذ يقول[1] :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالعابدين المضاجع

نرجع الى الحديث وما بقي من قرائن بطلانه وهي امور :

أحدها : أنهم ذكروا في خصائص النبي (ص) أنه كان لا ينام قلبه اذا نامت عيناه ، وصحاحهم صريحة بذلك[2] :

وهذا من أعلام النبوة ، وآيات الإسلام ، فلا يمكن والحال هذه أن تفوته صلاة الصبح بنومه عنها ، إذ لو نامت عيناه فقلبه في مأمن من الغفلة ولا سيا عن ربه لا تأخذه عن واجباته سنة ولا نوم ، وقد صلى مرة صلاة الليل فنام قبل ان يوتر فقالت له احدى زوجاته يا رسول الله تنام قبل أن توتر ؟ فقال لها[3] تنام عيني ولا ينام قلبي ، أراد (ص)

---

(١) فيما أخرجه البخاري من حديث ابي هريرة ص ١٣٨ من الجزء الأول من صحيحه .
(٢) وقد افرد البخاري في صحيحه لهذه الخصيصة باباً على حدة فراجع ص ١٧٩ من جزئه الثاني .
(٣) كما في باب كان النبي (ص) تنام عينه ولا ينام قلبه ص ١٧٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري ، وأخرجه احمد في ص ٢٥١ من حديث ابي هريرة في الجزء ٢ من مسنده .

أنه في مأمن من فوات الوتر بسبب ولوعه فيها ، ويقظة قلبه تجاهها فهو هاجع في عينه ، يقظان في قلبه ، منتبه الى وتره ، واذا كانت هذه حاله في نومه قبل صلاة الوتر فما ظنك به اذا نام قبل صلاة الصبح .

ثانيها : ان أبا هريرة صرح كما في صحيح مسلم[1] بأن هذه الواقعة قد اتفقت لرسول الله (ص) وهو قافل من غزوة خيبر فكيف يدعي أبو هريرة حضوره فيها ؟ وأين كان أبو هريرة من غزوة خيبر ؟ وانما أسلم بعد خروج النبي (ص) اليها باتفاق أهل العلم ، وإجماع أهل الأخبار[2] .

ثالثها : ان أبا هريرة يقول في هذا الحديث : ليأخذ كل رجل منكم برأس راحلته فان هذا منزل حضره الشيطان قال : ففعلنا .

وقد علمت مما أسلفناه ان الشيطان لا يدنو من النبي أبداً ، وعلم الناس كافة ان أبا هريرة كان في تلك الأوقات لا يملك شبع بطنه فمن أين له الراحلة ليأخذ برأسها كما زعم إذ قال : ففعلنا ؟ .

رابعها : أنه قال في هذا الحديث : ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين ثم صلى صلاة الغداة .

أما صلاة الغداة فانها قضاء عما فات لكن السجدتين لم نعرف لهما وجهاً

---

(١) راجع ص ٢٥٤ من جزئه الاول في باب قضاء الصلاة .

(٢) نعم كان ابو هريرة في اواخر حياته يقول : قدمت المدينة في نفر من قومي لنسلم وقد خرج رسول الله (ص) الى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فصلينا خلفه صلاة الصبح فلما فرغنا من صلاتنا زودنا سباع شيئاً حتى قدمنا على رسول الله (ص) وقد افتتح خيبر فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم وهذا الحديث مما انفرد به ابو هريرة فلم يثبت عن غيره ، ولكن الجمهور اخذوا به اعتماداً على ابي هريرة كما هي طريقتهم فأرسلوا حضوره خيبر ارسال المسلمات ولا دليل في الحقيقة لهم على ذلك والحق ما هو المأثور عن ائمة اهل البيت عليهم السلام من ان قدومه الى المدينة واسلامه انما كانا وقت رجوع النبي (ص) من خيبر .

ولا محلاً من الاعراب : والفاضل النووي طفر عنها في شرحه .

خامسها : ان من عادة الجيش وقواده أن يكون لهم حرس يقوم عليهم اذا ناموا ، ولا سيا اذا كان فيهم الملك أو نحوه وكان له من الأعداء الألداء الموتورين من لا تؤمن معرتهم ، وكان في جيشه من المنافقين من يتربص به الدوائر ، ويقلب له الامور ، ويعضون الأنامل من الغيظ وقد مردوا على النفاق ، فرسول الله (ص) لا يخالف عادة القواد والامراء في المحافظة على نفسه وعلى جيشه ، ولا ينام بأصحابه في تلك الفلات المحاطة بذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب من أعدائه الذين وترهم وسفك دماءهم إلا والحرس قائم بوظيفته من مراقبة العدو الخارجي والمنافق الداخلي ، وحاشا رسول الله (ص) أن يغفل عن هذه المهمة وهو سيد الحكماء قبل أن يكون سيد الأنبياء فهل نام الحرس أيضاً كما نام المؤذنون ؟ كلا ! بل انذر (ص) بكثرة الكذابة عليه .

سادسها : ان النبي (ص) كان يومئذ في جيش مؤلف من الف وستمائة رجل فيهم مائتا فارس . فالعادة تأبى أن يناموا بأجمعهم فلا ينتبه أحد منهم أصلاً ، وعلى فرض عدم انتباههم من أنفسهم فلا بد بحكم العادة المألوفة أن ينتبهوا بصهيل مائتي فرس وضربها الأرض بحوافرها في طلب علفها عند حضور وقته من الصبح فما هذا السبات العميق الشامل لجميع من كان ثمة من انسان وحيوان ؟ ولعل هذا من خوارق أبي هريرة !

١٧ ـ بقرة وذئب يتكلمان بلسان عربي مبين :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال صلى رسول الله (ص) صلاة الصبح ثم أقبل على الناس ، فقال بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت انا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث ! فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ، قال (ص) فاني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر ! وما هما ثم

وبينا رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبها حتى استنقذها منه ، فقال له الذئب : استنقذها مني ! فمن لها يوم السبع ؟ ! يوم لا راعي لها غيري ! فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلم ! قال (ص) فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم اه[1] .

ان أبا هريرة نزوع إلى الغرائب تواق الى العجائب قد استخفته الى خوارق العادات نزية من الشوق والهيام[2] فتراه طروباً الى التحدث بما هو فوق النواميس الطبيعية ، كفرار الحجر بثياب موسى ، وكضرب موسى ملك الموت حتى فقأ عينه ، ونزول جراد الذهب على أيوب ، وأمثال ذلك من المستحيلات عادة .

وها هو الآن يحدث بأن بقرة وذئباً يتكلمان بلسان عربي مبين فيفصحان عن عقل وعلم وحكمة ، الأمر الذي لم يقع أصلاً ، ولا هو واقع قطعاً ، ولن يقع أبداً ، وسنة الله في خلقه تحيل وقوعه إلا في مقام التحدي والتعجيز حيث يكون آية للنبوة ، وبرهاناً على الاتصال بالله عز سلطانه ، ومقام الرجل حيث ساق بقرته الى الحقل فركبها في الطريق لم يكن مقام تحدي واعجاز لتصدر فيه الآيات وخوارق العادات . وكذلك مقام راعي الغنم حين عدا الذئب عليه فلا سبيل إلى القول بامكان صحة هذا الحديث عقلاً فان المعجزات وخوارق العادات لا تقع عبثاً بإجماع العقلاء .

وما أغنى أبا بكر وعمر عن هذه الفضيلة ، وليتهما سمعا أبا هريرة يحدث بها ولو فعل على عهدهما لأعذرا الى الله تعالى فيه ، ولكنه تذرع

(١) اي وما هما بحاضرين هناك وهذا الحديث تجده في ص ١٧١ من الجزء الثاني من صحيح البخاري واورده ايضاً في ص ١٩٠ من الجزء نفسه في فضل ابي بكر ، واخرجه مسلم من عدة طرق عن ابي هريرة في ص ٣١٦ والتي بعدها من الجزء الثاني من صحيحه في فضائل ابي بكر ، واخرجه احمد في اول ص ٢٤٦ من الجزء الثاني من مسنده من حديث ابي هريرة .

(٢) النزية من الشوق والهيام ما فاجأ الانسان منهما .

بها إلى اشباع شهوة الاغراب والتخريف في نفسه ، ومشى في ظلها الى ذلك ، وهو يعلم ان مكذّبه يمنى بسخط الرأي العام ، ويرمى بالخروج على الخليفتين .

١٨ – تأمير أبي بكر على الحج سنة تسع ونداء أبي هريرة ببراءة سنتئذ :

أخرج الشيخان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف : ان أبا هريرة أخبره ان أبا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله (ص) قبل حجة الوداع بسنة يوم النحر في رهط يؤذنون في الناس أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان(١) .

وأخرج البخاري عن حميد عن أبي هريرة أيضاً قال : بعثني أبو بكر الصديق في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان (قال) : ثم اردف النبي (ص) بعلي فأمره ان يؤذن ببراءة فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر الحديث(٢) .

لا عجب من سياسة الشام إذا فرضت هذا الباطل على أبي هريرة وحميد ولا عجب منهما إذا تطوعا لها فتواطئا عليه .

فان أبا هريرة إنما أتى الشام متجراً بما يروج فيها من سلعته والدنيا يومئذ متسقة مستوسقة لسلطان بني امية والدعايات ضد الوصي وآل النبي

---

(١) هذا لفظ الحديث في ص ١٩٢ من الجزء الأول من صحيح البخاري في باب لا يطوف بالبيت عريان من كتاب الحج ، واخرجه مسلم في ص ٥١٧ من الجزء الأول من صحيحه في باب لا يحج بالبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

(٢) اخرجه البخاري بهذا اللفظ في ص ٩٠ من الجزء ٣ من صحيحه في تفسيره سورة براءة .

أربح تجارات الدجالين في ذلك العهد :

وحميد كان ممن صُنعوا على عين معاوية لحمل امثال هذا الحديث وللرثاء بالعبادة والتقشف ، وللولوع بالسماع من أعداء علي[١] وكان في بني امية كألدّهم خصومة وأشدهم لهجة ، وقد وشجت به عروقهم وولدته العبشميات من امهاتهم، فان امه ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ابن ذكوان بن امية بن عبد شمس فهي اخت الوليد بن عقبة لأبيه وأمه، وام امه ام عثمان بن عفان [٢] واسمها اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس « شنشنة نعرفها » على أن اباه عبد الرحمن كان منحرفاً عن علي وقد آثر يوم الشورى عثمان لصهره[٣] مع هن وهن ، فلا غرو أن تواطأ أبوهريرة وحميد على هذا الباطل في تلك الظروف فأذاعته الدعايات الجبارة حتى استطار .

ومما نحتج به على بطلانه ان أبا هريرة (قبل ان يتصل بأسباب بني امية) كان يقول[٤] : كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله (ص) مع علي ببراءة فقال له ولده المحرر : فيم كنتم تنادون ؟ قال : كنا نقول : لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف

---

(١) سمع معاوية ، وحديثه عنه في صحيح البخاري وسمع النعمان بن بشير وحديثه عنه في صحيح مسلم وله عن المغيرة بن شعبة وابن الزبير ومروان وغيرهم من امثالهم .

(٢) فعثمان اخو امه لامها اروى فقط ، وام اروى هذه البيضاء وتكنى ام حكيم وهي بنت عبد المطلب بن هاشم وبهذا كان يقال لعثمان انه ابن اخت الهاشميين .

(٣) كان عبد الرحمن بن عوف زوج ام كلثوم بنت عقبة وهي اخت عثمان لأمه واخت الوليد لأبيه وامه كما بيناه في الأصل .

(٤) فيما اخرجه الحاكم وصححه في تفسير سورة براءة من مستدركه ص ١٣١ من جزئه الثاني ، واورده الذهبي في التلخيص مصرحاً بصحته ايضاً ، واخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة ص ٢٩٩ من الجزء الثاني من مسنده ولفظه عنده : كنت مع علي حين بعثه رسول الله (ص) الى اهل مكة ببراءة .

بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد فأجله الى أربعة أشهر[1] فناديت حتى صحل صوتي اهـ .

هذا حديثه الثابت منه من طريق الثقات الاثبات لم يذكر فيه أبا بكر بالمرة ، وإنما نص فيه على ان البعث الذين بعثهم رسول الله (ص) تلك السنة إلى مكة - وهم الحجاج - إنما بعثهم مع علي - وفي ركابه - وهذه هي الامرة التي اسندها أبو هريرة في ذلك الحديث الى أبي بكر .

واذا كان مبعوثاً مع علي بأمر النبي (ص) كما يزعم في هـذا الحديث ، فما معنى قوله في ذلك الحديث : بعثني أبو بكر الصديق في تلك الحجة في موذنين بعثهم يوم النحر ؟ ! وما الوجه في قوله : ثم أردف النبي بعلي فأذن معنا ؟ وهل هذا إلا تهافت[2] ؟ ! يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره .

واني بعون الله تعالى ممحص لك الحقيقة في هذه العجالة مجلوة في مباحث :

(المبحث الأول) : في بيان الواقع من هذه المهمة على سبيل الاختصار.

ومجمل القول هنا انه لما نزلت (براءة) على رسول الله (ص) بعث بها أبا بكر ليتلوها يوم الحج الأكبر على رؤوس الاشهاد أذاناً ببراءة الله

---

(١) انكر العلماء قوله فأجله الى اربعة اشهر لأن الذي كان في خطبة امير المؤمنين يومئذ ومن كان له عهد من المشركين فأجله الى امده بالغاً ما بلغ ومن ليس له امد فأجله الى اربعة اشهر والظاهر ان ابا هريرة لم يكن من حضر الموسم ليعي الاذان بكنهه وحقيقته ولا عجب فانه كثيراً ما يدعي الحضور في وقائع لم يحضرها فيتقلها على غير وجهها كما ستسمعه في الفصل ١٣ من الأصل .

(٢) التهافت بين الحديثين واضح من حيث تعيين الامير ومن حيث تعيين الباعث لأبي هريرة وغيره من المؤذنين ومن حيث مكان بعثهم هل كان من المدينة ام من مكة ؟ ومن حيث زمان البعث هل كان يوم النحر او قبله ؟ كما لا يخفى على من تدبر الحديثين .

ورسوله من المشركين ، ونبذاً لعهودهم ، ومنعاً لهم عن مكة ، واعلاناً لتحريم الجنة عليهم ، وان لا يطوف بالبيت عريان .

فلما سار غير بعيد أوحى الله الى نبيه أن لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك فاستدعى علياً وأمره بلحاق أبي بكر وأخذ براءة منه والمضي بها الى مكة لأداء المهمة عن الله ورسوله وعهد اليه بالولاية العامة على الموسم[1] وأمره بأن يخبر أبا بكر بين أن يسير مع ركابه أو يرجع الى المدينة ، فركب علي ناقة رسول الله (ص) العضباء ولحق أبا بكر فقال له فيم جئت يا أبا الحسن ؟ قال أمرني رسول الله أن آخذ منك الآيات فانبذ بها عهد المشركين[2] ولك الخيار في الذهاب معي أو الرجوع اليه ، قال بل ارجع اليه ، فمضى علي بمن معه من حجاج المدينة وما حولها الى

---

(١) قال الامام الطبرسي عند ذكر القصة ص ٣ من المجلد ٣ من مجمع البيان طبع صيدا : وروى اصحابنا ان النبي (ص) ولاه (يعني علياً) على الموسم ، وانه حين اخذ براءة من ابي بكر رجع ابو بكر – اي إلى المدينة – .

(٢) فان قلت : كيف يدفع النبي براءة لأبي بكر لينبذ بها عهد المشركين ايام الموسم ثم يعزله قبل الموسم ؟ اليس هذا من النسخ قبل حضور وقت العمل ؟ وهو محال على الله ورسوله . قلنا : كلا ! بل تبين لنا من أمره إياه بالذهاب وارجاعه إياه من الطريق قبل حضور الموسم ، انه إنما كان في الواقع ونفس الأمر مكلفاً بالمسير نحو مكة ليرجعه من الطريق ويرسل علياً مكانه ، فيظهر بذلك من تفضيل علي «ع» ما لا يظهر بارسال علي من اول الأمر ، الا ترى أن الله عز وجل كان في ظاهر الحال قد امر خليله ابراهيم بذبح ولده عليهما السلام ثم لما هم بذلك وتله للجبين اوحى الله اليه ان قد صدقت الرؤيا يا ابراهيم ، فظهر انه لم يكن في الواقع ونفس الأمر مأموراً بذبح ولده ، وانه انما كان مأموراً بمقدمات الذبح ، ليظهر من فضله وفضل ولده الذبيح ما كان يجهله الناس ولم يكن هذا من النسخ في شيء .

والغايه التي ذكرناها بعث رسول الله يوم خيبر ابا بكر اولا فرجع فبعث عمر فرجع ، فقال (ص) : اما والله لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فأعطاها علياً فكان الفتح على يديه ، وظهر من فضله ما لا يظهر لو بعثه من اول الامر ، ولهذه القضايا نظائر يعرفها المتتبعون .

مكة ، ورجع أبو بكر الى المدينة فقال يا رسول الله أهلتني لأمر طالت الأعناق إلي فيه فلما توجهت له رددتني عنه مالي ؟ أنزل في قرآن ؟ قال (ص) : لا ولكن الأمين جبرائيل (ع) هبط إلي عن الله عز وجل بأنه : لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك وعلي مني ولا يؤدي عني إلا علي اه ، والأخبار في هذا المعنى متواترة من طريق العترة الطاهرة(١) .

(**المبحث الثاني**) : في يسير مما جاء من طريق الجمهور مؤيداً لما ذكرناه وحسبك نص أبي بكر الصحيح الصريح حجة بالغة ، قال : ان النبي (ص) بعثني ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله « قال » فسرت بها ثلاثاً ثم قال رسول الله (ص) لعلي : الحق أبا بكر فرده علي وبلغها أنت (قال) ففعل علي ذلك ورجعت الى المدينة فلما قدمت على النبي (ص) بكيت اليه وقلت يا رسول الله حدث في شيء ؟ قال ما حدث فيك الاخير ولكني امرت أن لا يبلغها إلا انا أو رجل مني ، هذا حديث أبي بكر بلفظه(٢) فهل ترى بكاءه واشفاقه يجتمعان مع تأميره ؟ كلا ! وانما يكونان بتنحيته .

ومثله حديث علي إذ قال(٣) : لما نزلت عشر آيات من سورة براءة دعا النبي (ص) أبا بكر فبعثه ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال لي : ادرك أبا بكر فحيثما لحقته خذ الكتاب منه فاذهب به الى أهل مكة

---

(١) فراجع منها ما اخرجه الثقة الثبت الحجة علي بن ابراهيم في تفسير سورة التوبة من تفسيره الشهير ، وما ارسله شيخنا المفيد ارسال المسلمات في ارشاده .

(٢) اخرجه الامام احمد في الصفحة الثانية من الجزء الأول من مسنده من طريق وكيع عن اسرائيل عن ابي اسحاق .

(٣) فيما أخرجه الامام احمد في ص ١٥١ من الجزء الأول من مسنده .

فاقرأه عليهم فلحقته فأخذت الكتاب منه فرجع الى النبي (ص) فقال يا رسول الله أنزل في شي ؟ قال : لا ولكن جبرائيل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك اه.

وحدث (ع) في مقام آخر فقال[1] : ان رسول الله (ص) بعث ببراءة الى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بي فقال لي : خذ الكتاب منه فامض به الى أهل مكة قال : فلحقت أبا بكر فأخذت الكتاب منه فانصرف الى المدينة وهو كئيب فقال : يا رسول الله أنزل في شيء ؟ قال : لا إلا اني أُمرت ان ابلغه انا أو رجل من أهل بيتي.

ونحوه حديث ابن عباس وقد احتج يوماً على خصوم أمير المؤمنين (ع) فأفاض في خصائصه وموجبات تفضيله على الأُمة بعد نبيها (ص) فقال من حديث طويل[2] : ثم بعث رسول الله أبا بكر بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال (ص) : لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه الحديث.

فبخع لابن عباس بهذا حسدة علي ولو كان أبو بكر أميراً في ذلك الموسم ما بخعوا ولا ارعووا ولكن رأوا الحجة قاطعة فاستكانوا لها.

وكم لحبر الامة وذي حجتها البالغة ومقولها الصارم وابن عم نبيها — عبد الله ابن العباس — من امثال هذا.

قال مرة : اني لأُماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة

---

(١) فيما اخرجه النسائي في ص ٢٠ من خصائصه العلوية ، والامام احمد من حديث علي من مسنده . ورواه غير واحد من اثبات الخاصة والعامة.

(٢) اخرجه الحاكم في ص ٣٢ من الجزء الثالث من المستدرك في فضائل علي وصححه . واعترف الذهبي بصحته إذ اورده في تلخيص المستدرك ، واخرجه النسائي في ص ٦ من الخصائص العلوية . والامام احمد اخرجه من حديث ابن عباس في ص ٣٣١ من الجزء الاول من مسنده.

إذ قال لي : يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوماً ، قال فقلت في نفسي والله لا يسبقني بها ، فقلت له يا أمير المؤمنين : فاردد اليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته ، قال : يا ابن عباس ما أظنهم منعهم عنه الا انهم استصغروه ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك فاعرض عني وأسرع . الحديث(1) .

فلله أبوه كيف استظهر على الخليفة بهذه الحجة البالغة فأخذه من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه حتى لم يبق في وسعه أن يثبت فأعرض واسرع ولو ان صاحبه كان هو الأمير في ذلك الموسم — كما يزعم أبو هريرة — ما لاذ الى الإسراع بل كانت له الحجة على ابن عباس

(1) رواه الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام في تاريخه (الموفقيات) الذي ألفه للموفق بالله ابن المتوكل الخليفة العباسي وان من سر الله الذي لا يخفى ونوره الذي لا يطفأ ان يروي الزبير بن بكار مثل هذه الرواية في كتابه الذي الفه لابن المتوكل فان ابن بكار ممن عرف بالعداوة لعلي واهل البيت وهو الذي استحلفه رجل من الطالبيين بين القبر والمنبر الشريفين فحلف كاذباً فرماه الله بالبرص وكان ينال من العلويين ومن جدهم علي ، فأجمعوا على قتله فهرب منهم الى عمه مصعب بن عبد الله بن مصعب فسأله ان يكلم المعتصم في تأمينه فلم يجد عنده ما اراد إذ لم يكن عمه على رأيه في مكاشفة العلويين ذكر ذلك ابن الأثير في سيرة المعتصم من تاريخه الكامل . اما ابوه بكار فقد كان من المكاشفين للرضا في النصب والعداوة فدعا عليه الرضا فسقط من قصره فاندق عنقه ، واما جد عبد الله بن مصعب فهو الذي افتى هارون الرشيد بقتل يحيى بن عبد الله بن الحسن ، فقال اقتله يا امير المؤمنين وفي عنقي دمه ، فقال الرشيد : ان عنده صكاً مني اعطيته فيه الأمان ، فقال عبد الله ابن مصعب : لا امان له يا امير المؤمنين وعمد الى يحيى فانتزع الصك منه قهراً ومزقه بيده عداوة ورثوها عن جدهم ، ورثها عدو عن عدو عن عدو من عبد الله بن الزبير حتى انتهت الى الزبير بن بكار ، وبها نال الحظوة عند المتوكل فاختاره لتأديب ولده الموفق ، وأمر له الموفق آلاف درهم وعشرة تخوت من الثياب وعشرة بغال يحمل عليها رحله الى سامراء فأدب ولده الموفق والف له الموفقيات وهو من الكتب الممتازة الممتعة ننقل عنه كثيراً في املائنا هذا وفي غيره .

وعمر كان مع أبي بكر إذ توجه ببراءة وإذ رجع من الطريق فهو من أعرف الناس بحقائق تلك الأحوال .

وسئل الحسن البصري عن علي (ع) فقال : ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع : إئتمانه على براءة ، وما قاله له رسول الله (ص) في غزوة تبوك فلو كان يفوته شيء غير النبوة لاستثناه ، وقول النبي (ص) الثقلان كتاب الله وعترتي وانه لم يؤمر عليه أمير قط ، وقد أُمرت الأُمراء على غيره ، هذا كلامه بعين لفظه[1] .

وأنت تعلم اخلاصه لأبي بكر وحرصه على بيان فضله ، فلو كان أبو بكر هو الأمير على الحج عام براءة دون علي ما كتّم امارته ، ولا بخسه حقه ، ولا شهد لعلي بأنه لم يؤمر عليه أحد قط ، ولا عرض بأبي بكر إذ يقول وقد أُمرت الامراء على غيره ، ومن تدبر كلامه هذا علم أنه يقدر الائتمان على براءة حق قدره ، وانه يراه خصيصة مقصورة على علي ليس لها كفوٌ سواه .

وكان الصحابة اذا أشادوا بذكر علي في المدينة الطيبة على عهـد الخليفتين يحدثون بهذه الخصيصة من مناقبه فلا يناقشهم فيها أحد .

هذا سعد يقول[2] : بعث رسول الله (ص) أبا بكر ببراءة حتى اذا كان ببعض الطريق أرسل علياً فأخذها منه ثم سار بها فوجد أبو بكر في نفسه ، فقال رسول الله (ص) لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني ا ه .

وهذا أنس يقول[3] : بعث النبي (ص) براءة مع أبي بكر ثم

---

(1) فراجعه في ص ٣٦٩ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي نقلا عن الواقدي .

(2) فيما أخرجه النسائي في ص ٢٠ من الخصائص العلوية عند ذكر توجيه براءة مع علي . ورواه الامام احمد في مسنده .

(3) فيما اخرجه النسائي ص ٢٠ من الخصائص العلوية والامام احمد من حديث انس ص ٢١٦ من الجزء الثالث من مسنده .

دعاه فقال لا ينبغي أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي فدعا علياً فأعطاه إياها .

وهذا عبد الله بن عمر يسأله جميع بن عمير الليثي عن علي فينتهره ابن عمر ثم يقول له[1] : الا احدثك عن علي هذا بيت رسول الله في المسجد وهذا بيت علي ان رسول الله بعث أبا بكر وعمر[2] ببراءة الى أهل مكة فانطلقا فاذا هما براكب فقالا من هذا ؟؟ قال : أنا علي يا أبا بكر هات الكتاب الذي معك ، قال مالي؟ قال والله ما علمت إلا خيراً فأخذ علي الكتاب فذهب به ورجع أبو بكر وعمر الى المدينة فقالا : ما لنا يا رسول الله ؟ قال : ما لكما إلا خير ولكن قيل لي انه لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك .

والسنن المأثورة في هذا متظافرة وكلها صريح برجوع أبي بكر الى المدينة كئيباً مشفقاً من نزول الوحي فيه وهذا ما لا يجتمع مع تأميره في ذلك الموسم أبداً لكن الدعاية ضد الوصي كانت في منتهى القوة فكان لها أثرها في فجر الإسلام .

(**المبحث الثالث**) : فيما ترتب من الآثار الشريفة على نبذ عهد المشركين وما كان لأمير المؤمنين بسبب قيامه بهذه المهمة من علو المقام عند العرب كافة وما بوأه الله تعالى ورسوله (ص) من المجد والعلاء باختيارهما إياه لهذه المهمة ولا سيما بعد إرجاع أبي بكر عنها ، الى خصائص أخر تتصل بذلك وتوجب كونه أفضل الامة وأولاها برسول الله (ص) حياً وميتاً .

---

(١) فيما اخرجه الحاكم في ص ٥١ من الجزء ٣ من المستدرك .

(٢) انما كان عمر يومئذ تابعاً لأبي بكر وكان ممن خرج معه من الصحابة وكانوا ثلاثمائة فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وكان عمر اخصهم بأبي بكر ولذا رجع معه الى المدينة دونهم ، وقد انضووا – بعد رجوع ابي بكر – الى لواء علي وسار بهم الى مكة مهيمناً عليهم وشهد الجميع رجوع ابي بكر الى المدينة وفي نفسه من ذلك شيء .

كان بنبذ النبي (ص) عهد المشركين ومنعه إياهم عن الحج وعن مكة واعلانه تحريم الجنة عليهم واذانه بالبراءة منهم: كمال الدين وصلاح أمر المسلمين وقوة الحق وأهله ووهن الباطل وأهله.

أدرك المسلمون به منتهى العزة ونالوا به غاية المجد فهدأت فورة الشرك وذلت نواصي المشركين فكان الدين كله لله عز سلطانه.

وقد شاء الله سبحانه أن يجري ذلك كله على يد عبده ووصي نبيه علي بن أبي طالب تنويهاً باسمه، وتنبيهاً الى فضله، واعلاء لذكره، واعلاناً لعظم قدره، وتمهيداً للعهد بالخلافة اليه، ومقدمة للنص في العام المقبل عليه[1] فنشر (ص) ذكره (بإرساله إياه لأداء هذه المهمة عنه) انتشار الصبح واطار صيته في العرب استطارة البرق، وذلك ان نبذ العهد كان مختصاً عندهم بالزعيم الذي عقده ولايتجاوزه إلا الى من كان يمثله في زعامته ويخلفه في مكانته، ويأمن وهنه، ولا يخشى سقطته، ولا يرتاب في أحكامه ولا يعتريه شك في نقضه وابرامه.

يرشدك الى هذا كله قول رسول الله (ص) لعلي حين بعثه ليأخذ براءة من أبي بكر ويذهب بها هو الى مكة: لا بد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال علي: فإن كان ولابد فسأذهب بها أنا، قال رسول الله (ص): فانطلق فان الله يثبت لسانك، ويهدي قلبك، الحديث[2].

وأنت تعلم ان المهمة التي لا يقوم بها إلا النبي (ص) أو من كان جارياً مجرى نفسه لهي الغاية القصوى في المهمات لا يتعلق بها درك قد أحرز

(١) اذ كان نبذ العهد سنة تسع وكان النص عليه سنة عشر والنبي (ص) قافل من حجة الوداع.

(٢) اخرجه احمد في ص ١٥٠ من الجزء الاول من مسنده وهو من الأحاديث الصحيحة المستفيضة من طريق الفريقين.

بها علي قصب السبق واستولى على الأمد فأنى يسبقه سابق أو يلحقه لاحق أو يطمع في إدراكه طامع .

ومن أنعم النظر في إرجاع أبي بكر عن المهمة وإرسال علي فيهـــا ظهرت له الحقيقة بأجلى مظاهرها .

ويجدر بنا أن نمعن في قول النبي (ص) إذ بين السبب فقال[1] : جاءني جبرائيل فقال : لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك لمكانة « لن » من النفي مؤكداً ومؤبداً ومكانة المفعول المحذوف من العموم أعني مفعول الفعل المنفي (بلن) ، إذ تقدير الحديث : لن يؤدي عنك شيئاً من الأشياء إلا أنت أو رجل منك ، ولولا قصد العموم ما حذف المفعول .

فان قلت : مورد هذا الحديث يفرض علينا تخصيصه به ، فيكون معناه لن يؤدي عنك هذه المهمة إلا أنت أو رجل منك ، فلا عموم هنا .

قلنا : ان المورد لا يخصص الوارد ، على ان هذا الحديث ليس بالوحيد في بابه ، فان في الصحاح من نظائره نصوصاً تعنو لها الجباه بخوعاً لم ترد في مورد خاص لتختص به ، بل جاءت عامة لفظاً ومورداً .

وحسبك منها عهده يوم عرفة من حجة الوداع ، وقد أهاب بأهل الموقف يدلهم على مفزعهم في أداء رسالته وهو إذ ذاك على ناقته يناديهم بأعلى صوته فأشخص أبصارهم وأسماعهم وأفئدتهم اليه فإذا به يقول : علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عنّي إلا أنا أو علي[2] .

---

(١) فيما استفاض عنه من حديث علي وقد مر عليك في المبحث الثاني .

(٢) اخرجه ابن ماجة في فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الاول من سننه ورواه الترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث ٢٥٣١ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من كنز العمال ، واخرجه الامام احمد من حديث حبشي بن جنادة ص ١٦٤ من الجزء الرابع من مسنده بطرق متعددة كلها صحيحة وحسبك أنه اخرجه عن يحيى بن آدم عن اسرائيل ابن يونس عن جده ابي اسحاق السبيعي عن حبشي عن رسول الله (ص) وكل هؤلاء =

يا له عهداً ما أخفه على اللسان وما أثقله في الميزان جعل لعلي من صلاحية الأداء عنه (ص) عين الصلاحية الثابتة للنبي في الأداء عن نفسه فأشركه في أمره وائتمنه على سره كما كان هارون من موسى الا أن علياً لم يكن بنبي وإنما هو وزير ووصي يطبع على غرار نبيه ويبين عنه للناس ما اختلفوا فيه .

وتلك ذروة ما جعل الله تعالى ورسوله لغيرأعلي أن يتبوأها أبداً « فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » ولقد رفع رسول الله علياً الى مستوى هو اعلى من مستوى الأُمة إذ مزج لحمه بلحمه ودمه بدمه وسمعه وبصره وفؤاده وروحه بسمعه وبصره وفؤاده وروحه فقال : علي مني وأنا من علي ثم لم يكتف حتى قال : ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي فجمع فأوعى وعم فاستقصى ولا غرو فان الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين « ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاغ مبين » .

فأين اولوا النظر يمعنون في هذا العهد ليعلموا أنه ــ على اختصاره ــ لا يقل وزناً عن نصوص يوم الغدير فان الأداء عن رسول الله (ص) المختص به وبعلي المنفي في هذا الحديث عمن سواهما انما هو الأداء التشريعي الكاشف عن حكم الله في الواقع ونفس الأمر المعصوم عن الخطأ عصمة القرآن عنه فيكون بمجرده حجة قاطعة يجب على الأُمة التعبد به كما يجب عليهم التعبد بأحكام القرآن العظيم والذكر الحكيم .

يدلك على أن هذا هو المراد باجماع الأمة على اباحة الأداء عن النبي (ص) ــ على غير هذا الوجه ــ لكل عالم بقوله سماعاً منه أو استنباطاً صحيحاً من سنته فان الصحابة كانوا يؤدون عنه ما سمعوه من أقواله وما

= حجج عند الشيخين وغيرهما ، ومن راجع هذا الحديث في مسند احمد علم انه إنما صدر في حجة الوداع التي ما لبث النبي (ص) بعدها في هذه الدار الفانية إلا قليلا .

رأوه من أفعاله وكان المجتهدون بعدهم يؤدون عنه ما استنبطوه من الأدلة الشرعية فلو لم يحمل الحديث على ما قلناه لم يبق له معنى يصح حمله عليه .

ويؤيد هذا قول رسول الله (ص) : عليٌ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان[1] وقوله (ص) : رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار[2] إلى كثير من أمثال هذه النصوص التي ترمي الى عصمته ، (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

(**المبحث الرابع**) : فيما كان من أعداء علي من المكر به، والبغي عليه وما كان من دجاليهم في صرف خصائصه عنه ، وما تزلف أبو هريرة اليهم من تحريف هذا الحديث .

إن أعداء علي من المنافقين، وحسدة فضله ومنافسيه من الناكثين والقاسطين، والمارقين ، ولا سيما أهل الحول والطول منهم كمعاوية وأعوانه لم يطيقوا الخصائص العليا التي كانت لعلي . فلم يصبروا عن تحويرها وتحريفها فسخروا دجاليهم في تشويهها ومسخها ومعارضتها بما استطاعوا أو ان الدجالين تزلفوا اليهم بذلك ، ولا ذنب لعلي ، ولا عذر لهم إلا ما اختصه الله تعالى من فضله إذ بلغ بسوابقه — في ايمانه وجهاده — منزلة عند الله ورسوله تقاصرت عنها الأقران ونال (بعلمه وعمله مخلصاً لله ورسوله وللامة) رتبة تراجعت عنها الأكفاء وادرك (بذاته وصفاته وسماته ونسبه وصهره وأهله ونسله) غاية تطاولت اليها أعناق الأماني وشأواً تقطعت دونه المطامع .

فدبّت بذلك له عقارب الحسد في قلوب المنافقين[3] .

---

(١) اخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين في ص ١٢٤ من الجزء الثالث من مستدركه واورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته .

(٢) اخرجه الحاكم في الصفحة نفسها على شرط مسلم .

(٣) ان لبطل الاسلام بكل ما للبطولة من معان شريفة محمد بن أمير المؤمنين المعروف بابن=

وسادت في منافسيه آكلة الأكباد[1] فكشفوا لمناصبته وجرهم وقعدوا له في كل مرصد مرهفين للمكر به كل حيلة ناصبين للبغي عليه كل احبولة (والحاسد مغتاظ على من لا ذنب له)[2].

تطوروا في كيده أطواراً مختلفة ، نزعوا أيديهم من يده ، قطعوا رحمه سلبوه سلطان ابن امه[3] هجروا السبب الذي أمروا بمودته ، نقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه[4] تصغيراً منهم لعظيم منزلته واجماعاً على منازعته أمراً هو له[5].

ثم كان من الناكثين والقاسطين والمارقين ما ملأ الأجواء ، وطبق الأرض والسماء وما اكتفوا حتى :—

لعنوا أمـــير المؤمنـــين   كمثل اعلان الاقامة

وليتهم لم يتناولوا السنن المقدسة بتمزيق ما جاء منها في تفضيله حيث حكموا — بغير دليل — على صحيحها بالوضع ، وعلى صريحها بالتأويل ، وعلى رواتها بالرفض ، وعلى اثباتها بالتضعيف ، فشوهوا كثيراً مـــن خصائصها الحسنى ، ومسخوا كثيراً من أمثالها العليا ، وحرفوا كثيراً منها عن مواضعه وصرفوا الكثير منها الى غير أهله كما فصلناه في كتابنا «تحفة المحدثين».

= الحنفية كلاماً في هذا المعنى يفرغ به الحقيقة لا ريب فيها قذع به ابن الزبير أيام إمارته في الحجاز فيخعه ما أولى أهل البحث بالوقوف عليه ص ٣٥٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي .

(١) تورية لطيفة .

(٢) هذا مثل معروف .

(٣) قال عليه السلام في كتاب كتبه الى اخيه عقيل : فجزت قريشاً عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن امي .

(٤) هذا مقتبس من الخطبة ١٤٦ من ص ٤٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من نهج البلاغة .

(٥) هذا مقتبس من الخطبة ١٦٧ من النهج أيضاً .

وكما يمثله أبوهريرة في حديثه هـذا إذ يقول بعثني أبو بكر في الحجة التي أمره عليها رسول الله (ص) قبل حجة الوداع بستة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى : ان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف رسول الله بعلي بن أبي‌طالب فأذّن معنا يوم النحر الحديث .

كأن لم يكن لعلي بن أبي طالب في ذلك الموسم سوى انه اذن في معية أبي‌هريرة ، ولا عجب من أبي هريرة في هذه الجرأة فانه كان يفتئت الأحاديث فيقتها ويرتجلها(١) مزخرفة مزوقة على ريق لم يبلعه ونفس لم يقطعه فيخرجها لرعاع الناس بالوشي الذي يحبه السواد الأعظم من العامة وتقتضيه السياسة الغاشمة وتوجبه دعايتها الكاذبة .

ألا تراه كيف حرف الحديث عن موضعه ، وصرف الفضل فيه عن أهله متقرباً فيما حرف الى أولياء الامور ، ومتحبباً فيما صحف الى سواد الجمهور اختلق لهم ما يروقهم من تأمير ابي بكر الصديق .

وما أدراك ما فعل ؟ ؟ انه اخرس بذلك ألسنة الثقات الاثبات عن معارضته ، وألجم أفواههم أن تنبس في بيان الحقيقة ببنت شفة خوفاً من تألب العامة ورعاع الناس ، واشفاقاً من نكال أولي الأمر ووبالهم يومئذ ؟ وما ادراك ما يومئذ ؟ !

أراد أبوهريرة بحديثه هذا أن يجتاح المقام المحمود الذي رفع الله ورسوله يومئذ سمكه مقام أمير المؤمنين في ذلك الموسم إذ كان يرمي الى أمرين :

(أحدهما) ان المهمة التي جاء بها علي إنما كان امرها بيد أبي بكر الصديق بسبب امارته على الحج وولايته العامة تلك السنة على الموسم وان

---

(١) يفتئتها بمعنى يبتدعها، ويقتها بمعنى يزورها ويحسنها ، ويرتجلها بمعنى يختلقها لساعته .

أبا بكر لم يكتف بعلي في أداء المهمة حتى بعث أبا هريرة في رهط من أمثاله الأقوياء الأشداء ! ! اهتماماً بأدائها .

(ثانيهما) أنه لم يكن لعلي في تلك المهمة أكثر مما كان لأبي هريرة وسائر الرهط الذين بعثهم أبو بكر لأنهم قاموا بأدائها كما قام علي معهم بذلك .

وحسبك في تزييف هذا ان الله تعالى لم ير أبا بكر نفسه أهلاً لأداء هذه المهمة فأرجعه عنها وأوكلها الى أحد كفئيها اللذين لا ثالث لهما إذ لم يكن لها ثمة سوى النبي والوصي كما سمعت النص عليه إذ قال (ص) لابد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت قال علي فان كان ولا بد فسأذهب بها أنا .

وقد روت الامة أحاديث صحيحة صريحة في ذلك لا تزال تدوي فتملأ الخافقين .

على أن أبا هريرة كان قبل أن يتسخر لدعاية بني أمية يحدث عن هذه المهمة فلا يؤمر أبا بكر ولا يأتي على ذكره ، وكان يضيف نفسه وسائر البعث الى علي ، فيزعم انه انما كان في البعث الذي كان في ركابه (ع) ، وقد مر عليك حديثه في هذا فراجع .

والنفس لا تطمئن شهد الله بكلا حديثيه ولا بكونه ممن نادى يوم النحر ولا بكونه ممن حضر الموسم ، ولا بشيء مما يرويه مطلقاً والله على ما أقول وكيل .

(**المبحث الخامس**) : في الإشارة الى ما جنته الدعاية السياسية على الآثار النبوية وما اختلقته دجاجلتها تزلفاً اليها وما زوقوه ليشتروا به ثمناً قليلاً وما افتأتوه من الأسانيد تثبيتاً لحديث حميد عن أبي هريرة .

كان وضع الحديث على عهد معاوية حرفة منمقة يتجر بها كل

متزلف الى تلك الدولة وعمالها ، وكان لأولئك المتزلفين المتجرين لباقة في تزويق تجارتهم وترويجها لا يشعر بها (على عهدهم) إلا أولوا البصائر النافذة ، والأحلام الراسخة — وقليل ما هم — وكان من ورائهم من يرفع ذكرهم من الخاصة ويروج حديثهم من حفظة السنن المستأجرين ، وحملة العلم المتزلفين ومن المرائين بالعبادة والتقشف كحميد بن عبد الرحمان ومحمد ابن كعب القرظي وأمثالهما ، ومن زعماء القبائل في الحواضر ، وشيوخ العشائر في البوادي ، وكان هؤلاء كلهم اذا سمعوا ما يحدث به اولئك الدجالون روجوه عند العامة ، واذاعوه في رعاع الناس (من مسلمي الفتوحات بعد النبي) وخطبوا به على المنابر ، واتخذوه حجة ، واعتدوه أصلاً من الاصول المتبعة ، وكان الثقات الاثبات من سدنة الآثار النبوية لا يسعهم في ذلك العهد إلا السكوت عن معارضة اولئك المتزلفين المؤيدين برعاية اولي الأمر وعناية أهل الحول والطول ، فكان المساكين اذا سئلوا عما يحدث به اولئك الدجالون يخافون — من مبادهة العامة بغيرها عندهم — ان تقع فتنة عمياء بكماء صماء ، ولا سيما اذا كان الحديث موضوعاً في فضل الصديق والفاروق ، فكانوا يضطرون في الجواب الى اللواذ بالمعاريض من القول خوفاً من تألب اولئك المتزلفين ومروجيهم من الخاصة ، وتألب من ينعق معهم من العامة ورعاع الناس ، فضاعت بذلك حقائق ، وحفظت أباطيل وكان هذا الباطل — أعني حديث حميد عن أبي هريرة — أوفرها حظاً من كل عدو لأهل البيت ، اختلقوا في سبيل تأييده أحاديث ترادفه في معناه فركبوها على أسانيد رفعوا أحدها الى علي نفسه ، ورفعوا الثاني الى ابن عمه وخريج حوزته عبد الله بن العباس ، والثالث الى وليه وخصيصه جابر بن عبد الله الأنصاري ، والرابع الى حفيده ووارث علمه الإمام أبي جعفر الباقر ، وهذه مكيدة اعتادها خصوم علي فاستمرت عليها سيرتهم في مكابرة أهل البيت ، ونكاية أوليائهم من حيث لا تشعر عامة الناس ، وجاء بعدهم قوم ممن جمعوا الأخبار على علاتها فاغتروا

بهم ، فأثبتوها فيما جمعوه وهم غافلون .

والآفة فيما أسندوه من هذا الباطل الى علي أبوزرعة وهب بن راشد ، وكان مفرطاً في النصب أخذ عداوة بني هاشم وبغض علي بالخصوص عن شيخه أبي يزيد يونس بن يزيد بن النجاد الأبلي مولى معاوية بن أبي سفيان(١) .

وآفة ما أسندوه الى ابن عباس أبو القاسم مقسم بن مجزاة كان لا يكتم عداوة أمير المؤمنين ، وقد اغترّ الحاكم به لظنه أنه من رجال البخاري فأخرج في ص ٥١ من الجزء ٣ من مستدركه ما لفقه هذا الناصب (من امرة أبي بكر) عن ابن عباس مع ان مقسماً أحد الضعفاء الذين نص البخاري على ضعفهم في كتابه الذي افرده لهم ، وقد ترجمه الذهبي في الميزان فنقل تضعيفه عن البخاري وعن ابن حزم ، وترجمه ابن سعد في ص ٣٤٦ من الجزء ٥ من طبقاته فقال : وكان كثير الحديث ضعيفاً .

قلت : ولضعفه أعرض عنه الشيخان ، فلم يرويا له شيئاً ، نعم روى البخاري عن عبد الكريم بن مالك الجزري انه سمع مقسماً يقول : قال ابن عباس لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر .

وقد أورد البخاري هذا التفسير عن ابن عباس بواسطة مقسم في

---

(١) ذكر أبو نصر الكلاباذي وأبو بكر الاصبهاني وابو الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني كلهم عن يونس بن زيد هذا في كتبهم التي ترجموا فيها رجال الأسانيد فنصوا جميعاً على انه من موالي معاوية بن ابي سفيان فراجع ص ٤٨٥ من كتاب ابن القيسراني ، وهذا الاموي السفياني يونس الابلي هو الذي روى موت ابي طالب على الكفر فيما اخرجه مسلم عنه في ص ٣٠ من الجزء الاول من صحيحه وهو شيخ ابي زرعة وهب ومربية تستفيد ذلك من ترجمة وهب بن راشد في ميزان الذهبي .

موضعين من صحيحه احدهما في غزوة بدر[1] والثاني في تفسير سورة النساء[2] ولم يرو عن مقسم في جميع صحيحه سوى هذا التفسير ، وإنما رواه عنه مع جزمه بضعفه لإجماع الأُمة على التسامح في أمثال هذا التفسير إذ لم يشتمل على حكم شرعي على أنه لم يرفع الى رسول الله (ص) ليكون من السنن التي اشترط صحتها كما لا يخفى .

وآفة ما رفعوه الى جابر بن عبد الله الأنصاري أبو صالح إسحاق بن نجيح الملطي ، فانه رجل سوء خبيث مفرط في الكذب ، جريء في وضع الحديث ساقط باجماع أهل الجرح والتعديل ، وقد ترجمه الذهبي في ميزانه ، فأورد ما قاله الأئمة في خبثه وكذبه ودجله .

وآفة ما أسندوه من هذا الباطل الى الإمام أبي جعفر الباقر «ع» محمد بن اسحاق ، إذ اورده في سيرته التي شحنها بأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان .

وعلى كلٍ : فالأمر سهل في هذه الأضاليل ، لانحطاطها بانحطاط طرقها عن درجة الاعتبار ، ولركة متونها ومناقضتها للصحيح الثابت عمن اسندت اليهم ، بل لمناقضتها لما أوردناه في المبحث الثاني من حديث أبي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر وسعد وأنس ولا تتفق مع سيرة النبي في بعوثه (ص) فانه ما أمر على علي احداً مدة حياته بل كانت له الامرة ، وكان حامل لوائه في كل زحف بخلاف غيره ، فان أبا بكر وعمر ومن دونهما كانوا — حين لحق النبي (ص) بالرفيق الأعلى — في بعث اسامة باجماع أهل الاخبار ، وكانا في غزوة ذات السلاسل في بعث

(١) في الصفحه الثانية من الجزء الثالث من الصحيح .

(٢) ص ٨١ من الجزء نفسه .

عمرو بن العاص بالاتفاق ، ولهما قضية في تلك الغزوة مع أميرها ابن العاص[1].

أما علي فلم يكن طيلة حياة النبي تابعاً لغيره (ص) ألا ترى أنه لم يرسله في جيش اسامة ، ولا في جيش ابن العاص ، ولا في جيش أبي بكر وعمر حين بعثهما الى خيبر فلما رجعا وبعث علياً كانا كلاهما تحت لوائه حتى فتح الله عليه ، ولما بعث خالد بن الوليد الى اليمن بجيش وبعث علياً اليها بجيش آخر عهد اليهما بأنه اذا التقيا فعلي على الجيشين وان افترقا فكل منكما على جيشه الحديث[2].

وقد قال ابن عباس : ان لعلي اربع خصال ليست لأحد.

هو أول عربي وعجمي صلى لله تعالى مع رسوله (ص) وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف الحديث[3].

وقد مر عليك آنفاً قول الحسن البصري ما أقول فيمن جمع الخصال الاربع ائتمانه على براءة وما قال له رسول الله في غزوة تبوك الى ان قال وانه لم يؤمر عليه أمير قط وقد أمرت الأمراء على غيره ، وهذا القدر كاف لما أردناه في هذه العجالة ، والحمد لله على الهداية والتوفيق.

١٩ ـ الملائكة تكلم عمر :

أخرج البخاري[4] عن أبي هريرة مرفوعاً : لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن

---

(١) اخرجها الحاكم وصححها في ص ٤٣ من الجزء الثالث من المستدرك واوردها الذهبي فصححها ايضاً في تلخيصه.

(٢) اخرجه الامام احمد في ص ٣٥٦ من الجزء الخامس من مسنده.

(٣) اخرجه الحاكم في ص ١١١ من الجزء الثالث من مستدركه.

(٤) في باب (مناقب عمر) في اول ص ١٩٤ من الجزء الثاني من صحيحه.

من امتي منهم أحد فعمر ا هـ[1].

وأخرج البخاري[2] عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً قال : إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وانه ان كان في امتي هذه منهم فانه عمر بن الخطاب ا هـ.

حديث مفترى صاغه أبو هريرة من زخرف القول — بعد وفاة عمر بأعوام — فجاء مزوقاً منمقاً على ما تقتضيه سياسة الخاصة يومئذ مما تصفق له العامة طرباً ، فقد كان للخاصة من ساسة البغي الأموي مآرب ضد الوصي وآل النبي لا تتم على زعمهم إلا برفع أبي بكر وعمر إلى مستوى الأنبياء والمعصومين وكان غوغاء الأُمة وسوادها مندفعين الى ذلك كل الاندفاع بما فتح الله على المسلمين في أيام الخليفتين ، فكان أبو هريرة يتزلف بهذا الحديث وأمثاله إلى كل من سائس الأُمة ومسوسها ، وبهذا نال الحظوة من الخاصة والمنزلة في نفوس العامة . ولو حدث بهذه الأحاديث على عهد عمر لأخذت درة الخليفة من ظهره مأخذها . لكن خلا له الجو على عهد معاوية فجاء بمرمات الاخبار .

وقد علم اولوا الألباب أن من كان من الأُمم الماضية مكلماً أو محدثاً على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز فإنما هم المعصومون كانوا جميعاً بين نبي ووصي نبي فالنبي تحدثه الملائكة وتكلمه على سبيل الحقيقة .

---

(١) قال القسطلاني في تفسير هذا الحديث من كتابه ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري ص ٣٤٩ من جزئه الرابع ما هذا لفظه : يكلمون بفتح اللام المشددة تكلمهم الملائكة (قال) : وليس قوله : فان يكن . للترديد بل للتأكيد كقولك : إن يكن لي صديق ففلان ، إذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الاصدقاء (قال) واذا ثبت ان هذا وجد في غير هذه الامة المفضولة فوجوده في هذه الامة الفاضله احرى ا هـ.

(٢) في ص ١٧١ من الجزء الثاني من صحيحه بعد حديث اقرع وابرص واعمى بمقدار صفحة من كتاب بدء الخلق وهو موجود في باب مناقب عمر من البخاري ايضاً ، واخرجه النسائي في المناقب .

والوصي يلهمه الله الحق فيتجلى له كفلق الصبح لا يختلج فيه ريب حتى كأن ملكاً حدثه به عن الله عز وجل ولا محدث ولا مكلم في الحقيقة وإنما هو ما يلقيه الله تعالى في روعه من الصواب .

ولا كلام في أن عمر قد توغل الدرجات الرفيعة في الإسلام ، وبلغ الأقدار الخطيرة في هذه الامة ، لكنه لم يكن بنبي ولا بوصي ولا بمعصوم اجماعاً وقولاً واحداً ، فلا تكلمه الملائكة على سبيل الحقيقة ، ولا تحدثه على سبيل المجاز ، وإنما تحدث من كان في هذه الأُمة بمنزلة هارون أو كان في أقل المراتب كيوشع أو شمعون .

على ان بوادر عمر — على عهد رسول الله (ص) وبعده — لا تجتمع مع كونه محدثاً مطاقاً .

٢٠ — تركة النبي صدقة :

أخرج الشيخان[١] بالاسناد الى أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت بعد نفقة نسائي ، ومؤنة عاملي فهو صدقة ! .

هذا مضمون الحديث الذي انفرد أبو بكر بروايته عن رسول الله (ص) محتجاً به على عدم توريث الزهراء ، أخرجه الشيخان وغيرهما بالاسناد الى عائشة إذ قالت[٢] ان فاطمة بنت النبي أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) فقال أبو بكر : ان رسول الله قال :

---

(١) راجع من صحيح البخاري ص ١٢٥ من جزئه الثاني في باب نفقة نساء النبي بعد وفاته من كتاب الجهاد ، وراجع من صحيح مسلم ص ٧٤ من جزئه الثاني في آخر باب قول النبي : لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

(٢) كما في ص ٣٧ والتي بعدها من الجزء الثالث من صحيح البخاري اثناء غزوة خيبر وص ٧٢ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب قول النبي لا نورث ما تركناه فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير وص ٦ من الجزء الاول من مسند احمد .

لا نورث ما تركنا صدقة[1] قالت عائشة : فأبى أبو بكر أن يدفع منه شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً (بوصية منها)[2] ولم يؤذن بها أبا بكر الحديث وتراه صريحاً بوجدها وغضبها وهجرها حتى توفيت عليها السلام.

نعم غضبت على اثارة[3] واستقلت غضباً[4] فلاثت خمارها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة في حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (ص) حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها مُلاءة[5] ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس فأمهلتهم حتى سكن نشيجهم وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله عز وجل ثم انحدرت في خطبتها :

تعظ القوم في أتـم خطاب حكت المصطفى به وحكاها

---

(١) هذا الحديث ردته الزهراء والأئمه من بنيها وهو مع ذلك لا يصلح لأن يكون حجة عليها ، إلا ان يكون لفظ صدقة مرفوعاً على الاخبارية عن ما الموصوله في قوله : ما تركناه ، ولا سبيل الى اثبات مجيئه مرفوعاً . ولعل ما الموصولة في محل نصب على المفعولية بتركنا وصدقة حال من ما ؛ فان الأموال التي تركها كان منها ما هو ملكه ومنها ما هو صدقة يضعها في مواضعها فلعله خشي (ص) ان يتوهم متوهم بأن الأنبياء يورثون كل ما كان في قبضتهم سواء اكان ملكهم ام كان صدقة فقال نحن لا نورث ما تركناه صدقة ، ليعلم ان حالهم في هذه المسألة حال الناس .

(٢) كما اعترف به شارحوا البخاري فراجع ص ١٥٧ من المجلد الثامن من كل من ارشاد الساري وتحفة الباري اذ ينتهيان فيها الى هذا الحديث .

(٣) انما يقولون : غضب فلان على اثارة – بالفتح – إذا كان غضبه مسبوقاً بغضب كغضب الزهراء لارثها مسبوقاً بغضبها لكشف بيتها .

(٤) انما يقولون : استقل غضباً ، اذا اشخصه فرط الغضب كما اشخص الزهراء من بيتها حتى دخلت على الخليفة محتجة .

(٥) الملاءة الازار والريطة ذات لفقين .

فخشعت الأبصار ، ونخعت النفوس ، ولولا السياسة ضارية يومئذ بحرانها لردت شوارد الأهواء ، وقادت حرون الشهوات ، لكنها السياسة توغل في غاياتها لا تلوي على شيء .

ومن وقف على خطبتها في ذلك اليوم[1] عرف ما كان بينها وبين القوم[2] حيث أقامت على إرثها آيات محكمات هن (من) ام الكتاب حججاً لا ترد ولا تكابر .

---

(١) السلف من بني علي وفاطمة يروي خطبتها في ذلك اليوم لمن بعده ومن بعده رواها لمن بعده ، حتى انتهت الينا يداً عن يد ، فنحن الفاطميين نرويها عن آبائنا وآباؤنا يروونها عن آبائهم وهكذا كانت الحال في جميع الأجيال إلى زمن الأئمة من ابناء علي وفاطمة ودونكموها في كتاب احتجاج الطبرسي وفي بحار الأنوار وقد اخرجها من اثبات الجمهور واعلامهم ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك بطرق واسانيد ينتهي بعضها الى السيدة زينب بنت علي وفاطمة وبعضها إلى الامام ابي‌جعفر محمد الباقر ، وبعضها الىعبد الله بن الحسن بن‌الحسن يرفعونها جميعاً إلى الزهراء كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي ، واخرجها ايضاً ابوعبدالله محمد بن عمران المرزباني بالاسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة ترفعها الى الزهراء كما في ص ٩٣ من المجلد الرابع من شرح النهج واخرجها المرزباني ايضاً كما في ص ٩٤ من المجلد المذكور بالاسناد الى ابي‌الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي‌طالب عن ابيه عن جده يبلغ بها فاطمه عليها السلام ، ونقل ثمة عن زيد انه قال رأيت مشائخ آل ابي طالب يروونها عن آبائهم ويعلمونها اولادهم .

(٢) ومما كان بينها وبينهم ان قالت لأبي بكر حين منعها ارثها : لئن مت اليوم يا ابا بكر من يرثك ؟ قال ولدي وأهلي ، قالت : فلم ورثت انت رسول الله دون ولده واهله ؟ قال : ما فعلت يا بنت رسول الله ، قالت : بلى عمدت الى فدك وكانت صافية لرسول الله فأخذتها منها وعمدت الى ما انزل الله من السماء فرفعته عنا الحديث اخرجه ابو بكر ابن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك (كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج) بسنده الى مولى ام هاني ، واخرجه الجوهري في كتابه المذكور (كما في ص ٨٢ من المجلد الرابع من شرح النهج) بالاسناد الى ابي سلمة ان فاطمة لما طلبت ارثها قال لها ابو بكر : سمعت رسول الله يقول : ان النبي لا يورث ولكني اعول من كان النبي يعوله وانفق على من كان ينفق عليه ، فقالت يا ابا بكر أيرثك بناتك ؟ ولا يرث رسول الله بناته ؟ فقال : هو ذاك ؛ واخرج الامام احمد بالاسناد =

فكان مما أدلت به يومئذ أن قالت: أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه راء ظهوركم ؟ إذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر زكريا (فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً) وقال (واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) وقال : (كتب عليكم – اذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً – الوصيةُ للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) .

ثم قالت : أخصكم الله بآية أخرج بها أبي ؟ ! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟ ! أم تقولون : أهل ملتين لا يتوارثان ؟ الخطبة . . .

= الى ابي سلمة نحوه فراجع ص ١٠ من الجزء الأول من مسنده حيث اورد حديث ابيبكر ، واخرج الجوهري في كتاب السقيفة وفدك ايضاً (كما في ص ٨١ من المجلد الرابع من شرح النهج) باسناده الى ام هاني بنت ابي طالب : ان فاطمة قالت لأبيبكر من يرثك اذا مت؟ قال ولدي واهلي ، قالت : فما لك ترث رسول الله دوننا؟ قال : يا بنت رسول الله ما ورث ابوك شيئاً . قالت : بلى سهم الله الذي جعله لنا وصار فيأنا وهو الآن في يدك ، فقال لها : سمعت رسول الله يقول انما هي طعمة اطعمناها الله فاذا مت كانت بين المسلمين ، وعن ابي الطفيل فيما اخرجه الجوهري مثله ، والاخبار في هذا متواترة ولا سيما من طريق العترة الطاهرة وحسبك خطبتها العصماء التي اشرنا اليها في الاصل ولها خطبة اخرى تتعلق بالخلافة اخرجها الجوهري في كتاب السقيفة وفدك (كما في ص ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج) بالاسناد الى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن امه فاطمة بنت الحسين قالت : لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء المهاجرين والانصار فقلن لها : كيف اصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت اصبحت والله عائفة لدنياكن ، قالية لرجالكن ، الخطبة . وهي من ابلغ المأثور عن اهل البيت (ع) وقد اخرجها ايضاً الامام أبو الفضل احمد بن أبي طاهر في ص ٢٣ من كتابه بلاغات النساء بالاسناد الى الزهراء واصحابنا يروونها بالاسناد الى سويد بن غفلة بن عوسجة الجعفي عن الزهراء ، وقد اوردها المجلسي في البحار والطبرسي في الاحتجاج .

فانظر كيف احتجت أولاً على توريث الأنبياء بآيتي داود وزكريا الصريحتين بتوريثهما ولعمري انها عليها السلام اعلم بمفاد القرآن ممن جاءوا متأخرين عن تنزيله فصرفوا الارث هاهنا الى وراثة الحكمة والنبوة دون الأموال تقديماً للمجاز على الحقيقة بلا قرينة تصرف اللفظ عن معناه الحقيقي المتبادر منه بمجرد الاطلاق وهذا مما لا يجوز ، ولو صح هذا التكلف لعارضها به أبو بكر يومئذ أو غيره ممن كان في ذلك الحشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم[1] على ان هناك قرائن تعين وراثة الأموال كما أفاده سيدنا علم الهدى في كتابه الشافي[2] .

---

(١) لكنهم لم يعارضوها يومئذ به ولا بشيء سوى المصادرة اذ أجابها ابو بكر بقوله : يا ابنة رسول الله والله ما خلق الله خلقاً أحب الي من رسول الله ابيك (ص) ولوددت أن السماء وقعت على الارض يوم مات ابوك (ص) والله لان تفتقر عائشة احب الي من أن تفتقري اتريني اعطي الابيض والاحمر حقه واظلمك حقك ؟ وانت بنت رسول الله وان هذا المال لم يكن للنبي وانما كان مالا من اموال المسلمين يحمل به النبي الرجال وينفقه في سبيل الله فلما توفي وليته كما كان يليه . قالت والله لا كلمتك ابداً ، قال : والله لا هجرتك ابداً قالت : والله لأدعون الله عليك ، قال : لأدعون الله لك . فلما حضرتها الوفاة اوصت ان لا يصلي عليها . الحديث اخرجه ابو بكر الجوهري بهذه الألفاظ في كتاب السقيفة وفدك (كما في ص ٨٠ من المجلد الرابع من شرح النهج) وتراه ما عارضها فيما فهمته من التوريث في آيتي داود وزكريا وإنما عارضها بدعواه ان هذا المال لم يكن للنبي فلم تقنع منه إذ هي اعلم بشؤون ابيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(٢) حيث اعتبر (أعلى الله مقامه) خوف زكريا من الموالي قرينة على انه انما اراد وراثة الاموال لان الموالي كانوا ورثته إذ لم يكن له ولد وكانوا من سفهاء الفسقة فلا يمكن ان يكونوا انبياء ولا حكماء ليخاف ان يرثوا مكانته من العلم والحكم والنبوة وإنما كان يخشى ان يرثوا امواله فيصرفوها في عيثهم وفسادهم فسأل ربه ان يهب له ولداً ليكون أحق بوراثة امواله منهم — واعتبر ايضاً (قدس الله سره) شرط زكريا على ربه ان يجعل وارثه رضياً قرينة اخرى على ارادة ارث المال اذ لو اراد ارث النبوة لكان هذا الشرط لغواً وجهلا وكان جارياً فيه مجرى من يقول اللهم ابعث لنا نبياً واجعله صادقاً غير كاذب .

واحتجت ثانياً على استحقاقها الارث من أبيها (ص) بعموم آيات المواريث وعموم آية الوصية منكرة عليهم تخصيص تلك العمومات بلا مخصص شرعي من كتاب أو سنة، وما أشد انكارها على وجود المخصص في الكتاب إذ قالت: أخصكم الله بآية أخرج بها أبي ثم قالت: أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فنفت بهذا الاستفهام التوبيخي وجود المخصص في السنة بل نفت وجوده مطلقاً، إذ لو كان ثمة مخصص لبينه لها النبي والوصي ويستحيل عليهما الجهل به لو كان في الواقع موجوداً ولا يجوز عليهما أن يهملا تبيينه لها لما في ذلك من التفريط في البلاغ والتسويف في الانذار والكتمان للحق والاغراء بالجهل والتعريض لطلب الباطل والتغرير بكرامتها والتهاون في صونها عن المجادلة والمجابهة والبغضاء والعداوة بغير حق وكل ذلك محال ممتنع على الأنبياء وأوصيائهم (ع).

وبالجملة: كان كلف النبي (ص) ببضعته الزهراء واشفاقه عليها فوق كلف الآباء الرحيمة واشفاقهم على ابنائهم البررة يؤويها الى الوارف من ظلال رحمته ويفديها بنفسه[1] مسترسلاً اليها بأنسه، وكان يحرص بكل ما لديه على تأديبها وتهذيبها وتعليمها وتكريمها حتى بلغ في ذلك كل غاية يزقها المعرفة بالله والعلم بشرائعه زقاً لا يألو في ذلك جهداً ولا يدخر وسعاً حتى عرج بها إلى اوج كل فضل، ومستوى كل مكرمة فهل يمكن أن يكتم عليها أمراً يرجع إلى تكليفها الشرعي؟ حاشا لله وكيف يمكن أن يعرضها (بسبب الكتمان) لكل ما أصابها من بعده في سبيل الميراث بل يعرض الأمة للفتنة التي ترتبت على منع ارثها؟.

---

(١) ذكرها (ص) مرة فقال: فداؤها أبوها فداؤها ابوها فداؤها ابوها (ثلاث مرات) في حديث اخرجه الامام احمد بن حنبل ونقله عنه وعن غيره ابن حجر في الامر الثاني من الامور التي ذكرها في خاتمة الآية الرابعة عشرة من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر من صواعقه ص ١٠٩.

وما بال بعلها خليل النبوة ، والمخصوص بالاخوة ، يجهل حديث : نحن لا نورث (مع ما آتاه الله من العلم ، والحكم ، والسبق ، والصهر ، والقرابة ، والكرامة ، والمنزلة ، والخصيصة ، والولاية ، والوصاية ، والنجوى) وما بال رسول الله (ص) يكتم ذلك عنه ، وهو حافظ سره ، وكاشف ضره ، وباب مدينة علمه ، وباب دار حكمته ، وأقضى أمته ، وباب حطتها ، وسفينة نجاتها وأمانها من الاختلاف ؟.. وما بال أبي الفضل العباس وهو صنو أبيه ، وبقية السلف من أهليه ، لم يسمع بذلك الحديث ؟ وما بال الهاشميين كافة وهم عيبته وبيضته التي تفقأت عنه لم يبلغهم الحديث حتى فوجئوا به بعد النبي (ص) ؟ . وما بال أمهات المؤمنين يجهلنه فيرسلن عثمان يسأل لهن ميراثهن من رسول الله (ص) ؟[1] وكيف يجوز على رسول الله (ص) أن يبين هذا الحكم لغير الوارث ويدع بيانه للوارث ؟ ما هكذا كانت سيرته (ص) إذ يصدع بالأحكام فيبلغها عن الله عز وجل ولا هذا هو المعروف عنه في انذار عشيرته الأقربين ، ولا مشبه لما كان يعاملهم به من جميل الرعاية وجليل العناية .

بقي للطاهرة البتول كلمة استفزت بها حمية القوم ، واستثارت حفائظهم بلغت بها ابعد الغايات ، ألا وهي قولها : أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان تريد بهذا ان عمومات المواريث لا تتخصص بمثل ما زعمتم وإنما تتخصص بمثل قوله (ص) لا توارث بين أهل ملتين واذن فهل تقولون (إذ تمنعونني الارث من أبي) : اني لست على ملته فتكونون (لو اثبتم خروجي من الملة) على حجة شرعية فيما تفعلون ؟ فانا لله وانا اليه راجعون .

---

(١) فيما اخرجه ابو بكر الجوهري في كتاب السقيفة وفدك كما في ص ٨٣ من المجلد الرابع من شرح النهج الحميدي .

وبالجملة : اخفقت الزهراء يومئذ في طلبها بسبب هذا الحديث وقد انفرد الخليفة به فلم يروه على عهده احد سواه ، وربما قيل بأنه قد رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان[1] .

نعم ذكروا أنه ترافع علي والعباس الى عمر أيام خلافته وكان عنـده حينئذ عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد فقال لهم[2] هل تعلمون أن رسول الله (ص) قال : لا نورث ما تركنا صدقة ، فاضطر الرهط إلى التصديق ، ولم يسعهم في تلك الظروف سوى الاذعان للخليفتين .

أما أبوهريرة فلم يكن تلك الأيام في عيرها ولا نفيرها ، ولا كان ممن يصغى اليهم أو يؤبه بهم كان متهماً في لهجته لا يجرأ مع وجود اولئك الاعلام على الحديث ، ولا يرى في نفسه أهلية الانضواء الى من ينتصر الخليفة بروايته لذلك لم ينبس في هذا الموضوع يومئذ ببنت شفة حتى ذهب معظم الصحابة وفتحت الامصار كالشام ومصر وافريقيا والعراق وفارس والهند وغيرها ، واسلم اهلوها جميعاً ، فدخل المسلمون في دور جديد قد نوه بنو أمية فيه باسم أبي هريرة ، واشادوا بذكره ، فأطلقوا عنه ربقة الخمول ، وكسوه نضرة بعد الذبول ، فتسنى له حينئذ ان يقول ما شاء أن يقول ، فكان يحدث العامة وسواد الناس بما يستوجب حبهم إياه وعطفهم عليه ، فكان هذا الحديث مما تزلف به إلى ساسة الامـة وسوقتها ، لما فيه تأييد الخليفة المحبوب ، تأييده لدى الرأي العام وجمهور المسلمين .

٢١ ـ أبو طالب أبى الشهادتين :

قال أبوهريرة : قال رسول الله (ص) لعمه أبي طالب : قل

---

(١) فيما نص عليه جماعة من الاثبات فراجع صفحة ٩١ من المجلد الرابع من شرح النهج .
(٢) فيما أخرجه البخاري ص ١٢٤ من الجزء الثاني من صحيحه في باب فرض الخمس .

لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ، قال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينيك ، فأنزل الله تعالى (إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) اه.

وقال في مقام آخر : قال رسول الله (ص) لعمه عند الموت : قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى ، قال : فأنزل الله تعالى الحديث[1].

ان أبا طالب رضوان الله وبركاته ورحمته عليه قضى في مكة سنة عشر للبعثة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل بل قضى سنة تسع ، وقيل سنة ثمان قبل قدوم أبي هريرة إلى الحجاز بعشر سنين في أقل ما يفرض فأين كان أبوهريرة عن النبي وعمه(ع) ؟ وهما يتبادلان الكلام الذي ارسله عنهما كأنه رآهما بعينيه وسمع كلامهما بأُذنيه ؟ نعوذ بالله ممن لم يكن لدينه ولا لعقله على لسانه رقيب ان هذا الحديث مما ارتجله المبطلون تزلفاً لأعداء آل أبي طالب ، وعملت الدولة الأُموية في نشره أعمالها ، وقد كفانا السلف الصالح من أعلامنا موئنة الاهتمام بتزييفه وتلك مؤلفاتهم تثبت إيمانه بأدلة لا تجحد ، وحجج لا تكابر نحيل عليها من أراد الوقوف على الحقيقة[2] من شأن عم رسول الله ومربيه وكافله وحاميه المنادي :

---

(١) اخرجه والذي قبله مسلم في ص ٣١ من الجزء الاول من صحيحه من طريقين عن يزيد ابن كيسان عن ابي حازم عن ابي هريرة .

(٢) حسبك منها كتاب الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب لمؤلفه الامام شمس الدين ابي علي بن الشريف معد الموسوي وهذا الكتاب طبع في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٥١ وعليه تعليقة شريفة للشريف العلامة البحاثة السيد الصادق الحسني الطباطبائي النجفي تصدى في آخرها لذكر المؤلفات في هذا الموضوع ومؤلفيها ، فكان مما ذكره كتاب ولدي الأكبر ابي عبد الرؤف عافاه الله وشفاه ، قال الطباطبائي : وشيخ الأبطح أو أبو طالب للعلامه السيد محمد علي آل شرف الدين الموسوي العاملي دام علاه طبع في بغداد سنة ١٣٤٩ قال وهذا الكتاب خير كتاب الف في هذا الموضوع حلل فيه نفسية شيخ الابطح وبين ماله من الفضل وكبير القدر في جميع أدوار حياته وبحق ظهر =

يا شاهد الله عـــني فاشهـــد   أني على دين النبي أحمد[1]

ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي ، شيخ الأباطح وبيضة البلد : ـــ

لولاه ما شد أزر المسلمين ولا   عين الحنيفة سالت في مجاريهـــا
آوى وحامى وساوى قيد طاقتـــه   عن خير حاضرها طراً وباديها
ما كان ذاك الحفاظ المرأطـــة أر   حام وضرب عروق فار غاليهـــا
بل للإله كما فاهت روائعه الـ   عصماء في كل شطر من قوافيها
ضاقت بما رحبت أم القرى برسو   ل الله من بعده واسود ضاحيهـــا
فانصـــاع يدعو له بالخير مبتهلا   بدعوة ليس بالمجبوه داعيهـــا
لولم تكن نفس عم المصطفى طهرت   ما فاه فوه بمـــا فيه ينجيهـــا
عاماً قضى عمه فيـــه وزوجته   قضـــاه بالحزن يبكيه ويبكيها

= للوجود وحيداً في بابه تأريخياً فلسفياً علمياً جيد التبويب والترتيب مفرغاً في قالب بديع متين ، وأسلوب جذاب ، والفاظ قوية بليغة اثبت ايمان ابي طالب «ع» واسلامه بادلة قطعت الخصام وبراهين سطعت فأماطت عن وجه الحقيقة ستر الظلام ولذا لم يمض على طبعه اكثر من شهر واحد حتى انتشر في الاقطار الاسلامية جمعاء وبعد مضي خمسة اشهر من تاريخ طبعه ترجمه في لكنهور (احدى حواضر الهند الكبرى) العالم الفاضل السيد ظفر مهدي الى اللغة الهندية (الاوردية) ونشر بتلك اللغة ايضاً (اولا) في الجزء ٨ و ٩ و ١٠ من المجلد الخامس من مجلة سهيل يمن ثم طبعه ثانياً مستقلا . وتقديراً لجهود مؤلفه الجليل اتيت بكلمتي هذه كما قدر جهوده قبلي جمهور من الاماثل فقد اطلعت على الكتب التي جاءت للمؤلف من الاقطار في أطراء كتابه وهي كثيرة وفيها التقاريظ القيمة من العلماء الاعلام ومن ملوك الاسلام (فمنهم) من آتاه الله من فضله العلم والملك وجمع له بين السلطتين الدينيه والزمنية عاهل اليمن الامام يحيى خلد الله ملكه وأما تقاريظ الصحف في العراق وسوريا ومصر ، فقد كانت حافلة بالشكر والثناء والمدح والاطراء كثر الله في رجال العلم والعمل امثال السيد المؤلف ولا حرم العالم الاسلامي من ثمرات جهوده وجزاه عن جده ابي طالب وعن الحقيقة خير جزاء المحسنين .

(١) ولأبي طالب اشعار كثيرة سائرة تثبت ايمانه .

اعظم بايمان مبكي المصطفى سنة   أيامها البيض أدجى من لياليهــا
من صلبه انبثت الانوار قاطبـــة   فالمرتضى بدوؤها والذخر تاليها[1]

٢٢ – الانذار يوم الدار :

أخرج الشيخان عن أبي‌هريرة[2] قال : قام رسول الله (ص) حين أنزل الله عليه (وأنذر عشيرتك الأقربين) فقال : يا معشر قريش لا أُغني عنكم من الله شيئاً . يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس لا أُغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية لا أُغني عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أُغني عنك من الله شيئاً .

قلت : هذه الآية إنما نزلت في مبدأ البعثة قبل ظهور الإسلام بمكة حيث كان أبوهريرة في اليمن ، وإنما كان قدومه إلى الحجاز ، وإسلامه بعد نزولها بعشرين سنة تقريباً ، وقد بتر أبوهريرة هذا الحديث وحرفه عن مواضعه جرياً على مقتضيات السياسة السفيانية وموجبات دعايتها ضد الوصي وسائر آل النبي فانه (ص) جمع عشيرته الاقربين يوم نزول الآية وفيها أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس رضي الله عنهم ، وأبو لهب تبت يداه . فدعاهم الى الله عز وجل وكان مما قاله يومئذ لهم :

---

(١) هذه الأبيات من القصيدة العلوية العصماء ذات البروج لناظم عقودها سلطان العلماء وامير الشعراء الشيخ عبد الحسين الصادق العاملي قدس سره .

(٢) راجع من صحيح البخاري ص ٨٦ من جزئه الثاني في باب هل يدخل النساء والولد في الاقارب من كتاب الوصايا حيث أخرجه ثمة من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة ، واخرجه مسلم من طريق عبد الملك بن عمير ومن طريق الزهري عن ابن المسيب وابي سلمة عن ابي هريرة ، وله طرق أخر عن ابي‌هريرة في مسند احمد وغيره .

فأيكم يوازرني على أمري هذا على ان يكون أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي ؟ فقال علي وهو إذ ذاك أصغرهم : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله « ص » حينئذ برقبته فقال : ان هذا أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا الحديث(١)

٢٣ ـ لعب الحبشة في المسجد عند النبي :

أخرج البخاري عن أبي‌هريرة قال : بينا الحبشة يلعبون في المسجد عند النبي « ص » بحرابهم دخل عمر فأهوى الى الحصى فحصبهم بها فقال النبي (ص) دعهم يا عمر الحديث(٢) .

قلت : ان رسول الله (ص) أبعد عن اللعب ، وأرفع عن العبث وأعرف بحرمات الله ورسوله من أن يوسع للجهال مجالاً إلى اللهو في المسجد بمحضر منه ، وان أوقاته الشريفة المفعمة بالمهمات الأُخروية والدنيوية لا يتسع اللهو منها شيء ، وحاشا لله أن يشغل مسجده الشريف بعبث أو لهو أو لغو (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)

٢٤ ـ النسخ قبل حضور وقت العمل :

أخرج البخاري(٣) عن أبي‌هريرة قال : بعثنا رسول الله في بعث

---

(١) هذا الحديث من صحاح السنن كما بيناه في اول المبحث الثاني من المراجعات حيث فصلنا من اخرجه من أصحاب السنن والمسانيد وارباب السير والتواريخ من المسلمين وغيرهم فلا مندوحة لكل بحاثة عن (المراجعات) فان ثمة ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين .

(٢) في باب اللهو بالحراب ص ١٢٠ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب الجهاد والسير .

(٣) في باب لا يعذب بعذاب الله ص ١١٤ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب الجهاد والسير .

فقال (ص) : إن وجدتم فلانا وفلاناً فاحرقوهما بالنار قال : ثم قال رسول الله (ص) لنا حين أردنا الخروج : إني امرتكم ان تحرقوا فلاناً وفلاناً وان النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فان وجدتموهما فاقتلوهما اه .

قلت : هذا الحديث باطل ، لاشتماله على النسخ قبل حضور وقت العمل وذلك محال على الله تعالى وعلى رسوله (ص) كما هو مقرر في محله فان رسول الله حين قال : احرقوا فلاناً وفلاناً فانما قال ذلك عن الله عز وجل وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى فكيف يمكن نسخ هذا القول قبل حضور وقت العمل به أليس نسخه والحال هذه مستلزماً للجهل ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

٢٥ ــ ايقاع الفعل في وقت لا يسعه :

أخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال : خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ، الحديث[1] .

قلت : هذا محال من وجهين : ــ

أحدهما : ان القرآن انما انزل على خاتم الانبياء والمرسلين محمد (ص) وقبله لم يكن ، فكيف يقرؤه داود (ع) .

أجابوا بأن المراد بالقرآن هنا إنما هو الزبور والتوراة وانه إنما سماه قرآناً لوقوع المعجزة بها كوقوعها بالقرآن فيكون المراد به مصدر القراءة لا القرآن المنزل على محمد (ص) .[2]

(١) راجعه في باب قوله تعالى : (وآتينا داود زبورا) ص ١٠١ من الجزء الثالث من صحيحه في كتاب تفسير القرآن ، وتجده ايضاً في احاديث الأنبياء «ع» ص ١٦٤ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب بدء الخلق .

(٢) تجد هذا الجواب في اول ص ٥٠٠ من الجزء الثامن من ارشاد الساري عند انتهائه إلى هذا الحديث من شرح صحيح البخاري .

قلت : في هذا الجواب نظر ، إذ حملوا فيه كلام أبي هريرة على ما لم يقصده والله أعلم .

ثانيها : ان مدة اسراج الدابة لتضيق عن قراءة القرآن ، سواء أُريد به المنزل على رسول الله (ص) أم أُريد به الزبور والتوراة ، ومن المقرر بحكم الضرورة العقلية امتناع وقوع الفعل في وقت لا يسعه ، وهذا مما لا سبيل الى التشكيك فيه أبداً .

واذن لا يؤبه بما ذكره العلامة القسطلاني في هذا المقام من ارشاد الساري إذ قال[1] وقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى يطوي الزمان لمن شاء من عباده كما يطوي المكان لهم قال : قال النووي إن بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربعاً بالنهار ، ولقد رأيت أبا الطاهر بالقدس الشريف سنة سبع وستين وثمان مائة وسمعت عنه إذ ذاك أنه كان يقرأ فيها أكثر من عشر ختمات بل قال لي شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أدام الله النفع بعلومه عنه أنه كان يقرأ خمس عشرة ختمة في اليوم والليلة قال : وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني انتهى بلفظه .

قلت : بل لا سبيل إلى إمكانه إلا إذا أمكن وضع الدنيا على سعتها في البيضة على ضيقها .

وأولوا الألباب يعلمون أن طي الزمان وطي المكان كليهما مما لا حقيقة له ، ولو فرض وقوعها فلا وجه لطي الزمان هنا اذ بطيه يزداد الاشكال .

نعم لو قال بطي الكلام في هذا المقام لكان أنسب لمراده وان كان باطلاً .

---

(١) في ص ١٨٢ من جزئه السابع حيث تكلم في شرح هذا الحديث فراجع وحين تكلم في شرحه ايضاً في ص ٥٠٠ من الجزء الثامن اعاد هذه القصص وزاد ان رجلا من اليمن ختم القرآن في شوط واحد من اشواط الطواف أو في اسبوع فتأمل واعجب .

ولا يمكن أن يكون ما نقله في هذا الحديث عن داود معجزة له (ع) لأن معجزات الأنبياء خوارق للعادة وهذا خارق للعقل كما لا يخفى .

٢٦ ـ امة مسخت فأراً :

أخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً[١] قال : فقدت امة من بني إسرائيل لا تدري ما فعلت وإني لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها البان الابل لم تشرب وإذا وضع لها البان الشاء شربت[٢] الحديث .

قلت : هذا من السخافة بمثابة تربأ عنها الأمة الوكعاء إلا أن تكون مدخولة العقل ، لكن الشيخين يلبسان هذا المخرف على غثيثته[٣] ويحتجان به على سخافته ولو أن هذا لا يعود على الإسلام بوصمة لقلدناه حبله لكنها السنة المعصومة يجب الذود عن حياضها بكل ما أوتي المسلم من قوة علمية وعملية ، فإن هذه الخرافات من أعظم ما مني به الإسلام من الآفات فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢٧ ـ المكروه عليه فاعتذر بسماعه من الفضل :

أخرج مسلم من طريق عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال : سمعت أبا هريرة يقص في قصصه[٤] : من أدركه الفجر

(١) في ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ، وفي باب الفأر وأنه مسخ ص ٥٣٦ من الجزء الثاني من صحيح مسلم .
(٢) اين اولو الألباب ينظرون إلى هذا التخريف في أصل الدعوى وفي دليلها وقد لا يخفى ان الدليل اظهر في السخافة من جهات شتى .
(٣) أي فساد عقله .
(٤) لا يخفى ازدراؤه بأبي هريرة إذ جعله قصاصاً ، والقصاص في اللغة ما يقرأ القصص في مجتمعات الناس ليأخذ منهم الجزاء عليها واكثر القصصيين مخرفون .

جنباً فلا يصم ، قال : فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحرث لأبيه[1] فأنكر ذلك فانطلق عبد الرحمن وانطلقت معه حتى دخلنا عـلى عائشة وام‌سلمة فسألهما عبد الرحمن عن ذلك قال : فكلتاهما قالت كان النبي (ص) يصبح جنباً من غير حلم[2] ثم يصوم قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان وهو والي المدينة من قبل معاوية فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان : عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول[3] قال فجئنا أباهريرة فذكر عبد الرحمن له ذلك فقـال أبوهريرة أهما قالتا لك ؟ قال : نعم ، قال : هما أعلم ، ثم رد أبوهريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس : سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي (ص) قال : فرجع أبوهريرة عما كان يقول الحديث .[4]

قلت : من المعلوم أن الفضل بن العباس قد توفي على عهد أبي بكر[5] وهذه القضية إنما كانت على عهد معاوية[6] وبهذا تسنى لأبي‌هريرة أن يقول سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من رسول الله (ص) ولوكان الفضل حياً ما اجترأ عليه .

---

(١) هكذا هو في جميع النسخ وهو صحيح ومعناه ذكره ابو بكر لأبيه عبد الرحمن فقوله لأبيه بدل من عبد الرحمن لاعادة حرف الجر .

(٢) ان رسول الله (ص) اجل وافضل واكمل مما يظنون وحاشاه ان يصبح جنباً ولا سيما في ايام الصوم والأنبياء لا يجوز عليهم الاحتلام لأنه من تلاعب الشيطان وهم منزهون عنه .

(٣) اراد مروان بهذا النصح لأبي هريرة اشفاقاً عليه من الفضيحة إذا لم يتدارك خطأه قبل أن يتسع الفتق .

(٤) تجده في باب : صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو مجنب صفحة ٤١٢ من الجزء الأول من صحيح مسلم في كتاب الصوم فراجع .

(٥) هذا هو الصحيح ، وقيل مات على عهد عمر وعلى كل فقد مات قبل هذه الواقعة باجماع اهل الاخبار فراجع ترجمته في الاستيعاب والاصابة واسد الغابة وطبقات ابن سعد وغيرها .

(٦) حيث كان مروان والياً على المدينة من قبل معاوية كما سمعت النص عليه في هذا الحديث .

٢٨ ـ حديثان متناقضان :

أخرج البخاري [١] من طريق أبي‌سلمة عن أبي‌هريرة مرفوعاً لا عدوى ولا صفر [٢] ولا هامة [٣] قال فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجر بها ؟ فقال رسول الله (ص) فمن أعدى الأول ؟

أورد البخاري هذا الحديث ثم روى بعده بلا فصل عن أبي‌سلمة أنه سمع أباهريرة فيما بعد يحـدث فيقول قال النبي (ص) لا يوردن ممرض على مصح فقال أبوسلمة يا أبا هريرة ألم تحدث أنه لا عدوى قال فأنكر حديثه الأول [٤] ورطن بالحبشية [٥] .

(قلت) : هذا شأن من لا تتساير خيلاه [٦] وكفى بهذا بلاغاً للناس (ولينذروا به ـ وليذكّر اولو الألباب) .

٢٩ ـ مولودان يتكلمان بالمغيبات :

أخرج الشيخان [٧] عن أبي هريرة مرفوعاً من حديث قال فيه : وكان

---

(١) في باب لاهامة ص ١٥ من الجزء الرابع من صحيحه في أواخر كتاب الطب ، وأخرجه مسلم ايضاً في باب لاعدوى ولا طيرة في ص ٢٥٨ والتي بعدها من الجزء الثاني من صحيحه .
(٢) لعله نفي لما يتوهم من حصول الدواهي في شهر صفر او في آخر اربعاء منه .
(٣) الهامة : بتخيف الميم على الافصح طائر كان اهل الجاهلية يزعمون ان روح الميت وقيل عظامه تنقلب هامة ، فأبطل الاسلام هذه الخرافة ، وقد يقال ان الهامة هنا هي البومـا يتشاءمون بها ، فأبطل هذا التشاؤم .
(٤) قد اتسع الخرق (بانكاره) على الراقع إذ لا محل بعده لتأويل الحديثين بحملهما على وجه يرتفع به تناقضهما كما لا يخفى .
(٥) إنما رطن بالحبشية حيث ارتجت عليه العربية فأخذ من جميع نواحيه فلم يجد سبيلا إلا الرطانة .
(٦) أي لا تسير في طريق واحد والمراد انه لا يوثق بأقواله لتناقضها .
(٧) راجع باب: واذكر في الكتاب مريم ص ١٦٧ من الجزء الثاني من صحيح البخاري =

في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي ؟ فقالت امه اللهم لا تمته حتى تريه وجوه الموسات « قال وكان جريج في صومعته » فتعرضت له امرأة فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ ![1] وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام ؟ فقال « الغلام إن أبي لهو » الراعي ! قالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا إلا من طين « قال أبوهريرة » وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة . فقالت أللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : أللهم لا تجعلني مثله ! ثم أقبل على ثديها يمصه قال « أبو هريرة » كأني أنظر إلى النبي « ص » يمص اصبعه ! ثم مرت أم الغلام بأمه فقالت أللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك الغلام ثدي أمه فقال أللهم اجعلني مثلها ! فقالت له أمه لم ذاك ؟ فقال لها : الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقول لها الناس سرقت زنيت ولم تفعل ! اه

قلت : لم يكن جريج من الأنبياء ، وكذلك هذان الطفلان ، فلا يمكن أن تصدر على ايديهم خوارق العادات ، فإن الخوارق إنما تكون من النبيين في مقام تعجيز البشر اثباتاً لنبوتهم كما هو مقرر في محله وكلام هذين المولودين وأخبارهما بالمغيبات مما تأباه فطرة الله « التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

= في كتاب بدء الخلق واخرجه ايضاً في ص ٤٩ من الجزء الثاني وفي ص ١٤٣ من الجزء الاول ، اما مسلم فاخرجه في ص ٣٧٧ من الجزء الثاني من صحيحه في باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها من كتاب البر والصلة والآداب .

(١) كأن ابا هريرة لم يعلم ان الوضوء لم يكن مشروعاً قبل الاسلام .

٣٠ — توكيله بحفظ زكاة الفطرة ومجيء الشيطان في ثلاث ليالٍ ليسرق منها :

أخرج البخاري بسنده[1] إلى أبي هريرة قال : وكلني رسول الله (ص) ظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله رفعنك إلى رسول الله قال إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة ، : فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي (ص) يا أبا هريرة ما فعل سرك البارحة ؟ فقلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته ليت سبيله ، قال « ص » أما إنه قد كذبك وسيعود قال فرصدته فجاء و من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله قال : دعني فإني اج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي سول الله : يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله كا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته ! فخليت سبيله ! قال « ص » أما قد كذبك وسيعود ، قال : فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته لت لأرفعنك إلى رسول الله قال دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها ا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لن يزال عليك من الله افظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ! فخليت سبيله فلما أصبحت قال رسول الله ما فعل أسيرك البارحة ؟ فحكيت له القصة فقال أتعلم من اطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت لا قال « ص » : ذلك شيطان ! اه

أقول : هذه خرافة لا يصغي إليها إلا من رك عقله ، وطفئت شعلة هنه ، تدهور أبوهريرة بها في مهواة سحيقة فإن رحمة هذا السارق ع تصديقه وفي تصديقه تكذيب لقول رسول الله « ص » : أما أنه قد ذبك ، يكرر ذلك ثلاث مرات .

) في الصفحة الثانية من كتاب الوكالة وهي ص ٢٩ من الجزء الثاني من صحيحه .

وكبا أبوهريرة في هذا الحديث ليديه وفمه من جهة أخرى : اذ حلف بالله ليرفعنه إلى رسول الله (ص) فحنث ولم يرفعه بل خلى عنه ورحمه أولاً وثانياً وثالثاً ، فهل كان الحنث بالأيمان على رأي أبي هريرة مباحاً ؟

وهناك سقطة ثالثة وعثرة لا تقال إذ لم يكن أبوهريرة وكيلاً بالعطاء وإنما كان – فيما زعم – وكيلاً بحفظ الزكاة[1] فكيف ترك هذا السارق يأخذ منها ؟ ! وهل يجوز للوكيل بحفظ الشيء أن يتسامح في حفظه أولاً وثانياً وثالثاً ؟ وهل هذا التسامح من الأمانة في شيء ؟ !

وما أغرب ما يحدثنا به أبوهريرة عن شياطينه – وكل ما انفرد به أبوهريرة غريب – تارة يزعم أنهم يسرقون الطعام لعيالهم وأخرى ان لهم ضراطاً إذا سمعوا الأذان ، وثالثة أنهم يربطون بسارية المسجد فتراهم الناس موثوقين ، الى غير ذلك من القصص التي يربأ أولو العقول الوافرة ، والأذهان النيرة عن سماعها ، نعوذ بالله من سبات العقل ، وضعف التمييز .

٣١ – اسلام امه بدعاء النبي ، ودعاؤه بأن يحببها إلى المؤمنين ويحبب المؤمنين اليها :

أخرج مسلم[2] بسنده إلى أبي هريرة قال : كنت أدعو امي إلى الإسلام

---

(١) كما هو صريح قوله في اول هذا الحديث : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان . وقد صرح الزركشي وغيره ان ابا هريرة لم يكن وكيلا بالعطاء بل بالحفظ خاصة فراجع صفحة ٢٣١ من الجزء الخامس من ارشاد الساري للقسطلاني اثناء شرحه لهذا الحديث .

(٢) في باب فضائل ابيهريرة ص ٣٥٧ من الجزء الثاني من صحيحه ، واخرجه الامام احمد من حديث ابي هريرة في آخر ص ٣١٩ من الجزء الثاني من مسنده ، واخرجه ابن سعد في ترجمة ابي هريرة ص ٥٤ من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته ، ونقله ابن حجر العسقلاني في ترجمة اميمة بنت صفيح من اصابته عن مسلم ونقله في =

وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله (ص) ما أكره فأتيت رسول الله وأنا أبكي قلت يا رسول الله أسمعتني امي فيك ما اكره فادع الله أن يهديها فقال (ص) أللهم اهد ام أبي هريرة فخرجت مستبشراً فلما بلغت الباب فإذا هو مجاف[1] فسمعت امي وطء قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله وأنا أبكي من الفرح فقلت يا رسول الله ابشر قد استجاب الله دعوتك فهدى ام أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً قال قلت يا رسول الله ادع الله أن يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا قال: فقال رسول الله أللهم حبب عبيدك هذا وامه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني اﻫ.

قلت: في هذا الحديث نظر من وجوه:

أحدها: أنه لم يروه عن رسول الله (ص) سوى أبي هريرة فهو اذن معطوف على سائر ما انفرد به.

ثانيها: أنه إذا كانت امه على الحال التي ذكرها من الإصرار على الشرك والإمعان في الكفر تأبى الإسلام وتنال من رسول الله (ص) إذا دعيت اليه فبأي أمل هاجرت من اليمن وهي مسقط رأسها ومحل انسها إلى المدينة الطيبة وهي دار هجرة النبي ومحل نصرته (ص)؟ وهلا بقيت — وحالها هذه — في أوطانها عاكفة على أوثانها؟ اسوة بأهل اليمن في ذلك الزمن فماذا يقول أولياء أبي هريرة في الجواب عن هذا؟ وليخبروني

= ترجمة ابي هريرة من الاصابة ايضاً عن احمد بن حنبل والحديث موجود في الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة.

(١) مأخوذ من اجاف الباب اي ردها.

هل لديهم عن ام أبي هريرة شيء يسند إلى غير أبي هريرة من هجرتها وإسلامها وسائر شؤونها فان كان لديهم شيء من ذلك فليرشدونا اليه فإني كما يشهد الله لم اجد فيمن كانت له صحبة أحداً ذكر ام أبي هريرة بشيء ما سوى الخليفة الثاني حين عزل أبا هريرة عن البحرين فقال له ما رجعت بك اميمة إلا لرعية الحمر وهذا لا يدل على اكثر من معرفة اسمها أما أصحاب المعاجم والتراجم فقد يذكرونها معتمدين فيما ينقلونه من أحوالها على أبي هريرة لا غير كما لا يخفى.

ثالثها: إن أبا هريرة كان من أشد مساكين الصفة فاقة وفقراً يلتمس في الطريق صدقة تمسك رمقه كما مر عليك في أحواله على عهد النبوة وقد سمعت ثمة قوله رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله الى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون وما بي إلا الجوع، وسمعت اعترافه بأنه وسائر أهل الصفة كانوا ضيوف الإسلام لا يأوون الى أحد ولا على أحد اذ لم تكن لهم منازل يأوون اليها فكانوا ينامون في المسجد ويظلون فيه وكانت صفة المسجد مثواهم ليلاً ونهاراً وأبوهريرة كان اشهر من سكن الصفة واستوطنها طول عمر النبي ولم ينقل عنها حتى مضى (ص) لسبيله كما سمعت مفصلاً بل كان عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين، فمن أين له البيت الذي ذكره في حديثه هذا يا اولي الألباب؟.

رابعها: لو صح ما قاله أبوهريرة في هذا الحديث لكان من أعلام النبوة وآيات الإسلام وأدلة أهل الحق حيث استجاب الله دعاء النبي (ص) على سبيل الفور فهدى الله به ام أبي هريرة وقلب حقيقتها فانها بينا كانت تمعن في الكفر وتسترسل في الضلال إذا هي من المؤمنات القانتات المؤدبات بالآداب الشرعية[1] وأعلام النبوة كلها متواترة يحدث بها كبار الصحابة

---

(١) يدلك على آدابها ما سمعته من غسلها ولبسها درعها قبل فتح الباب وعجلتها عن خمارها.

وصغارهم فما بالهم يعرضون عن هـــذه الآية فلم يروهـــا منهم سوى أبي هريرة لوكانت صحيحة .

خامسها : لوصح ما زعمه أبوهريرة من دعاء النبي له ولأمه بأن يحببها إلى المؤمنين ويحبب المؤمنين اليها لأحبه أهل بيت النبوة وموضع الرسالة فانهم سادة المؤمنين وقادة أهل الملة والدين فما بال أئمتهم الاثني عشر وسائر علمائهم يرذلونه ويسقطون حديثه ؟ ولا يأبهون بشيء مما انفرد به حتى قال أميرالمؤمنين عليه السلام[1] : ألا إن أكذب الناس أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله (ص) لأبوهريرة الدوسي .

ولو كان أبوهريرة في حب المؤمنين اياه وحبه اياهم كما زعم لما قال له عمر حين عزله عن البحرين[2] : يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله الخ . فكيف يكون عدو الله وعدوكتابه محباً للمؤمنين كافة ومحبوباً منهم جميعاً ؟ وقد ضربه عمر على عهد رسول الله (ص) بين ثدييه[3] ضربة خرّ بها لأُسته ، وضربه بالدرة بعد رسول الله (ص) حتى أدمى ظهره وانتزع منه عشرة آلاف سرقها من مال المسلمين فأرجعها إلى بيت المال ، وضربه مرة ثالثة حين قال له[4] : أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله (ص) وقال له مرة متغيظاً : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة[5] .

---

(١) في هذا المعنى اخبار متواترة عن أئمة العترة الطاهرة وقد ارسل هذه الكلمة عن امير المؤمنين عليه السلام بالخصوص امام المعتزلة ابو جعفر الاسكافي كما في ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي .

(٢) مر عليك حديث عزله في احوال ابي هريرة على عهد الخليفتين .

(٣) فيما اخرجه مسلم في ص ٣٤ من الجزء الأول من صحيحه .

(٤) كما في ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي .

(٥) اخرجه ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد وهو الحديث ٤٨٥٧ في ص ٢٣٩ من الجزء الخامس من كنز العمال .

وهنالك نوادر كانت بينه وبين كل من عبد الله بن عباس وعائشة وغيرهما لا تجتمع مع تبادل المحبة بينه وبينهم أبداً.

نعم كانت المحبة متبادلة في آخر أمره بينه وبين آل أبي العاص وآل أبي معيط وآل أبي سفيان، حببه اليهم حديثه إذ وجدوا فيه ضالتهم المنشودة لدعايتهم الكاذبة وحببهم اليه سوابغ نعمهم عليه إذ أنعشوه بعد الخمول وأنالوه النضرة بعد الذبول، كان مروان بن الحكم يستخلفه على المدينة[1] كلما غاب عنها، وهو الذي زوجه بسرة بنت غزوان[2] وما كان ليرمقها بطرفه لولا آل أبي العاص وآل أبي سفيان، ولما مرض مرض الموت كان مروان يبره ويصله وكان مشفقاً عليه فكان يدعو له بالشفاء حين يعوده وقد عاده في آخر أيام حياته فلما انصرف عنه أدركه إنسان فقال له[3] : قضى أبوهريرة، وحين حمل نعشه كان مروان أمام الجنازة[4] وكان أبناء عثمان يحملون النعش حتى بلغوا به البقيع فصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ونعاه إلى عمه معاوية فأمره أن يدفع إلى ورثته عشرة آلاف وان يحسن جوارهم، وهذه صورة تريك عطفهم عليه، ومزيد إحسانهم اليه وتلمسك انقطاعه اليهم وعكوفه عليهم فهل كانوا في اصطلاح أبي هريرة هم المؤمنين ؟ الذين حببهم الله اليه، وحببه اليهم ؟.

---

(١) كما اخرجه في ترجمة أبي هريرة كل من ابن سعد في طبقاته وابن قتيبة في معارفه، ورواه احمد بن حنبل في مسنده كما بيناه إذ ذكرنا ايادي بني امية عليه.

(٢) تعرف ذلك من ترجمة بسرة في اصابة ابن حجر.

(٣) فيما اخرجه ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من طبقاته.

(٤) كما اخرجه ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من طبقاته.

٣٢ – غلام أبي هريرة في هجرته :

أخرج البخاري[1] بسنده إلى أبي‌هريرة ، قال : لما قدمت على النبي (ص) قلت في الطريق :

يا ليلة من طولهـا وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت

قال : وابق غلام لي في الطريق فلما قدمت على النبي (ص) فبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي النبي : يا أبا هريرة هذا غلامك قلت هو لوجه الله فأعتقته ا ه .

إن أبا هريرة ليحير الحواس ، ويدهش مشاعر الناس بينا هو يقول نشأت يتيماً ، وهاجرت مسكيناً ، وكنت أجيراً لفلان وفلانة بطعام بطني أسوق بهم إذا ركبوا وأخدمهم إذا نزلوا ، إذا هو يدعي انه يوم هجرته كان يملك غلاماً فأعتقه لوجه الله ، والظاهر أنه إنما حدث بهذا في اواخر حياته حين كـان مغموراً بنعمة مروان وآل أبي سفيان ، فنسي حاله يوم الهجرة وقبلها وبعدها ، حيث كان طاوياً خاوياً كاسفاً تنط أمعاؤه وتنق أحشاؤه ، مطروحاً على الطريق يعتمد على كبده من الجوع ، ملتمساً صدقة من المارة تمسك رمقه ، كما أفصح عنه اذ قال : والله الذي لا إله إلا هو ان كنت لأعتمد على كبدي من الجوع وان كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع – الحديث – وقد مر عليك وفيه قعوده على الطريق يلتمس الصدقة ، وقد قال في حديث آخر : رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشياً علي ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع إلى كثير من كلماته الصريحة بأنه كان ممن لا تمضه الهوان ، ولا يؤلمه الامتهان .

(١) في قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ص ٥٥ من الجزء الثالث من صحيحه واخرجه ابن سعد في ترجمة ابي هريرة من طبقاته .

وان غاية ما يرجوه شبعة من طعام فمن أين له الغلام ؟ وحاله هذه يا أولي الألباب ؟

ولو قلنا لأبي هريرة : كيف عرفه النبي (ص) بمجرد أن طلع ؟ لأحرجنا مقامه إذ لم تكن له (ص) معرفة به سابقة ، لعل لأبي هريرة جلالة تستوجب الوحي إلى النبي في شأنه وشأن غلامه ؟ !

٣٣ ـ قصة خيالية ترمي الى حسن عواقب الصدقة :

أخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه كله في تلك الحديقة وإذا رجل قائم في الحديقة يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذي سمعه في السحابة فقال له : لم تسألني عن اسمي ، قال : اني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول له : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال : أما إذا قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، الحديث[1] .

وهذا مما تحكم العادة بامتناع وقوعه وتأباه نواميس الفطرة التي فطرت الأكوان عليها ، لكن أبا هريرة افتأته كرواية خيالية ترمي إلى حسن عواقب الصدقة ، وتقوله على رسول الله (ص) كما هي عادته في قصصه الخيالية وغيرها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٣٤ ـ خيالية اخرى ترمي الى حسن عواقب الوفاء بالشرط :

أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً : أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه الف دينار فقال : ائتني بالشهداء

---

(١) اخرجه مسلم في باب الصدقة في المساكين ص ٥٣٣ من الجزء الثاني من صحيحه .

أشهدهم فقال : كفى بالله شهيداً ، قال فاتني بالكفيل . قال كفى بالله كفيلاً . قال : صدقت . فدفعها اليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها الف دينار وصحيفة منه الى صاحبه ، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر ، فقال : اللهم انك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً الف دينار فسألني كفيلاً فقلت : كفى بالله كفيلاً فرضي بك ، وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضي بك ، وإني اجهد أن أجد مركباً ابعث اليه الذي له فلم اقدر واني استودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة ــ الحديث[1] ــ وهو في البعد إلى حد السقوط عن درجة الاعتبار .

على أن القاء الف دينار في البحر مما لا يبيحه شرع ولا عقل ولا يستوجب براءة ذمة المدين لولم يصل المال اليه والعقلاء يعدون هذا العمل منه سفهاً أو جنوناً يستوجبان التحجير عليه ولو فرض وقوع هذا الأمر في بني إسرائيل أو غيرهم فرسول الله (ص) لا يحدث به حتى يعلق عليه كلمة تستوجب عدم العمل على مقتضاه ، اذ لو حدث به من غير تعليق عليه ــ كما في الحديث ــ لأغرى به المؤمنين من امته وذلك محال عليه (ص) لكن أبا هريرة صاغه كما تصاغ الروايات الخيالية ، ومرماه الارتباط بالشرط ، والوفاء بالعقد ، ثم تقوله على رسول الله (ص) ترويجاً لبضاعته .

---

(١) اخرجه البخاري بهذه الالفاظ في باب الكفالة في القرض والديون ص ٢٦ من الجزء الثاني من صحيحه واخرجه ايضاً بألفاظ اخر في الاستقراض واللقطة والاستئذان والشروط والبيع والزكاة فراجع .

٣٥ – خيالية ثالثة ترمي الى عواقب شكر النعم وعواقب كفرها :

أخرج البخاري[١] عن أبي هريرة مرفوعاً قال : ان ثلاثة من بني اسرائيل أبرص واقرع واعمى بدا لله عز وجل ان يبتليهم[٢] فبعث اليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب عنه فاعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً ، فقال : أي المال احب اليك ؟ قال : الابل ، فاعطي ناقة عشراء فقال : يبارك لك فيها .

وأتى الأقرع فقال : أي شيء احب اليك ؟ قال شعر حسن وقد قذرني الناس ، قال : فمسحه فذهب واعطي شعراً حسناً ، قال فأي المال أحب اليك ؟ قال البقر فأعطاه بقرة حاملاً وقال يبارك لك فيها .

وأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب اليك ؟ قال : يرد الله إلي بصري قال فمسحه فرد الله اليه بصره ، قال : فأي المال أحب اليك ؟ قال الغنم : فأعطاه الله شاة والداً فأنتج هذا وولد هذا فكان لهذا واد من الابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من الغنم .

ثم انه أتى الأبرص في صورته وهيئته – التي كان الأبرص أولاً عليها – فقال له : رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن

---

(١) في ص ١٧٠ من الجزء الثاني من صحيحه في باب ما ذكر عن بني اسرائيل في كتاب بدء الخلق .

(٢) بدأ بفتح الباء الموحدة وفتح الدال المهملة المخففة بعدها الف مقلوبة عن واو بغير همزة بمعنى سبق في علم الله الأزلي ولم يكن ظاهراً للناس فأراد الله عز وجل اظهاره وهذا هو البداء الذي تقول به الشيعة الامامية واخطأ من رماهم بالدواهي ، والحمد لله إذ وجدنا في حديث ابي هريرة دليلا عليه فان خصومنا لا يقنعهم حديث العترة الطاهرة .

والمال بعيراً اتبلغ عليه في سفري ، فقال له : ان الحقوق كثيرة ، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن ابرص يقذرك الناس فقيراً ؟ فأعطاك الله. فقال : ورثت هذا كابراً عن كابر ، فقال : ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا ، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة اتبلغ بها في سفري ، فقال : كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فأغناني فخذ ما شئت فوالله لا اجهدك اليوم بشيء اخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتهم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك .

قلت : هذا الحديث من منسوجات أبي هريرة وقد رقشه ووشاه فكان كأحدث رواية خيالية يمثلها المزخرفون على مسارحهم في عصرنا الحاضر يرمي بها إلى عاقبتي شكر النعمة والكفر بها .

٣٦ ــ خيالية رابعة ترمي الى سوء عاقبة الظلم :

أخرج الشيخان بسندهما إلى أبي هريرة[1] مرفوعاً قال : دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض اهـ .

---

(١) راجع ص ١٤٩ من الجزء الثاني من صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق واول ص ٤٤٥ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب سعة رحمة الله من كتاب التوبة تجد الحديث .

وهذا الحديث مما أنكرته عائشة على أبي هريرة فكان مما قالت له إذ بلغها : إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة فإذا حدثت عن رسول الله فانظر كيف تحدث[1] .

قلت : وهذا من رواياته الخيالية يرمي فيه إلى سوء عواقب الظلم والعدوان .

٣٧ ـ خيالية خامسة ترمي الى حسن عواقب الرحمة :

أخرج البخاري عن أبي هريرة[2] يرفعه قال : غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى يلهث قال وكاد يقتله العطش فنزعت خفها وأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فشرب فغفر لها بذلك .

٣٨ ـ رواية خيالية هدفها هدف سابقتها :

وأخرج البخاري عن أبي هريرة يرفعه قال بينما رجل يمشي في طريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ! قال فنزل الرجل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكرالله له وغفر له بذلك ـ الحديث[3] ـ .

وقد تعلم أن هذا الحديث والذي قبله إنما هما من مخيلة أبي هريرة يمثل بهما حسن عواقب العطف والحنان ويحض بهما على البر والإحسان .

---

(١) هذا الرد مشهور عن عائشة وقد رواه عنها شارحوا صحيح البخاري ومسلم عند انتهائهم إلى هذا الحديث في شروحهم فراجع ص ٨٤ من المجلد السابع من ارشاد الساري .

(٢) في ص ١٥٠ من الجزء الثاني من صحيحه واخرجه ايضاً في مواضع اخر .

(٣) تجده في باب رحمة الناس بالبهائم ص ٣٦ من الجزء الرابع من كتاب الادب وفي باب فضل سقي الماء ص ٣٥ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب المساقاة فراجع .

٣٩ – مسرف كافر غفر له :

أخرج مسلم عن معمر قال : قال لي الزهري : ألا احدثك بحديثين عجيبين[١] ؟ ! اخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي قال : أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر علي ربي[٢] ليعذبني عذاباً ما عذب به أحداً ففعلوا ذلك به فقال الله للأرض أدي ما اخذت فاذا هو قائم فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : مخافتك يا رب فغفر له بذلك ، قال الزهري : وحدثني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال : دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي ارسلتها تأكل من خشاش الأرض – الحديث –[٣] .

قلت : أما المرأة ذات الهرة فان كانت مؤمنة كانت – كما قالت عائشة – أكرم على الله من أن يعذبها في النار بهرة ، وان كانت كافرة فإنما تعذب بكفرها .

وأما ذلك المسرف فانه – على ما يقتضيه الحديث – لم يكن أهلاً للمغفرة إذ لم يكتف بتمرده على الله تعالى طيلة حياته وتجاوزه الحد في موبقاته حتى مات مصراً على تمرده يائساً من روح الله فاراً من سلطانه الى حيث لا تناله – على زعمه – قدرة الله عز سلطانه التي أحاطت بكل شيء ولذلك أوصى تلك الوصية البربرية فهو كافر بيأسه من رحمة الله

---

(١) يحق للزهري ان يعجب من هذين الحديثين واولو الألباب كلهم يعجبون منهما .

(٢) تأمل كلمته هذه تجدها صريحة بأنه كان لا يؤمن بأن ربه قادر على بعثه بعد انجاز وصيته فهو كافر بذلك .

(٣) تجده في ص ٤٤٤ من الجزء الثاني من صحيح مسلم في باب سعة رحمة الله وانها سبقت غضبه من كتاب التوبة .

وانكاره لقدرة الله عز وجل والكافر لا يستحق المغفرة ، ولا هو لها بأهل اجماعاً وقولاً واحداً .

على أن اسلوب هذا الحديث إنما هو اسلوب حكاية خيالية ترمي إلى عدم اليأس من رحمة الله ولو مع الاسراف وإلى عدم الأمن من عذاب الله ولو مع الإيمان ، وهاتان الحقيقتان في غنى عن روايات أبي هريرة وخيالاته لثبوتهما بنص الذكر الحكيم والفرقان العظيم (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون • أفأمنوا مكرالله فلا يأمن مكرالله إلا القوم الخاسرون) فالسنن المقدسة تبرأ أنوار اساليبها من هذا الحديث واسلوبه كما لا يخفى .

وأيضاً لو فرض وقوع تلك الوصية من ذلك المسرف وفرض انها بمجردها كانت سبباً لمغفرة ذنوبه فرسول الله (ص) لا يمكن أن يحدث بها حتى يعلق عليها كلمة تحظرها إذ لو حدث بها من غير تعليق — كما نقله أبو هريرة — لأغرى بها المسرفين من امته وهذا محال كما لا يخفى .

٤٠ — مذنب يتوب إلى الله ثم يؤوب الى ذنوبه يكرر ذلك فيقول الله له : إعمل ما شئت فقد غفرت لك :

قال أبو هريرة : أذنب عبد ذنباً ، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي فقال الله تبارك وتعالى : اذنب عبدي ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قال : ثم عاد فأذنب ، فقال : اي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : عبدي اذنب ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فاذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : اذنب عبدي ذنباً فعلم ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ،

اعمل ما شئت فقد غفرت لك ! الحديث[1].

قلت : وهذا كسابقه معنى ومرمى واسلوباً نسجته يدا أبي هريرة من غزل مخيلته كحكاية العجائز والقصاصين يرمي به الى سعة مغفرة الله عز وجل وسعة مغفرة الله ورحمته في غنى عن الروايات الخيالية لثبوتها بحكم العقل والنقل كتاباً وسنة ولاجماع الأمة عليها بل إجماع أهل الأديان كافة بل هي من ضروريات الإسلام وغيره من سائر الأديان.

وأنت تعلم أن ليس بين الله عز وجل وبين احد من خلقه هوادة في حمى حرّمه على العالمين ، ألا تراه كيف يقول عز من قائل : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتــين وما منكم من أحد عنه حاجزين) فكيف يمكن بعدها ان يحابي هذا المذنب الراجع عن توبته مراراً فيقول له : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وبأي شيء استحق هذا الضعيف في ذات الله ان ينال هذه الهوادة التي ما نالها الصديقون والأنبياء والمرسلون.

وكم لأبي هريرة من هذه القصص الخيالية يحدث بها الطغاة تهويناً لجرائمهم وتعزية لهم عن موبقاتهم كقوله سمعت رسول الله (ص) يقول : حضر ملك الموت رجلاً يموت فلم يجد فيه خيراً وشق عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بفكه يقول لا إله إلا الله فغفر الله له ـ الحديث[2].

ومن سخافات هذا الرجل قوله : اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً في باب قبول التوبة من الذنب وان تكررت الذنوب والتوبة ص ٤٤٥ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب التوبة.

(٢) أخرجه الخطيب في ترجمة سعد بن عبد الحميد ص ١٢٥ من المجلد ٩ من تاريخ بغداد.

فلما قام رسول الله (ص) في مصلاه ذكر انه جنب الحديث[1].

نبرأ إلى الله منه وممن يجيزه على رسول الله (ص) الذي كان في جميع اوقاته على طهور وكان الوضوء على الوضوء عنده نوراً على نور وأنبياء الله كافة منزهون عن مضمونه معصومون عما هو دونه مما لا يليق بالصديقين وصالحي المؤمنين.

ومنها: حديثه[2] في النهي عن تفضيل النبي على موسى وحديثه[3] في أن من قال ان رسول الله خير من يونس بن متى فقد كذب.

قد أجمعت الامة على تفضيله، وثبت ذلك بالنصوص الصريحة الصحيحة وقامت عليه الضرورة من دين الإسلام.

وحديثه[4] بأنه لن يدخل أحداً عمله الجنة «قال» قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا.

يضرب بهذا الحديث عرض الحائط لمخالفته كتاب الله عز وجل في كثير من آياته، وحسبك منها: (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً).

وحديثه[5] في أنه ما بعث نبي إلا ورعى الغنم وهذا في البعد إلى حد السقوط.

---

(١) أخرجه البخاري في باب إذا ذكر في المسجد انه جنب يخرج ولا يتيمم ص ٤١ من الجزء الأول من صحيحه.

(٢) الذي اخرجه البخاري في الخصومات ص ٤٠ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) الذي اخرجه البخاري في باب قوله تعالى: (انا أوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح) إلى قوله تعالى (ويونس وهارون وسليمان في ص ٨٢ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب تفسير القرآن.

(٤) الذي اخرجه البخاري في باب تمني المريض الموت من آخر كتاب المرضى ص ٦ من الجزء الرابع من صحيحه.

(٥) الذي اخرجه البخاري في كتاب الاجارة ص ٢٢ من الجزء الثاني من صحيحه.

ومثاله حديثه[1] في أن ابراهيم (ع) قد اختتن بالقدوم [2] بعد ثمانين سنة من عمره.

وحديثه[3] في أن عيسى بن مريم (ع) رأى رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ فقال: كلا والذي لا إله إلا هو، فصدقه وكذب عينيه.

وحديثه: إذ خلق الله آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمه هو خالقها إلى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً (أي بريقاً) من نور ثم عرضهم على آدم فقال آدم من هؤلاء يا رب؟ قال: ذريتك فرأى آدم رجلاً أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك داود، قال آدم: كم جعلت له من العمر؟ قال ستين سنة، قال يا رب زده من عمري اربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل اذن يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه قال آدم: أو لم يبق من عمري اربعون سنة قال له ملك الموت أو لم تجعلها لابنك داود؟ قال فجحد فجحدت ذريته! — الحديث — [4]

ومثله حديثه[5] عن آدم وموسى حيث مثلهما يتحاجان على كيفية تدل

---

(١) الذي اخرجه البخاري في باب الختان ص ٦٥ من الجزء الرابع من صحيحه في اواخر كتاب الاستئذان.

(٢) ولعل هذا القدوم كان على راي ابي هريرة مما ورثه ابراهيم عن نوح وانه مما استعمله نوح في صنع فلكه.

(٣) الذي اخرجه البخاري في باب: واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ص ١٦٨ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٤) اخرجه الحاكم وصححه في ص ٣٢٥ من الجزء الثاني من المستدرك في كتاب التفسير في شرح: وإذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، واورده الذهبي وصححه في تلخيص المستدرك.

(٥) الذي اخرجه البخاري في باب وفاة موسى ص ١٦٣ من الجزء الثاني من صحيحه في كتاب بدء الخلق.

على أنهما كانا من القدرية الجبرية ، وقد ظهر فيها آدم على موسى فحجه إلى كثير مما لا يليق بالأنبياء ، ويجب تنزيههم عنه .

وما أكثر حديثه في خوارق النواميس الطبيعية ، وحسبك منها (مضافاً الى ما سمعته آنفاً) حديثان نجعلهما خاتمة هذا الفصل .

أحدهما : حديثه اذ كان – فيما زعم – مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في اربعة آلاف إلى البحرين فانطلقوا حتى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلهم أحد ولا يخوضه بعدهم احد !

قال أبو هريرة : أخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء وسار الجيش وراءه قال : فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر ؟؟ الحديث(١).

وهذا لو كان حقاً لرواه كل واحد من ذلك الجيش المؤلف من أربعة آلاف صحابي فكان في طليعة الأحاديث المتواترة فما باله لا يسند إلا إلى أبي هريرة يا أولي الألباب ؟؟ .

ثانيهما : حديث المزود إذ قال : اصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أصب بمثلهن : موت رسول الله (ص) وكنت صويحبه ، وقتل عثمان والمزود قالوا : وما المزود يا أباه يرة ؟ قال : كنا مع رسول الله (ص) في سفر فقال : يا أبا هريرة أمعك شيء ؟ قال قلت تمر في مزود ، قال جيء به ، فأخرجت تمراً فأتيته به ، قال : فمسحه ودعا فيه ثم قال : ادع عشرة ، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم كذلك حتى اكل الجيش كله وبقي من تمر معي في المزود فقال : يا أباهريرة إذا أردت

---

(١) رواه الشيخ الامام العلامة ابو بكر بن محمد الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن ابي رندة المتوفى سنة اثنتين وخمسمائة في الاسكندرية في كتابه الذي افرده للدعاء ونقله عنه الشيخ كمال الدين الدميري في مادة البعوض من كتابه حياة الحيوان واشار الى هذه القصة صاحبا الاستيعاب والاصابة في ترجمة العلاء وقالا انها مشهورة .

ان تأخذ منه شيئاً فادخل يدك فيه ولا تكفه قال : فأكلت منه حياة النبي وأكلت منه حياة ابي بكر كلها وأكلت منه حياة عمر كلها وأكلت منه حياة عثمان كلها ؟؟؟ فلما قتل عثمان انتهب ما في يدي وانتهب المزود ، ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق !!! .

قلت : لا ريب في أن رسول الله (ص) كان يطعم الجم الغفير من الزاد اليسير في كثير من ايامه المباركة ، وذلك من اعلام نبوته وآيات رسالته ، لكن هذا الحديث بالخصوص مما صنعته يدا أبي هريرة مدلاً على السواد من أحزاب بني امية والغوغاء من أشياعهم العاكفين على قميص عثمان وأصابع زوجته بالبكاء والعويل ليستنهض معروفهم ، ويجتدي برهم ، وهذا من أساليبه المدهشة في تزلفه الى بني امية وامتياح فضلهم .

ومما يدلك على وضعه أن أبا هريرة كان يتلون فيه تلون الحرباء ويتطور في نقله على أنحاء كما يعلمه متتبعوا طرق المزود في مسانيد السنة وكتبها[1] .

ولأبي هريرة كيس وسع هذا المزود وغيره كان عيبة علمه يتناول منه ما يشاء متى شاء وكيف شاء وربما سئل عما يحدث فيقال له أبا هريرة سمعت هذا من رسول الله (ص) فيقول : لا هذا من كيس أبي هريرة[2] .

وعجائب أبي هريرة يضيق عنها املاؤنا هذا وحسبنا منها ما اوردناه حجة على ما اردناه والحمد لله .

---

(١) حديث المزود اخرجه الامام احمد بن حنبل من طريقين ، وابو بكر البيهقي من طريقين آخرين ، واخرجه غيرهما من طرق اخر فليراجعها من اراد الوقوف على ما فيها من التهافت والتناقض الحاكمين بسقوطها ، وقد اورد ابن كثير جملة منها في ص ١١٦ من الجزء السادس من البداية والنهاية .

(٢) هذا نصه من حديث اخرجه عنه البخاري في اول كتاب النفقات ص ١٨٩ من الجزء الثالث من صحيحه .

١٢

مسنده في حكم المرسل

كان من دأب أبي‌هريرة ، في حديثه عن رسول الله (ص) أن يسند اليه ما بلغه عنه بالواسطة لا يقيم عليها قرينة كما يسند اليه ما سمعه منه مشافهة لا يفرق بين هذا وذاك في شيء ما ، وهذا ما جعل حديثه كله في حكم المرسل لا يصلح حجة ولا يقوم دليلاً .

وإن كنت في ريب مما قلناه في دأبه فإني احيلك على قوله : قال رسول الله «ص» لعمه أبي طالب : قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال : لولا ان تعيرني قريش الحديث (١) .

وقد علم الناس أن أبا طالب «ع» إنما توفي قبل قدوم أبي‌هريرة إلى الحجاز بعشر سنين في أقل الروايات ، فأين كان عن النبي وعمه «ع» وهما يتبادلان الكلام الذي أسنده اليهما كأنه رآهما بعينيه وسمعهما باذنيه ؟ ! .

وقال : قام رسول الله حين أنزل الله عليه : «وانذر عشيرتك الأقربين» فقال يا معشر قريش لا اغني عنكم من الله شيئاً الحديث(٢) .

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الايمان ص ٣١ من الجزء الأول من صحيحه ، وقد اوردناه وعلقنا عليه في الفصل السابق من هذا الاملاء .

(٢) اخرجه البخاري في ص ٨٦ من الجزء الثاني من صحيحه ومسلم واحمد ، وقد اوردناه وعلقنا عليه في الفصل السابق من الأصل .

وأولوا العلم بأسرهم مجمعون على أن هذه الآية إنما نزلت في مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهورها في مكة ، وأبوهريرة اذ ذاك في اليمن جاهلي وإنما أتى الحجاز بعد نزول هذه الآية بنحو عشرين سنة ، فأين كان عند نزولهـا ليقول : قام رسول الله حين نزلت فقـال : يا معشر قريش إلى آخر حديثه الذي أسنده إلى النبي ، كأنه رآه قائماً بعينيه ، وسمعه ينذر عشيرته باذنيه ؟ ! .

وقال : كان النبي يدعو في القنوت فيقول : أللهم أنج سلمة بن هشام ، أللهم أنج الوليد بن الوليد ، أللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، أللهم أنج المستضعفين من المؤمنين « الذين حبسهم المشركون عن الهجرة في حديث صحيح[1] » .

ومن المعلوم بحكم الضرورة من أخبار السلف انه انما حبس هؤلاء عن الهجرة فقنت رسول الله « ص » بالدعاء لهم قبل اسلام أبي هريرة بنحو سبع سنين ، فأين كان عن رسول الله (ص) ليسند هذا الحديث اليه كأنه رآه بعينيه قانتاً وسمعه باذنيه داعياً ؟ !

قال : وقال أبوجهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم ، الحديث[2] .

فان كان هذا القول واقعاً من أبي جهل فانه انما يكون قبل اسلام أبي‌هريرة وقبل قدومه من اليمن بنحو عشرين سنة فأين كـان عن أبي‌جهل ليسنده اليه كأنه سمعه باذنيه ؟ !

---

(١) اخرجه البخاري في باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ص ١٠٥ من الجزء الثاني من صحيحه .

(٢) اخرجه مسلم في باب قوله تعالى : ان الانسان ليطغى ص ٤٦٧ من الجزء الثاني من صحيحه .

وأين كان عن وقعة الرجيع وعن أميرها عاصم بن ثابت الأنصاري المستشهد فيها ليحدث عنها وعنه حديث المشاهد لها ؟؟[1] وقد كانت تلك الوقعة في صفر سنة اربع للهجرة قبل اسلامه بثلاث سنين تقريباً .

ومن وقف على سيرة أبي هريرة المستمرة في حديثه علم ان دأبه ما قلناه وحسبك هذا القدر دليلاً على ما ادعيناه .

وقد انتبه اليه أحمد أمين المصري البحاثة المعاصر اذ قال في كلام له[2] حول أبي هريرة : ويظهر انه لم يكن يقتصر على ما سمعه من رسول الله (ص) بل يحدث عن رسول الله بما أخبره به غيره .

قلت : واعترف بهذا أبو هريرة نفسه إذ حدث عن رسول الله (ص) بأن من أدركه الفجر جنباً فلا يصم ، فلما أنكرت عائشة وام سلمة عليه ذلك جعل الجناح فيه على الفضل بن العباس (وكان الفضل يومئذ ميتاً[3] فقال سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي وهذا « سواء أكان حقاً أم باطلاً » اعتراف منه صريح بأنه كان يسند إلى النبي (ص) ما لا يسمعه منه كما ترى .

(فان قلت) أي مانع للعدل ان يسند إلى النبي الحديث يسمعه من غيره مرفوعاً إليه (ص) .

---

(١) حديثه عنها ثابت في الصحاح فراجعه في كتاب الجهاد والسير ص ١١٧ من الجزء الثاني من صحيح البخاري .

(٢) تجده في ص ٢٦٢ والتي بعدها من كتاب (فجر الاسلام) في الفصل الثاني من الباب السادس .

(٣) فان هذه القضية كانت ومروان بن الحكم امير على المدينة في عهد معاوية — كما جاء في حديث البخاري عنها في باب الصائم يصبح جنباً ص ٢٢٥ من الجزء الاول من صحيحه وبه صرح شارحوا الصحيح كالقسطلاني وغيره — وقد استشهد الفضل يوم اجنادين في خلافة ابي بكر وقيل بل يوم مرج لصفر سنة ١٣ ، وقيل يوم اليرموك سنة ١٥ في خلافة عمر ، وقيل مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة ولم يبق حياً الى سنة العشرين اجماعاً وقولا واحداً .

« قلنا » لا مانع من ذلك غير أن الحديث في هذا الفرض لا يكون حجة ولا يوصف بالصحة « وان رواه بالعدل » وإنما يكون مرسلاً حتى تعرف الواسطة وتحرز عدالتها .

وبعبارة أخرى عدالة الراوي شرط في صحة حديثه ، فلابد من احرازها ولا يمكن ذلك في الواسطة المجهولة .

ومجمل القول في هذا الفصل أن في حديث أبي هريرة مراسيل كثيرة لا يمكن الاحتجاج بها ، وقد اشتبهت بمسانيده ، اذ لم يفرق بينهما في شيء وهذا ما أوجب سقوط الجميع عملاً بالقاعدة المقررة في الشبهات المحصورة .

١٣

دعواه الحضور في وقائع لم يحضرها

وقد اضطرنا هذا الرجل إلى الريب فيه بدعواه الحضور في وقائع لم يحضرها قطعاً.

وحسبك منها قوله: دخلت على رقية بنت رسول الله (ص) امرأة عثمان وبيدها مشط، فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفاً رجلت شعره فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله؟ — يعني عثمان — قالت بخير قال: اكرميه فانه من أشبه أصحابي بي خلقاً، أخرجه الحاكم[1] ثم قال: هذا حديث صحيح الاسناد واهي المتن فان رقية ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر وأبو هريرة انما اسلم بعد فتح خيبر.

«قلت» وأورده الذهبي في تلخيص المستدرك ثم قال: صحيح منكر المتن فان رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر.

وقال في سهو النبي: صلى بنا النبي (ص) الظهر أو العصر فسلم في ركعتين فقال له ذو اليدين: أنقصت الصلاة أم نسيت؟ الحديث.

وذو اليدين هذا استشهد ببدر قبل ان يسلم أبوهريرة بزمان كما بينا

(١) في احوال رقية ص ٤٨ من الجزء الرابع من المستدرك.

في الفصل ١١ من هذا الإملاء[1].

وكم كان يتبجح فيقول : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط الحديث[2].

مع أنه لم يحضر الفتح إجماعاً وقولاً واحداً ، وإنما جاء بعد الفتح ولذا ارتبك شارحوا الصحيحين عند انتهائهم إلى قوله : افتتحنا خيبر ، فحملوا كلمته هذه على التجوز وأن المراد جنسه من المسلمين[3].

وكم كان يحدث فيقول : شهدنا مع رسول الله (ص) خيبر فقال لرجل معه ممن يدعي الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، فكاد بعض الناس ان يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه الحديث[4].

قلت : هذا محل النظر من وجهين : أحدهما دعواه أنه شهد الواقعة مع رسول الله (ص) وقد عرفت انه لم يشهدها ، ولذلك ارتبك شارحوا هذا الحديث فقالوا : أما قول أبي هريرة شهدنا مع رسول الله خيبر فمحمول على المجاز والمراد جنسه من المسلمين لأن الثابت أنه إنما جاء

(١) فراجع منه الحديث ١٣ .

(٢) اخرجه البخاري في باب غزوة خيبر ص ٣٧ من الجزء الثالث من صحيحه .

(٣) راجع ص ١٥٤ من المجلد الثامن من شرحي البخاري المطبوعين معاً في اثني عشر مجلداً وهما ارشاد الساري للقسطلاني وتحفة الباري للانصاري تجد التأويل المذكور مع التصريح بأن أباهريرة لم يحضر فتح خيبر ، وكذلك فعل السندي فيما علقه على هذا الحديث من تعليقته المطبوعة في هامش الصحيح.

(٤) اخرجه البخاري في باب غزوة خيبر ص ٣٤ من الجزء الثالث من صحيحه وفي باب ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر من كتاب الجهاد والسير ص ١٢٠ من الجزء الثاني من الصحيح.

بعد أن فتحت خيبر انتهى بلفظ الشارح القسطلاني[1].

ثانيها: أن الرجل الذي قتل نفسه إنما هو قزمان بن الحرث حليف ظفر المنافق. كان يقاتل على الأحساب، وقضيته التي ذكرها أبوهريرة في حديثه هذا معروفة[2] وقد قتل باحد قبل إسلام أبي هريرة بدهر لكن أباهريرة قد راب في أمره فخلط الحابل بالنابل.

وقد قال: رأيت سبعين من أصحاب الصفة مامنهم عليه رداء ـ الحديث ـ[3].

قلت: استشهد هؤلاء السبعون بأجمعهم يوم بئر معونه فحزن النبي (ص) عليهم وقنت شهراً يدعو في الصلاة على قاتليهم وكانت هذه الوقعة في صفر سنة أربع من الهجرة قبل إسلام أبيهريرة وقبل قدومه من اليمن فكيف يدعي رؤيتهم ؟! وقال القسطلاني[4]: ان السبعين الذين رآهم أبو هريرة غير اولئك السبعين والله تعالى أعلم.

وبالجملة: علمنا من تعقب أبي هريرة واستقراء حديثه أنه كان كثيراً ما يحدث عن النبي (ص) بما لم يسمعه منه. وكثيراً ما يحدث عن

---

(١) في باب ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ص ٣٢٢ من الجزء السادس من ارشاد الساري.

(٢) وقد ذكرها الواقدي وابن اسحاق وغيرهما وترجمه ابن حجر في الإصابة وكثير من أصحاب المعاجم والتراجم، وقزمان هذا هو الذي كان في احد لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه حتى قيل لرسول الله (ص) يومئذ ما اجزأ عنا احد كما اجزأ فلان، فقال النبي: اما انه من اهل النار، فجرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه الحديث، اخرجه البخاري بالاسناد الى سهل بن سعد في باب لا يقول فلان شهيد، من كتاب الجهاد والسير ص ١٠١ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) اخرجه البخاري في ص ٦٠ من الجزء الثاني من صحيحه وقد اوردناه في احوال ابيهريرة على عهد النبي (ص) من هذا الاملاء.

(٤) في شرح هذا الحديث ص ٢٢٠ من الجزء الثاني من ارشاد الساري.

الوقائع التي لم يحضرها ، وربما ادعى حضورها وربما سمع شيئاً من كعب الأحبار أو غيره فراقه فحدث به عن رسول الله (ص) كما فعل في حديث «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة اذرع»[1] وهذا ما يضطر المؤمن إلى اتقاء حديث هذا الرجل.

والعجب من أصحاب الصحاح يشحنون به مسانيدهم لا يلتفتون إلى لوازمه الباطلة ولا يأبهون بما يكتنفه من دلائل الوضع والاختلاق ، ومن تتبع حديث الصحيحين عجب من بساطة الشيخين ، واليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة.

أخرج مسلم في باب فضائل أبي‌سفيان من طريق عكرمة بن عمار العجلي اليامي : أن المسلمين كانوا لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي (ص) : يا نبي الله ثلاث اعطينهن ، قال : نعم ، قال : عندي احسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان ازوجكها .. قال : نعم ، قال ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك ، قال : نعم ، قال : وتأمرني ان اقاتل الكفار كما كنت اقاتل المسلمين ، قال : نعم ، الحديث[2].

اقتصر عليه مسلم في باب فضائل أبي سفيان إذ لم يجد والحمد لله سواه وهو باطل بالاجماع ، لأن أبا سفيان إنما دخل في عداد المسلمين

---

(١) وقد فصلنا القول فيما يتعلق بهذا الحديث إذ اوردناه اول الفصل ١١ من هذا الاملاء.

(٢) تقف عليه في ص ٣٦١ من الجزء الثاني من صحيحه وهو من الاباطيل التي وضعها عكرمة اليامي ، وقد جزم بذلك ابن حزم كما نقله عنه النووي حيث اتى على هذا الحديث في شرح صحيح مسلم فراجع ، وقال الذهبي في آخر ترجمة عكرمة بن عمار من ميزان الاعتدال ما هذا نصه : وفي صحيح مسلم قد ساق له اصلا منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاثة التي طلبها ابوسفيان وثلاثة احاديث اخر بالاسناد اهـ (قلت) : ومن منكرات عكرمة هذا ماروا‌ه عن اياس عن ابيه سلمة ان رسول‌الله صلى الله عليه وآله قال : ابوبكر خير الناس الحديث (رواه ابن عدي في كتابه الكامل وهو كما قال الذهبي في اول ميزانه اكمل الكتب واجلها في معرفة الضعفاء).

يوم فتح مكة اجماعاً وقولاً واحداً. وقبل الفتح كان عدواً لله ولرسوله ومحارباً لهما.

أما بنته أم حبيبة واسمها رملة فقد أسلمت قبل الهجرة وحسن إسلامها فكانت ممن هاجر إلى الحبشة هرباً من أبيها وقومها، وقد تزوجها رسول الله (ص) وأبوها ممعن في الكفر مسترسل في محاربته للنبي فلما بلغه أن النبي قد تزوجها قال: ذلك الفحل لا يقدع انفه، وقدم بعد ذلك على المدينة يريد ان يزيد في الهدنة فدخل على بنته أم حبيبة فلما أراد الجلوس على فراشها طوته دونه فقال لها: رغبت به عني فقالت: نعم هذا فراش رسول الله (ص) وأنت امرؤ نجس مشرك، نص على هذا كله أعلام الامة واثباتها وهو مما لا ريب فيه، ومن راجع كتب السير والأخبار ووقف على أحوال ام حبيبة في كتب المعاجم والتراجم على التفصيل.

وحسبك ما أورده النووي عند بلوغه الى هـذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم[1] والحمد لله على الهداية للصواب، والشكر له إذ جعلنا من أولي الألباب وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) شرح النووي مطبوع في هامش شرحي صحيح البخاري وهما ارشاد الساري وتحفة الباري، وما احلناك هنا عليه من شرح النووي موجود في آخر ص ٣٦٠ وما بعدها من المجلد الحادي عشر فراجعه لتكون على بصيرة واعجب من ابن الصلاح وهذيانه.

١٤

انكار السلف عليه

أنكر الناس على أبي‌هريرة واستفظعوا حديثه على عهده إذ أفرط في الإكثار وانفرد باسلوب خاص يوجب الشك فيه فلهذا وذاك كاشفه الناس وأنكروا عليه من حيث كمية حديثه ومن حيث كيفيته.

يدلك على هذا قوله متألماً متظلماً: يقولون ان أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه؟.

فيصرح بأن كمية حديثه وكيفيته كانتا كلتاهما مدار الإنكار وقد تهددهم بالله وبالدار الآخرة على ذلك إذ قال: والله الموعد متفجعاً متوجعاً منهم حتى زعم انه لولا تكليفه الشرعي ما حدثهم بشيء أبداً لسوء ظنهم به فقال في آخر الحديث: والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً، إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الحديث[1] وهو كما ترى صحيح صريح بما قلناه.

---

(١) اخرجه البخاري في اول المزارعة وآخر البيوع من صحيحه واخرجه مسلم في الصحيح = ايضاً وسنذكره في الفصل الآتي فنتوسع فيما نعلقه عليه مما يقتضيه المقام ان شاء الله تعالى فراجع.

واصرح منه ما حدث به أبو رزين إذ قال[1] : خرج الينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال : الا انكم تحدثون اني اكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل الحديث .

ولما أتى العراق مع معاوية عام الجماعة ورأى كثرة مستقبليه من الناس جثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وجعل يضرب صلعته مراراً يلفت الناس بذلك اليه وحين اجتمعوا عليه أهاب بهم : يا أهل العراق اتزعمون أني اكذب على الله وعلى رسوله فاحرق نفسي بالنار إلى آخر ما استرسل فيه يومئذ من التحامل على الوصي تزلفاً إلى أعدائه في كلام باطل[2] .

وحسبك ان في مكذبيه عظماء الصحابة ، قال المعاصر البحاثة أحمد أمين المصري من كلام له[3] حول أبي هريرة : وقد أكثر بعض الصحابة من نقده على الاكثار من الحديث عن رسول الله (ص) وشكوا فيه كما يدل على ذلك ما روى مسلم في صحيحه . ثم أورد حديثين اخرجهما مسلم صريحين في نقده والشك فيه .

وقال الفاضل المعاصر مصطفى صادق الرافعي المصري من كلام له في هذا الموضوع : وكان اكثر الصحابة رواية أبوهريرة (قال) : وقد صحب ثلاث سنين ولهذا كان عمر وعثمان وعلي وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه وهو أول راوية اتهم في الإسلام وكانت عائشة اشدهم انكاراً عليه إلى آخر كلامه[4].

---

(١) فيما اخرجه مسلم في كتاب اللباس ص ٢١٧ من الجزء الثاني من صحيحه فراجع منه باب إذا انتعل احدكم فليبدأ باليمين .
(٢) نقله عنه الامام ابو جعفر الاسكافي من طريق الأعمش كما في ٣٥٩ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي طبع مصر .
(٣) في الفصل الثاني من الباب السادس ص ٢٦٢ والتي بعدها من كتابه (فجر الاسلام) .
(٤) فراجعه في مبحث الرواية بعد الاسلام ص ٢٨٢ من الجزء الاول من كتابه (آداب العرب) .

وقال النظام[1] : أكذب أبا هريرة كل من عمر وعثمان وعلي وعائشة اﻫ .

وحين حاول ابن قتيبة الدفاع عن أبي‌هريرة والرد على النظام لم يستطع إلا الاعتراف بما نقله النظام في هذا المقام ، واليك رده بعين لفظه :

قال[2] : وأما طعن النظام على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة له فإن أباهريرة صحب رسول الله (ص) نحواً من ثلاث سنين وقد أكثر الرواية عنه فلما اتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين اليه اتهموه وأنكروا عليه[3] وقالوا كيف سمعت هذا وحدك ؟ ومن سمعه معك ؟ قال : وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه وكان عمر ايضاً شديداً على من اكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه . الى آخر كلامه الذي أجراه الحق على لسانه فكان (بالرغم عنه) مصدقاً للنظام فيما نقله عن اولئك الاعلام ولا غرو فالحق ينطق منصفاً وعنيداً .

أما ما زعمه ابن قتيبة[4] « من امساك الصحابة عن أبي هريرة لما

---

(١) فيما نقله عنه ابن قتيبة في ص ٢٧ من كتابه (تأويل مختلف الحديث) حيث ذكر اقاويل النظام في الصحابة .

(٢) في ص ٤٨ من كتابه – تأويل مختلف الحديث – .

(٣) اراد ابن قتيبة أن يرد على النظام فأيد قوله ولم يقتصر على ذكر عمر وعثمان وعلي وعائشة في مكذبي ابي هريرة حتى اضاف اليهم بقية السابقين الأولين ، فان الواو في اتهموه وأنكروا عليه راجع اليهم جميعاً كما ترى .

(٤) في ص ٥٠ من كتابه – تأويل مختلف الحديث – .

أخبرهم بمنزلته الخاصة من رسول الله» فجزاف لا يصغى اليه ، فإن عظماء الصحابة يعرفون منزلته بكنهها فلا حاجة بهم الى من يعرفهم بها فلو كانت له في نفوسهم منزلة الصادقين ما كذبوه ولا اتهموه ، وقد مر عليك حديثه[1] اذ يخر بين المنبر والحجرة مغشياً عليه (في العهد النبوي) فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقه يرى انه مجنون ، وهذا ما لا يجتمع مع احترامه فضلاً عن سمو مقامه.

وبالجملة : فإن انكار الاجلاء (من الصحابة والتابعين) عليه واتهامهم اياه مما لاريب فيه ما تورع منهم عن ذلك احد حتى مضوا لسبيلهم وإنما تورع الجمهور ممن جاء بعدهم اذ قرروا القول بعدالة الصحابة أجمعين اكتعين ابصعين ، ومنعوا من النظر في شؤونهم ، وجعلوا ذلك من الاصول المتبعة وجوباً ، فاعتقلوا العقول بهذا وسملوا العيون ، وجعلوا على القلوب أكنة وعلى الأسماع وقراً فاذاهم (صمٌ بكمٌ عمي فهم لا يرجعون).

حاشا أئمة أهل البيت عليهم السلام فإنهم أنزلوا الصحابة حيث أنزل الصحابة أنفسهم[2] فرأيهم في أبي هريرة لم يعد رأي علي وعمر وعثمان

---

(١) في اوائل هذا الاملاء.

(٢) قال الفاضل المعاصر احمد امين في ص ٢٥٩ من (فجر الاسلام) ويظهر ان الصحابة انفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد وينزلون بعضاً منزلة اسمى من بعض ، فقد كان منهم إذا روى له حديثاً طلب من المحدث برهاناً ، بل روى ما هو اكثر من ذلك ، فقد روي ان ابا هريرة روى حديثاً فلم يأخذ ابن عباس بخبره ورد عليه وحدث بحديث فلم تأخذ به عائشة وردت عليه ، وروت فاطمة بنت قيس حديثاً يتعلق بزوجها فرده عمر قائلا : لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت حفظت ام نسيت وردته عائشة ايضاً فقالت لفاطمة الا تتقين الله - قال - : ومثل هذا كثير.

وعائشة وتبعهم في هذا شيعتهم كافة القدماء منهم والمتأخرون من عهد أمير المؤمنين إلى يومنا هذا .

ولعل جل المعتزلة على هذا الرأي . قال الامام أبو جعفر الاسكافي[1] ما هذا نصه : وأبوهريرة مدخول[2] عند شيوخنا غير مرضي الرواية ، (قال) ضربه عمر بالدرة ، وقال : قد اكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله (ص) ، « قال » : وروى سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم التيمي قال : كانوا لا يأخذون عن الأعمش قال : كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه فأتيته يوماً بأحاديث من أحاديث أبي صالح عن أبي هريرة فقال : دعني من أبي هريرة انهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه « قال » : وقد روي عن علي أنه قال : ان اكذب الناس أو قال اكذب الأحياء على رسول الله (ص) لأبوهريرة الدوسي « قال » : وروى أبو يوسف أنه قال قلت لأبي حنيفة يجيء الخبر عن رسول الله « ص » يخالف قياسنا فما نصنع به ؟ قال : إذا جاءت الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأي ، فقلت : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فقال : ناهيك بهما ، قلت : وعلي وعثمان ، قال : كذلك فلما رآني أعد الصحابة قال : والصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ثم عد منهم أبا هريرة وانس بن مالك .

قلت : وقد علمنا أن الامام أبا حنيفة وأصحابه كانوا يتركون حديث أبي هريرة إذا عارض قياسهم كما فعلوا في حديثه عن المصراة (وهي البقرة أو الشاة أو الناقة يجمع اللبن في ضرعها ويحبس اياماً لا تحلب فيها لإيهام المشتري انها غزيرة اللبن) إذ روى أن رسول الله (ص) قال :

---

(١) كما في ص ٣٦٠ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي .
(٢) اي كان في عقله دخل .

لا تصروا الابل والغنم من ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد أن يحلبها . فان رضيها أمسكها وان سخطها ردها وصاعاً من تمر فلم يأبهوا بحديثه هذا وقالوا : أبوهريرة غير فقيه وحديثه هذا مخالف للأقيسة بأسرها فان حلب اللبن من التعدي ، وضمان التعدي يكون بالمثل أو القيمة ، والصاع من التمر ليس واحداً منهما ، إلى آخر كلامهم[1] .

وعلمنا أيضاً ان من رأي أبي‌حنيفة وأصحابه كـــافة بطلان الصلاة بالكلام مطلقاً ولو عن نسيان أو جهل او ظن المصلي بأنه خرج من الصلاة ، والفقه الحنفي صريح بهذا الرأي وعليه سفيان الثوري في أصح الروايتين عنه وهذا مما يدل على ان لا قيمة عندهم لحديث أبي هريرة ، إذ حدث بأن النبي (ص) سها فسلم في الرباعية عن ركعتين ثم قام من مصلاه ودخل حجرته ثم رجع فقيل له : أقصرت الصلاة ام نسيت ؟ فقال : لم تقصر ولم أنس ، فقالوا : بلى صليت بنا ركعتين . وبعد حوار كان بينه وبينهم أيقن بما يقولون فبنى على الركعتين وأتم الصلاة ثم سجد للسهو[2] وبهذا أخذ مالك والشافعي وأحمد والاوزاعي وغيرهم فأفتوا بأن كلام الناسي للصلاة والذي يظن أنه ليس فيها لا يبطلها . الكن أباحنيفة حيث لم يأبه بحديث أبي‌هريرة أفتى بالبطلان[3] .

ولنختم الفصل بنوادر كانت بين أبي هريرة وبعض الصحابة تلمسك منزلته في نفوسهم .

---

(١) راجعه في مظانه من فقه الحنفية ، وقد نقله عنهم الفاضل احمد امين في آخر ص ٢٦٣ والتي بعدها من كتابه فجر الاسلام .

(٢) وقد مر حديثه هذا في الفصل ١١ فراجعه وامعن فيما علقناه عليه .

(٣) وقد نقل النووي في شرح صحيح مسلم بطلان الصلاة في هذا الفرض عن أبي حنيفة واصحابه وعن الثوري في اصح الروايتين عنه ونقل عدم البطلان عمن سواهم عملا بحديث أبي‌هريرة هذا فراجع شرح الحديث في آخر ص ٢٣٤ والتي بعدها من الجزء الرابع من شرح النووي المطبوع في هامش شرحي البخاري .

فمنها : ما ذكره أبوهريرة إذ قال : لما بلغ عمر حديثي استدعاني فقال لي : أكنت معنا يوم كنا في بيت فـلان ؟ فقلت نعم وإن رسول الله (ص) قال يومئذ من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار الحديث[1].

وهذا من الأدلة على انه لم يكن ممن يحدث بحضرة عمر ولا ممن كان عمر يراهم أو يسمعهم يحدثون ، وإنما بلغه حديثه من أفواه الناس فاتّهمه به لغرابته فاستدعاه لينذره بالنار إذا كذب .

ومنها : انه زجره مرة فقال له[2] : لتتركن الحديث عن رسول الله (ص) أو لالحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة .

ومنها : انه غضب عليه باكثاره على رسول الله فضربه بالدرة ردعاً له وهو يوبخه بقوله[3] أكثرت يا أبا هريرة وأحرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله (ص) .

ومنها : انه عزله عن البحرين بعد ان ضربه فأدمى ظهره وانتزع منه عشرة آلاف لبيت المال ووبخه بكلام فظيع فصلناه آنفاً[4].

ومنها انه ضربه على عهد النبي (ص) ضربة خرّ بها لاسته[5].

ومنها : ان علياً لما بلغه حديث أبي هريرة قال[6] : ألا ان اكذب

---

(١) اخرجه مسدد في مسنده من طريق خالد بن يحيى عن ابيه عن ابي‌هريرة ونقله ابن حجر في ترجمة أبي هريرة من الاصابة .

(٢) فيما اخرجه ابن عساكر وهو الحديث ٤٨٨٥ في ص ٢٣٩ من الجزء الخامس من كنز العمال وتراه صريحاً في امره بترك الحديث بالمرة .

(٣) فيما رواه الامام الاسكافي وقد مر عليك قريباً .

(٤) فراجع احواله على عهد الخليفتين .

(٥) فيما اخرجه مسلم في ص ٣٤ من الجزء الأول من صحيحه .

(٦) فيما رواه ابوجعفر الاسكافي وقد مر عليك قريباً .

الناس أو قال اكذب الأحياء على رسول الله (ص) أبو هريرة الدوسي .

ومنها : أنه بلغ علياً إن أبا هريرة يبتدئ بميامينه فقال[1] لاخالفن أباهريرة .

ومنها : ان أبا هريرة كان يقول : حدثني خليلي ، ورأيت خليلي وقال لي خليلي رسول الله ، فبلغ علياً ذلك فقال له : متى كان النبي خليلك يا ابا هريرة ؟ ينكر عليه قوله هذا ، إذ كان سيء الرأي فيه[2] وعلي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله (ص)[3] ، وعلي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار[4] .

ومنها ان عائشة دعت أبا هريرة إذ بلغها حديثه فقالت له : ما هذه الأحاديث التي تبلغنا انك تحدث بها عن النبي (ص) هل سمعت إلا ما سمعنا؟ ورأيت إلا ما رأينا ؟ قال: يا أماه انه كان يشغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة الحديث[5].

ومنها : انه روى أن الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة ، فكذبته عائشة وقالت : رأيت رسول الله يصلي وسط السرير وأنا على السرير معترضة بينه وبين القبلة .

---

(١) العهدة في هذه الرواية على ابن قتيبة في ص ٢٧ من تأويل مختلف الحديث .

(٢) قاله ابن قتيبة في ص ٥٢ من تأويل مختلف الحديث .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك والطبري في الاوسط عن ام سلمة مرفوعاً وهو الحديث ٢٥٢٩ في ص ١٥٣ من الجزء السادس من كنز العمال .

(٤) عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله (ص) : الحق مع ذا ، الحق مع ذا يشير الى علي ، اخرجه ابويعلى في مسنده وسعيد بن منصور في سننه ، وهو الحديث ٢٣٦٧ في ص ١٥٧ من الجزء السادس من الكنز .

(٥) أخرجه وصححه الحاكم في ص ٥٠٩ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك وصححه الذهبي اذ اورده في تلخيص المستدرك ، وعائشة لم تقبل عذره بدليل انها ما امسكت عنه حتى ماتت .

ومنها : انه روى حديثاً في النهي عن المشي بالخف الواحد فبلغ عائشة ذلك فمشت بخف واحد وقالت لاخالفن أبا هريرة .

ومنها انه روى من اصبح جنباً فلا صيام له ، فردت عليه عائشة وحفصة وكذبتا حديثه فاعترف أبوهريرة لها ورجع عن قوله معتذراً بأنه لم يكن سمع ذلك من رسول الله وإنما سمعه من الفضل بن العباس وكان الفضل (حين اعتذر بهذا) ميتاً[1] .

ومنها : ان رجلين دخلا على عائشة فقالا : ان ابا هريرة يحدث عن رسول الله (ص) أنه قال : إنما الطيرة في المرأة والدابة فطارت عائشة شغفاً ثم قال : كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا عن رسول الله (ص) ؟ الحديث[2] .

ومنها : انه جلس مرة الى جنب حجرة عائشة يحدث عن النبي (ص) وهي مشغولة في سبحتها فقالت بعد فراغها : ألا يعجبك أبوهريرة يجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي يسمعني ذلك ؟ وكنت اسبح فقام قبل ان اقضي سبحتي ولو ادركته لرددت عليه الحديث [3] .

ومنها : انه روى عن النبي (ص) انه قال : متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الاناء فان احدكم لا يدري أين

---

(١) تجد حديث الكلب والمرأة والحمار وحديث المشي في الخف الواحد وحديث من اصبح جنباً في ص ٢٧ والتي بعدها من تأويل مختلف الحديث والصواب ان اللتين ردتا حديثه فيمن اصبح جنباً انما هما عائشة وام سلمه كما نقلناه في الحديث ٢٧ عن صحيح البخاري .

(٢) اورده ابن قتيبة في صفحة ١٢٦ والتي بعدها من « تأويل مختلف الحديث » .

(٣) اخرجه مسلم في ص ٣٥٨ وفي ص ٥٣٨ من الجزء الثاني من صحيحه في فضائل أبي‌هريرة وفي التثبت في الحديث .

باتت يده ؟ فأنكرت عائشة عليه[1] فلم تأخذ به وقالت : كيف نصنع بالمهراس[2] .

ومنها : ان أبا هريرة روى عن رسول الله (ص) أن من حمل جنازة فليتوضأ ، فلم يأخذ ابن عباس بخبره ورده صريحاً قال : لا يلزمنا الوضوء في حمل عيدان يابسة[3] .

ومنها : ان ابن عمر كان يروي أن رسول الله (ص) أمر بقتل الكلاب إلا كلب صيد أو كلب غنم أو ماشية فقيل لابن عمر : ان أبا هريرة يقول : أو كلب زرع ، فلم يأبه بذلك ابن عمر وقال في رده : ان لأبي هريرة زرعاً يتهمه بزيادة كلب الزرع في حديث رسول الله (ص) احتفاظاً بكلابه واحتياطاً على زرعه والحديث في صحيح مسلم[4] .

ومثله ما في صحيح مسلم أيضاً[5] عن أبي هريرة مرفوعاً : من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط ، فذكر لابن عمر قول أبي هريرة هذا فقال : يرحم الله أبا هريرة كان صاحب زرع — يتهمه بزيادة كلب الزرع ايثاراً لمصلحته — وقد اتهمه بهذا ايضاً سالم بن عبد الله بن عمر في حديث أخرجه مسلم ايضاً[6].

---

(١) نقل ذلك احمد امين ص ٢٥٩ من فجر الاسلام ، والإنصاف ان انكار عائشة في هذا على ابي هريرة إنما يكون متجهاً لعدم وثاقته ، اما نقضها عليه بالمهراس فغير متجه كما لا يخفى .

(٢) المهراس : حجر منقور ضخم لا يقله الرجال ولا يحركونه لثقله يملأونه ماء ويتطهرون منه .

(٣) رواه جماعة من الاثبات ونقله الاستاذ احمد امين في ص ٢٥٩ من فجره .

(٤) راجعه في صفحه ٦٢٥ من الجزء الأول من صحيحه في باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخها .

(٥) راجعه في صفحه ٦٢٧ من الجزء الأول من صحيحه في باب تحريم اقتناء الكلاب إلا لصيد او زرع او ماشية ونحو ذلك .

(٦) في صفحة ٦٢٦ من الجزء الأول من صحيحه .

ومنها : ان ابن عمر لم يصدق أبا هريرة في حديثه في التنفذ وبقي شاكاً فيه .

ومنها : ان ابن عمر سمعه يحدث بأن من اتبع جنازة فله قيراط من الأجر فقال اكثر علينا أبوهريرة ولم يصدقه حتى بعث الى عائشة يسألها عن ذلك فروته له فصدق حينئذ والحديث في هذا ثابت(١) .

وكذلك فعل عامر بن شريح بن هاني إذ سمع أبا هريرة يحدث بأن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ؛ فلم يصدق أبا هريرة بذلك حتى سأل عائشة فروته له وأفهمته المراد منه ، والحديث في ذلك ثابت ايضاً (٢).

ولو أردنا استقصاء الموارد التي ردّ فيها السلف حديث أبي‌هريرة وأنكروا فيها عليه لطال بنا الكلام ، وهذا القدر كاف لما أردناه والحمد لله .

وناهيك تكذيب كل من عمر وعثمان وعلي وعائشة له ، وقد تقرر بالاجماع تقديم الجرح على التعديل في مقام التعارض على انه لا تعارض هنا قطعاً فان العاطفة بمجردها لا تعارض تكذيب من كذبه من الأئمة .

أما أصالة العدالة في الصحابة فلا دليل عليها والصحابة لا يعرفونها ولو فرض صحتها فإنما يعمل على مقتضاها في مجهول الحال لا فيمن يكذبه عمر وعثمان وعلي وعائشة ولا فيمن قامت على جرحه أدلة الوجدان فاذا نحن من جرحه على يقين جازم .

---

(١) اخرجه مسلم في باب فضل الصلاة على الجنائز واتباعها ص ٣٤٩ والتي بعدها من الجزء الأول من صحيحه ، وأخرج الحاكم في ص ٥١٠ من الجزء الثالث من المستدرك نحوه .

(٢) اخرجه مسلم ص ٤٢٢ في باب : من احب لقاء الله احب الله لقاءه من الجزء الثاني من صحيحه .

سبوح لها منها عليها شواهد

ونحن الإمامية لنا في الصحابة رأي هو أوسط الآراء عقدنا لبيانه في أجوبة موسى جارالله فصلاً مخصوصاً[1] وعقدنا لتأييده فصلاً آخر[2] فليراجعها من أراد التحقيق من أولي الألباب والحمد لله على الهداية للصواب .

---

(١) تجده في ص ١١ وما بعدها إلى منتهى ص ١٥ من الأجوبة .

(٢) تجد في ص ٢٣ وما بعدها الى ص ٢٧ من الأجوبة ايضاً .

١٥

احتجاجه على متهميه

كان أبوهريرة يحتج على مكذبيه ومتهميه فيقول[1] : يقولون إن أباهريرة يكثر الحديث ! والله الموعد ! ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه ؟ وان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق وان اخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم ! وكنت امرءاً مسكيناً الزم رسول الله على ملء بطني فأحضر حين يغيبون ! وأعي حين ينسون ! ! .

وقال النبي (ص) يوماً : لن يبسط احد منكم ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم يجمعه الى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي (ص) مقالته ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك شيئاً الى يومي هذا والله لولا

---

(١) فيما اخرجه في البخاري في آخر المزارعة ص ٣٤ من الجزء الثاني من صحيحه واخرجه في البيوع وفي غير موضع من الصحيح وكذلك مسلم في عدة مواضع من صحيحه واحمد في مواضع من الجزء الثاني من مسنده وجميع اصحاب السنن والمسانيد اخرجوه من حديث ابي‌هريرة بطرق اليه كثيرة وألفاظ مختلفة .

آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً : ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى ، الى قوله : وأنا التواب الرحيم .

قلت : ان أبا هريرة كلما ازداد مثالة زاده الله رعالة[1] يريد ان يقنع المنكرين عليه في كمية احاديثه وكيفيتها فجاءهم بهذا الحديث تزكية لنفسه واحتجاجاً عليهم فاذا حجته جفاء أو ثأطة مدت بماء[2] كأن الله عز وجل سخره بهذا الحديث حجة للمنكرين عليه ودليلاً على صحة ما نسبوه اليه فاني « وشرف الصدق » وعلو مقام الصادقين » ما رأيت في كل ما صنعته ايدي المخرفين ابرد من هذا الحديث ولا ابعد منه عن الصدق وما كنت لألمّ به ولا لأُعرج عليه لولا أن الشيخين وامثالها قد نظموه في سلك الصحاح بكل ارتياح وإنما فعلوا ذلك تعبداً برأيهم في كل صحابي وقد خالفوا في ذلك الأدلة عقلية ونقلية وخالفوا السلف الصالح من أولي الألباب كما أوضحناه في كتابنا — تحفة المحدثين — ولنا على بطلان هذا الحديث وجوه : —

الأول : زعم أن المهاجرين كان يشغلهم عن النبي (ص) الصفق بالأسواق[3] والأنصار كان يشغلهم عمل اموالهم[4] فساق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كافة بعصا واحدة — لقد هزلت — وحن قدح ليس منها — وأي قيمة للقول بأن جميع المهاجرين كان يلهيهم الصفق بالأسواق ؟ بعد قوله عز من قائل : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع

(١) اي كلما ازداد رزقاً زاده الله حمقاً .

(٢) الجفاء هنا ما نفاه الباطل ، والثأطة الحمأة كلما ازدادت ماء قل تماسكها .

(٣) الصفق : كناية عن التبايع إذكان البايعان يتصافقان بالأكف ، وكان عمر يقول عما جهله من السنن الهاني عنه الصفق بالأسواق ، اي الخروج إلى التجارة اخرجه في صفحة ٤ من الجزء الثاني من صحيحه في باب الخروج بالتجارة .

(٤) اي إدارة حدائقهم إذ كانوا اهل نخيل .

عن ذكر الله ..) الآية وهل لمعارض كتاب الله إلا الضرب بعرض الجدار ؟
ومن هو أبوهريرة ؟ ليحضر حين يغيب الخصيصون برسول الله (ص)
ويحفظ حين ينسون يقول هذا القول بملء فيه غير متئد ولا خجل ولا
وجل إذ قاله على عهد معاوية حيث لا عمر ولا عثمان ولا علي ولا طلحة
ولا الزبير ولا سلمان ولا عمار ولا المقداد ولا أبوذر ولا أمثالهم كبرت
كلمة تخرج من فيه ما أبعدها عن الصدق وقد علم الناس موضع علي من
رسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعه في حجره وهو
ولد يضمه الى صدره ويكنفه إلى فراشه ويمسه جسده ويشمه عرفه وكان
يمضغ الشيء ثم يلقمه إياه وما وجد لـــه كذبة في قول ولا خطلة في عمل
ولقد قرن الله به (ص) من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته
يسلك به طرق المكارم ومحاسن أخلاق العالم فكان علي يتبع رسول الله
اتباع الفصيل أثر امه يرفع له في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاقتداء
به ولقد كان معه (هو والصديقة الكبرى خديجة أم المؤمنين) بحراء فيرى
نور الوحي والرسالة ويشم النبوة وكان بعد ذلك باب مدينته وأقضى أمته ،
وعيبة سره وولي أمره ، ووارث حكمه ، وفارج همه ، وصاحب الاذن
الواعية — ومن عنده علم الكتاب — فهل يمكن ان ينسى من سننه ما حفظه
أبوهريرة أو يكتم منها ما بينه أبوهريرة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

على انه لم يكن من المهاجرين من يصفق في الأسواق إلا القليل ،
وحسبك أبوذر والمقداد وعمار ورفقاء أبي‌هريرة في الصفة وهم سبعون
كانوا كما وصفهم أبوهريرة ما منهم رجل عليه رداء وإنما عليه إما ازار
وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم إلى آخر كلامه في وصفهم (1) فما بالهم
لم يحدثوا بمثل أحاديثه ، ولم يكثروا كما أكثر بل لم يكن المجموع من
حديثهم كافة إلا دون حديثه خاصة .

---

(1) فراجعه في احواله على عهد النبي (ص) من هذا الاملاء .

وكذا الأنصار لم يكونوا بأجمعهم من أهل الأموال والأشغال كما زعم وحسبك «ممن لا مال لهم منهم» سلمان الفارسي الذي قال رسول الله (ص) فيه : سلمان منا أهل البيت ، وقال : — كما في ترجمة سلمان من الاستيعاب — لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان ، وقالت عائشة — كما في ترجمته من الاستيعاب ايضاً — كان لسلمان مجلس من رسول الله ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله (ص) وفي الاستيعاب ايضاً قال علي : ان سلمان الفارسي مثل لقمان الحكيم علم الأول والآخر بحر علم لا ينزف ، وقال كعب الاحبار — كما في الاستيعاب وغيره — : سلمان حشي علماً وحكمة إلى آخر ما هو مأثور عنه من أمثال هذه الخصائص ، وقد علم الناس ان أبا أيوب الأنصاري لم يكن له من العيش إلا بلغة لا تشغله عن علم ولا عن عمل ، وكذلك أبو سعيد الخدري وأبو فضالة الأنصاري وغيرهم من نظرائهم من علماء الأنصار وعظمائهم رضي الله تعالى عنهم .

على أن سيد الحكماء وخاتم الأنبياء (ص) لم تكن اوقاته فوضى وإنما كانت في الليل والنهار مرتبة للمهمات على ما تقتضيه الحكمة في تلك الأوقات ، وقد خصص منها لالقاء العلم وقتاً لا يعارض اوقات الصفق في الأسواق ولا اوقات العمل في الأموال ، وكان المهاجرون والأنصار لا يغيبون في ذلك الوقت ابداً وهم أحرص على العلم مما يخرفه المخرفون .

الثاني : لو صح ما زعمه أبو هريرة «من قول النبي (ص) لأصحابه : لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً» لتسابقوا أليه ، واجتمعوا بقضهم وقضيضهم عليه ، فإنه الفضل لا يبلغه الطالب بشد الرحال ، والعلم لا يناله ببذل الأموال ، وما الذي ثبطه عن نيله ؟ ومنعهم عن بسط أثوابهم في سبيله ؟ وكيف زهدوا في هذه الغنيمة وضيعوا على أنفسهم تلك الفوائد العظيمة ؟ أترى انهم كانوا بهذه المثابة من الزهد في العلم والرغبة عما يدعوهم الرسول

اليه ؟ كلا ! ما هكذا الظن بهم ولا هذا بمشبه لما كانوا عليه من التعبد بأوامره ، والمبادرة إلى ما يدعوهم اليه .

الثالث : لو صح ما زعمه أبوهريرة لعظم ندم الصحابة ، وأسفهم على ما ضيعوه من ذلك الفضل الكبير ، والعلم الغزير ولتواتر لهفهم على ما أهملوه من بسط أثوابهم لرسول الله حين انه لا كلفة فيه ولا مشقة عليهم ، ولندّد بعضهم ببعض ، و تلاوموا على تركهم ذلك بسوء اختيارهم ولتواترت منهم الغبطة لأبي‌هريرة بالفوز به دونهم على حين انه لم يكن عليه إلا ثوب واحد وما منهم من احد إلا وعليه ثوبان او اكثر فلما لم يكن شيء من ذلك علمنا ان هذا من كيس أبي‌هريرة .

الرابع : لو كان الأمر كما قصه أبو هريرة لحدث به غيره ممن دعاهم النبي (ص) يومئذ إلى بسط أثوابهم ، بل لو كان لعده الصحابة والتابعون من أعلام النبوة ، وآيات الإسلام وأدلة الدين ، ولتواترت به الأخبار ، واشتهر اشتهـــار الشمس في رائعة النهار ، فلما لم نجـــده إلا في حديث أبي‌هريرة عطفناه على واهياته .

الخامس : انه قد تناقض كلام أبي‌هريرة في هذه القصة ، فتارة حدث بها كما سمعت إذ قال فيما رواه الأعرج عنه ـ [1] أن النبي (ص) قال يوماً لأصحابه لن يبسط احد منكم ثوبه حتى اقضي مقالتي هذه ثم

---

(١) الأعرج هو عبد الرحمن بن هرمز وحديثه هذا عن ابي هريرة موجود في آخر المزارعة ص ٣٤ من الجزء الثاني من صحيح البخاري ، وموجود في فضائل أبي‌هريرة ص ٣٥٧ من الجزء الثاني من صحيح مسلم واخرج البخاري نحوه في اول البيوع في الصفحة الاولى من الجزء الثاني من صحيحه بالاسناد إلى سعيد بن المسيب وابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة ولفظه : ان رسول الله قال في حديث حدثه انه : لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتي هذه ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت نمرة علي حتى قضى مقالته جمعتها الى صدري فما نسيت من مقالته تلك من شيء .

نجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً (قال) : فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي (ص) مقالته ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك شيئاً الى يومي هذا اه بلفظه .

وتارة حدث بها فقال – فيما رواه عنه المقبري –[1] قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً أنساه قال (ص) : ابسط رداءك فغرف بيديه[2] ثم قال ضمه ! ! فضممته فما نسيت شيئاً بعده اه بنصه .

وانت ترى ان القصة على مقتضى الحديث الأول – حديث الأعرج – انها كانت بين رسول الله (ص) وأصحابه والمبتدئ فيها إنما كان رسول الله إذ دعاهم إلى بسط اثوابهم اشفاقاً عليهم من النسيان وانها على مقتضى الحديث الثاني – حديث المقبري – إنما كانت بين أبي هريرة خاصة ورسول الله والمبتدئ فيها إنما هو أبو هريرة حيث شكا نسيانه إلى رسول الله (ص) .

وأيضاً فان الحديث الأول – حديث الأعرج – يقتضي تخصيص عدم النسيان بتلك المقالة فقط[3] لقوله فيه : ما نسيت من مقالته تلك شيئاً والحديث الثاني – حديث المقبري – يقتضي العموم في عدم النسيان لكل شيء من الأشياء حديثاً كان ام غيره مطلقاً لقوله فيه ما نسيت شيئاً بعده ، فإن النكرة في سياق النفي حقيقة في العموم ، وقد ارتبك هنا شارحوا البخاري وارتجت عليهم أبواب الاعتذار عنه حتى قرز ابن حجر في فتح

---

(١) هو سعيد بن ابي سعيد وحديثه هذا عن ابي هريرة موجود في ص ٢٤ من الجزء الأول من صحيح البخاري في باب : حفظ العلم من كتاب العلم .

(٢) قال القسطلاني في شرح هذه الكلمة فغرف بيديه من فيض فضل الله فجعل الحفظ كالشيء الذي يغرف منه ورمى به في ردائه إلى آخر كلامه فراجعه في ص ٣٧٩ من الجزء الأول من ارشاد الساري في شرح هذا الحديث من صحيح البخاري .

(٣) وقع في جامع الترمذي وحلية أبي نعيم التصريح بهذه المقالة وانها كانت ما هذا لفظه :

الباري وقوع هذه القضية مرتين[1] مرة كان عدم النسيان فيها مختصاً بتلك المقالة ، واخرى كان عدم النسيان فيها عاماً لكل شيء من الأشياء سواء أكان حديثاً أم كان غيره مطلقاً وهذا كما ترى[2] .

على أن مسلماً أخرجه[3] من طريق يونس عن ابن المسيب على وجه ثالث إذ قال فيه أبوهريرة : فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به « ص» وهذا يقتضي كون عدم النسيان اعم مما اقتضاه حديث الأعرج وأخص مما اقتضاه حديث المقبري[4] .

ونحوه حديث ابن سعد[5] بسنده الى عمرو بن مرداس بن عبد الرحمن الجندي عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله (ص) ابسط ثوبك

= ما من رجل يسمع كلمة او كلمتين مما فرض الله تعالى عليه فيتعلمهن او يعلمهن إلا دخل الجنة .

(١) قال القسطلاني في شرح هذه الأحاديث في باب حفظ العلم من كتاب العلم ص ٣٨٠ من الجزء الاول من ارشاد الساري ما هذا لفظه : ويحتمل أن يكون وقعت له ـ اي لأبي هريرة مع النبي ـ قضيتان فالتي رواها الزهري عن الاعرج مختصة بتلك المقالة ، والتي رواها المقبري عامة قال : هكذا قرره في فتح الباري ، قال : وهذا من المعجزات = = الظاهرات حيث رفع (ص) عن ابي هريرة النسيان الذي هو من لوازم الانسان حتى قيل انه مشتق منه ، وحصول هذا في بسط الرداء الذي ليس للعقل فيه مجال .

(٢) فان مثل هذا لو صدر مرة واحدة فضلا عن مرتين او اكثر لتواتر الخبر به فاستطار استطارة البرق فما بال الصحابة اغفلوه فلم يروه منهم احد غير ابي هريرة ؟ .

(٣) في ص ٣٥٨ من الجزء الثاني من صحيحه في فضائل ابي هريرة .

(٤) اما كونه اعم من حديث الاعرج فواضح لاختصاص عدم النسيان في حديث الاعرج بتلك المقالة فقط ، واما كونه اخص مما اقتضاه حديث المقبري فلأن حديث المقبري يقتضي تعميم عدم النسيان لكل شيء من حديث وغيره ، وهذا الحديث ـ اعني حديث يونس عن الزهري عند مسلم ـ يقتضي تخصيص عدم النسيان بجميع الاحاديث التي سمعها من النبي دون غيرها من سائر الأشياء ، وقد نص القسطلاني في ص ٣٨٠ من الجزء الاول من ارشاد الساري على ان مسلماً رواه على وجه ثالث فراجع .

(٥) في صفحة ٥٦ من القسم الثاني من الجزء الرابع من طبقاته حيث ترجم ابا هريرة .

فبسطته فحدثني النهار ثم ضممت ثوبي إلى بطني فما نسيت شيئاً مما حدثني ا هـ لكن قوله فيه : فحدثني النهار ، لا يوجد في هذا الحديث إلا من هذا الطريق طريق الجندي فقط وبه كان مخالفاً لكل ما جاء في هذا الموضوع من سائر الطرق إلى أبي هريرة .

وقد أخرجه أبويعلي من طريق أبي سلمة على وجه خاص يخالف سائر الوجوه في سائر الطرق ، إذ روى أن أباهريرة جاء يعود النبي في شكواه فسلم عليه وهو قائم والنبي (ص) متساند إلى صدر علي ويد علي على صدر النبي يضمه اليه والنبي باسط رجليه فقال (ص) : أُدن يا أباه ي ة فدنا ، ثم قال : أدن يا أبا هريرة فدنا ، ثم قال أدن يا أبا هريرة فدنا حتى مست أصابع أبيهريرة أصابع النبي « ص » ثم قال له اجلس فجلس فقال له : ادن مني طرف ثوبك فمد أبوهريرة ثوبه ففتحه وأدناه من النبي « ص» فقال له النبي اوصيك يا أبا هريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت ، قال أوصني ما شئت فقال له : عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور اليها ولا تلغ ولا تله وأوصيك بصيام ثلاثة ايام من كل شهر فانه صوم الدهر وأوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وان صليت الليل كله فان فيهما الرغائب قالها ثلاثاً ثم قال ضم اليك ثوبك فضم ثوبه الى صدره الحديث [1] ...

وأخرج أبو يعلي — كما في ترجمة أبي هريرة من الإصابة — من طريق الوليد بن جميع عن أبيهريرة قال : شكوت الى رسول الله « ص» سوء الحفظ فقال : افتح كساءك ففتحته ثم قال: ضمه الى صدرك فضممته فما نسيت حديثاً بعد .

---

(١) هذا الحديث وسائر الأحاديث التي بعده موجودة بأسرها في ترجمة ابي هريرة من الاصابة فراجع .

وأخرج أبويعلي — كما في الإصابة ايضاً — من طريق يونس بن عبيد عن الحسن البصري عن أبي هريرة ان رسول الله (ص) قال : من يأخذ مني كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً فيصرهن في ثوبه فيتعلمهن ويعلمهن قال : فنشرت ثوبي بين يديه وهو يحدث ثم ضممته فأرجو ان لا أكون نسيت حديثاً مما قاله اه.

قلت : وأخرج أحمد — كما في الإصابة ايضاً — من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن نحوه.

وأخرج أبو نعيم [1] من طريق عبد الله بن أبي يحيى عن سعيد بن أبي هند عن أبي‌هريرة أن رسول الله (ص) قال يا أباهريرة ألا تسألني عن هذه الغنائم التي يسألني أصحابك ؟ فقلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، قال : فنزعت نمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه حتى كأني انظر إلى القمل يدب عليها فحدثني حتى استوعبت حديثه قال : اجمعها فصرها اليك فأصبحت لا اسقط حرفاً مما حدثني اه.

ومن ألم بهذا الحديث من جميع الطرق وجده مختلف الألفاظ والمعاني باختلاف طرقه لا تتجارى معانيه ولا الفاظه الى غاية ، ولا تتساير في حلبة يصدم كل منها الآخر فاذا هو زاهق والحمد لله رب العالمين.

السادس : انه قال : فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها ، فيقتضي على الظاهر ان تبدو سوأته ، لكن القسطلاني وزكريا الأنصاري تأولا كلامه إذ بلغا اليه في آخر المزارعة من شرحيهما فحملاه على أنه بسط بعض النمرة لئلا تنكشف عورته.

السابع : ان هذه الحكاية في ذاتها تشبه قصص المخرفين ، ولا تكاد تمتاز عن خلط الدجالين ، وحاشا لله ان تمتزج بمعجزات الرسول أو يصدق

(١) في ص ٣٨١ في ترجمة ابي‌هريرة من حلية الاولياء فراجع.

بنسبتها اليه أصحاب العقول فان معجزاته (ص) بهرت اولي النهى بأنوار حقيقتها وقهرت جبابرة الأرض بحسن اسلوبها واعتدال طريقتها فظلت أعناقهم لها خاضعين.

ضرب بيده (ص) على صدر علي لما بعثه قاضياً الى اليمن فقال[1] أللهم اهد قلبه وسدد لسانه قال علي «ع»: فوالله ما شككت بعدها قضاء بين اثنين.

ولما انزل الله عز سلطانه (وتعيها اذن واعية) قال «ص»[2] مخاطباً لعلي: سألت الله ان يجعلها اذنك، قال علي: فما نسيت شيئاً بعدها وما كان لي ان انسى.

وقال (ص) يوم خيبر حين اخذ الراية علي «ع»: أللهم اكفه الحر والبرد قال علي[3] فما آذاني بعدها حر ولا برد، وكان بعد ذلك يخرج في الشتاء في ازار ورداء وثوبين خفيفين، وفي الصيف يخرج في القباء المحشو والثوب الثقيل اظهاراً لمعجزة رسول الله «ص» والفاتاً اليها على الدوام.

ولما شكا جابر اليه «ص» ديناً كان على أبيه انطلق معه الى بيدر تمره فمشى حوله ودعا بالبركة فيه ثم جلس عليه وحضر الغرماء فأوفاهم الذي لهم وبقي لجابر وذويه مثل ما كانوا يستغلون، وهكذا كان «ص» اذا أراد بأحد خيراً دعا له، وإذا أراد به غير ذلك دعا عليه كما فعل بمعاوية إذ قال (ص): لا أشبع الله له بطنا، وكما فعل مع الحكم بن أبي العاص وما عهدناه (ص) يفعل شيئاً يشبه الذي حكاه أبوهريرة حاشا حكمته التي تستصبح بها البصائر الضالة، وتنكشف بها معالم الهدى، فتحل عقد الاشكال وتمزق ظلمات الغي والضلال.

---

(١) كما في ترجمة علي من الاستيعاب وغيره، وأخرجه اصحاب المسانيد بطرقهم واسانيدهم.

(٢) هذا مذكور في كشاف الزمخشري، وفي تفسير الثعلبي، والرازي وغيرهما فراجع.

(٣) اخرجه احمد بن حنبل في مسنده، وابن ابي شيبة البزار وابن جرير، وصححه كما في صفحة ٤٤ من الجزء الخامس من منتخب كنز العمال المطبوع في هامش مسند احمد.

١٦

نظرة في فضائلـــه

تتبعنا الأسانيد فيما يرسله الناس في فضائل أبي‌هريرة ، فلم نجد لها مصدراً في الأغلب سواه ، واليك مثلاً يلمسك هذه الحقيقة :

قال صاحب الاستيعاب في أحواله : أسلم أبوهريرة عـــام خيبر ، وشهدها مع رسول الله «ص» ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم ، راضياً بشبع بطنه ، فكانت يده في يد رسول الله ، وكان يدور معه حيث دار ، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ، كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار لاشتغـــال المهاجرين بالتجـــارة ، والأنصار بحوائطهم ، وقد شهد له رسول الله (ص) بأنه حريص على العلـــم والحديث ، وقال له يا رسول الله إني سمعت منك حديثاً كثيراً وأنا أخشى أن أنسى ، فقال (ص) ابسط رداءك ، قال فبسطته فغرف فيه ! ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت شيئاً بعد اه !

قلت : هذه الفضائل ونحوها ليست إلا مضامين أحاديث كـــان أبوهريرة يحدث بها عن نفسه ، ولم تجد لها مستنداً سواه ، وهكذا سائر خصائصه إنما اخذت عنه كما يعلمه المتتبعون .

ولنوضح هذه الجملة فنقول : أما اسلامه عام خيبر فمسلم ، لثبوته

من حديث غيره .

وأما كونه شهدها مع رسول الله (ص) فلم يُرو إلا عنه ، وأهل العلم يتأولون دعواه الحضور كما أوضحناه سابقاً .

وأما لزومه لرسول الله ومواظبته عليه ، رغبة في العلم ، ورضاه بشبع بطنه وان يده كانت في يده يدور معه حيث دار ، فامور كان أبو هريرة يدعيها ، فالعهدة فيها عليه ، إذ قال[1] : قدمت المدينة ورسول الله بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين ، فأقمت معه حتى مات ، وأدور معه في بيوت نسائه ! ؟[2] وأخدمه وأغزو معه وأحج ؟ ؟[3] وكنت أعلم الناس بحديثه ؟ ؟ وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه : منهم عمر : وعثمان : وعلي : وطلحة : والزبير : إلى آخر كلامه ، قلت : لعل أولي الألباب يعجبون من جرأة أبي هريرة على التحديث بمثل هذا ، لمخالفته الواقع ، وبعده عن الصدق ، لكن من عرف الحقيقة علم انه ما كان ليحدث به على عهد الشيوخ والعلماء والعظماء منهم ، وإنما اجترأ على التحديث به وبأمثاله بعد موت أكثر الصحابة وفتح الشام والعراق ومصر وافريقيا وفارس وغيرها من الأمصار ، حيث قلّت الصحابة وكثر مسلموا الفتوحات الذين لا إلمام لهم بشيء مما كان على عهد النبوة فكأنه حينئذ وسائر الكذابة وجدوا أنفسهم في عالم آخر لا يعرف شيئاً مما كان في الصدر الأول ، ورأوا عالمهم الجديد يصدقهم ويتعبد بما

---

(١) فيما اخرجه ابن سعد بالاسناد الى ابي هريرة كما في ترجمته من الاصابة .

(٢) ان من عرف النبي (ص) وانفته من دخول الرجال على نسائه لا يمكن ان يصدق بهذا ابداً .

(٣) قوله : واحج ، ظاهر في استمراره على الحج معه (ص) مرة بعد اخرى وهذا عار عن الحقيقة فان رسول الله ما حج بعد الهجرة سوى حجة الوداع ولو قال وحججت معه لكان ممكن الوقوع .

سمعه منهم لكونهم في نظره من البقية الباقية من اصحاب رسول الله الأمناء على سننه والموكول اليهم تبليغها ، وكانت السلطة الاموية بذلت في تأييدهم جهدها فتسنى لهم بهذه الأسباب كلها ان يحدثوا بما حدثوا به من الواهيات والمنكرات ، وبما لا يجوز شرعاً ، وبما لا يمكن عقلاً ، وبكل سخافة وبكل باطل حسبما اقتضته اغراضهم أو أوجبته دعاية الظالمين الذين اتخذوا دين الله دغلاً ، وعباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وكانت هذه الكذابة قد اتصلت بأسباب أولئك الغاشمين فتوسلت اليهم بالطامات فأرضعوها اخلاف برهم ، وأولوها فوق ذلك انهم أنفقوا في تأييدها قواهم الجبارة إذ كانت (ولا سيما على عهد معاوية) أداة من أدواتهم بل كانت لسان دعايتهم ، وعلى تجسسهم (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله).

واني وأيم الله لا ينقضي عجبي من البخاري ومسلم وأحمد وأمثالهم ممن يرجعون الى عقل اصيل ورأي جميع ثم ينقادون انقياد الأكمه الأبله الى ما يشاء أبوهريرة وأمثاله ، فهل في امكانهم ان يعلموا متى سأله علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم من أهل السوابق ؟ وهل كان سؤالهم إياه في اليقظة أو في النوم أو في عالم الخيال ؟ وأي حديث سألوه عنه ؟ ومن روى هذا عنهم غير أبي هريرة ؟ وأي رجل من أهل المعاجم والتراجم أو من غيرهم عدّ واحداً من هؤلاء في زمرة من روى عن أبي هريرة ؟ ولو حديثاً واحداً[1] ومتى كان هؤلاء يأبهون بحديثه ؟ فانا ما عهدناه يحدث في مجالسهم وما كان ليجرأ على الحديث بحضورهم ، وكانوا يرذلونه

---

(١) قد احصى الحاكم في ترجمة ابي هريرة من روى عنه من الصحابة فكانوا ثمانية وعشرين رجلا ليس فيهم علي ولا عمر ولا عثمان ولا طلحة ولا الزبير اما غيرهم من الصحابة فانما رووا عنه اموراً تتعلق بالجنة والنار او بالاخلاق والحض على العلم دون الاحكام التكليفية .

ويكذبونه كما سمعته مفصلاً . ولنرجع الآن الى ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة أبي‌هريرة فنقول :

وأما قوله : وكان من احفظ اصحاب رسول الله (ص) فانه مأخوذ من قول أبي‌هريرة في الحديث السابق وكنت اعلم الناس بحديثه .

وأما قوله: كان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار ، فانه مأخوذ من حديثه الذي ذكر فيه بسط النمرة ، وقد بيناه سابقاً وعلقنا عليه ما نلفت كل باحثة اليه ..

وأما قوله : بأنه قد شهد له رسول الله (ص) بأنه حريص على العلم والحديث فانما هو مأخوذ من قول أبي هريرة : قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال (ص) : لقد ظننت ان لا يسألني عن هذا الحديث احد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث[1] .

ومن خصائصه التي تداولتها اقلام مترجميه المزود الذي اكل منه اكثر من مائتي وسق تمراً ! وغلامه الآبق الذي اعتقه لوجه الله! وحفظه وعاءين من العلم بث احدهما وكتم الآخر ؟ ودعاء رسول الله (ص) له ولامه ! ومشيه على وجه الماء حتى عبر خليجاً من البحر فما ابتل ! ! له قدم الى غير ذلك من المضحكات المبكيات في آن واحد فإنا لله وإنا اليه راجعون .

---

(١) اخرجه البخاري في الصحيح من طريق سعيد المقبري عن ابي‌هريرة ونقله ابن حجر في ترجمة ابي‌هريرة من الاصابة وكان ابوهريرة يقول (كما في ترجمته من الاصابة) صحبت رسول الله ثلاث سنين لم يكن احد احرص على ان يعي الحديث عنه مني .

١٧

نــوادره

أخرج الامام أحمد من حديث أبي هريرة [١] عن محمد بن زياد قال : كان مروان — ايام ولايته على المدينة في خلافة معاوية — يستخلف أبا هريرة على المدينة فيضرب برجليه فيقول : خلوا الطريق خلوا الطريق قد جاء الأمير قد جاء الأمير — يعني نفسه.

وأخرج ابن قتيبة الدينوري في ترجمة أبي هريرة من معارفه [٢] عن أبي رافع قال : كان مروان يستخلف أباهريرة على المدينة فيركب حماراً قد شد عليه برذعة وفي رأسه خلبة من ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول : الطريق ! قد جاء الأمير ! وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم ، ويضرب برجليه ! الحديث[٣].

وأخرج ابونعيم [٤] بسنده الى ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال : اقبل

---

(١) ص ٣٤ من الجزء الثاني من مسنده.

(٢) في ص ٩٤ منها.

(٣) واخرجه ايضاً ابن سعد باسانيد متعددة في ترجمة ابي هريرة آخر ص ٦٠ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات.

(٤) في احوال ابي هريرة صفحة ٢٨٢ من الجزء الاول من حلية الأولياء.

أبوهريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك ، فقلت له : يكفي هذا . فقال : اوسع الطريق للأمير والحزمة عليه ؟ ! اه .

واخرج ابو نعيم ايضاً[١] من طريق احمد بن حنبل عن عثمان الشحام عن فرقد السبخي ، قال : كان أبوهريرة يطوف بالبيت (أعزه الله تعالى) وهو يقول : ويل لي بطني إذا أشبعته كظني ، وان اجعته سبني .

وعن ربيع الأبرار للزمخشري قال : كان ابوهريرة يقول : اللهم ارزقني ضرساً طحوناً ومعدة هضوماً[٢] ودبراً نثوراً .

وعن ربيع الأبرار ايضاً[٣] قال : وكان يعجبه — يعني أباهريرة — المضيرة جداً فيأكلها مع معاوية وإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي فإذا قيل له قال : مضيرة معاوية ادسم والصلاة خلف علي افضل ، فكان يقال له شيخ المضيرة[٤] ...

وعن أبي عثمان النهدي أن أباهريرة كان في سفر فلما نزلوا وضعوا

---

(١) في احوال ابي هريرة من كتابه حلية الأولياء ص ٣٨٢ من جزئه الأول .

(٢) بزنة فعول، يستوي فيها المؤنث والمذكر كرغوث ، نقله عن ربيع الابرار جماعة من الأثبات كالشيخ القمي في احوال ابي هريرة من كتاب الكنى والألقاب .

(٣) كما في احوال ابي هريرة من الكنى والألقاب للمعاصر القمي .

(٤) المضيرة هي مريقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض ، ويظهر من هذه الحكاية وغيرها انه كان ممن حضر وقعة صفين ، وانه كان يصانع الفئتين شأن المتلون ذي الوجهين واللسانين يريد بهذا ان لا يقطع على نفسه خط الرجعة الى الفئة المنتصرة وقد رأينا بين سوريا والعراق على مقربة من صفين مقاماً مشاداً يدعى مقام ابي هريرة وحدثني غير واحد ان ابا هريرة كان في بعض ايام صفين يصلي في جماعة علي ويأكل في جماعة معاوية فاذا حمي الوطيس لحق الجبل فاذا سئل قال : علي اعلم ومعاوية ادسم والجبل اسلم .

السفرة وبعثوا اليه وهو يصلي ، فقال : اني صائم فلما كادوا يفرغون جاء فجعل يأكل الطعام فنظ القوم الى رسولهم فقال : ما تنظرون ؟ قد والله أخبرني أنه صائم : فقال ابوهريرة صدق اني سمعت رسول الله (ص) يقول : صوم رمضان وصوم ثلاثة ايام من كل شهر صوم الدهر وقد صمت ثلاثة ايام من أول الشهر فانا مفطر في تخفيف الله صائم في تضعيف الله ، اخرجه ابونعيم[1] .

وأخرج البخاري[2] عن محمد بن سيرين قال : كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط بها فقال : بخ بخ ابوهريرة يتمخط في الكتان لقد رأيتني واني لأخر فيما بين منبر رسول الله (ص) إلى حجرة عائشة مغشياً علي فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى اني مجنون وما بي من جنون ما بي إلا الجوع .

ومن نوادره انه كان يلعب السدر قال ابن الأثير في مادة السدر من نهايته ما هذا لفظه : وفي حديث بعضهم قال : رأيت أباهريرة يلعب السدر ، ثم قال : السدر لعبة يقامر بها ــ وتكسر سينها وتضم وهي فارسية معربة عن ثلاثة أبواب[3] اهـ .

وفي هذه المادة من لسان العرب عين ما في النهاية وزاد عليه فقال ومنه حديث يحيى بن ابي كثير : السدر هي الشيطانة الصغرى (قال) يعني

(١) في اواخر ترجمة ابي هريرة ص ٣٨٥ من الجزء الاول من الحلية .
(٢) ص ١٥٧ من الجزء الرابع من صحيحه في اواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، واخرجه ابو نعيم في ص ٣٧٩ من الجزء الاول من حليته .
(٣) قوله : معربة عن ثلاثة ابواب ، اي إن اصلها في لغة الفرس (سه در) ومعناه عندهم ثلاثة ابواب ، فاستعملها العرب وتصرفوا فيها فقالوا : سدر .

انها من أمر الشيطان انتهى بلفظه[١] .

وذكر الدميري في مادة عقرب من حياة الحيوان لعب الشطرنج فقـال : وروى الصعلوكي تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب وأبي البسر وأبي هريرة ثم قال : والمروي عن أبي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه ، قال : وروى الآجري عن أبي هريرة انه قال : قال رسول الله (ص) إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بالازلام الشطرنج والنرد فلا تسلموا عليهم[٢] .

---

(١) فراجعه في ص ٣٠ ج ٦ مادة س در .

(٢) لكن الدميري ضعف اسناد هذا الحديث وكذب الصولي فيما نقله عن الامام زين العابدين من القول باباحة الشطرنج فان ائمة اهل البيت كافة يحرمونه وكذلك مالك واحمد وابو حنيفة .

١٨

وفاته وعقبـــه

كانت وفاته في قصره بالعقيق [١] فحمل إلى المدينـــة فكان ولد عثمان بن عفان يحملون سريره حتى بلغوا به البقيع حفظاً بما كان من رأيه في ابيهم [٢] وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان يومئذ أميراً على المدينة وكان مروان معزولا [٣] وإنما صلى عليه الوليد تكريماً له تقدم للصلاة عليه بعد ان صلى بالناس فريضة العصر وفي القـــوم ابن عمر وابو سعيد الخدري واضرابهما [٤].

وكتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى اليه أبا هريرة فكتب اليه معاوية [٥]

---

(١) نص على ذلك ابن‌حجر في ترجمة ابي‌هريرة من الاصابة ونقل موته‌بالعقيق ابن عبدالبر اذ ترجمه في الاستيعاب ، واخرجه الحاكم في ترجمته من المستدرك وارسله اهل الأخبار .

(٢) اخرج ذلك ابن سعد في ص ٦٣ من القسم الثاني من الجزء الرابع من الطبقات في ترجمة ابي هريرة ورواه اهل الأخبار .

(٣) نص على ذلك اصحاب الاستيعاب والاصابة والطبقات والمستدرك في ترجمة ابي هريرة.

(٤) نص على ذلك كل من ذكرناهم ممن ترجموا ابا هريرة.

(٥) كما في ترجمة ابي هريرة من مستدرك الحاكم وطبقات ابن سعد واصابة ابن حجر وغيرها من كتب الأخبار .

انظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم واحسن جوارهم وافعل اليهم معروفاً فانه ممن نصر عثمان وكان معه في الدار .

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

أما عقبة فإنما نعرف منه ولده المحرر ابن ابي هريرة وبنته التي كان يقول لها : قولي أبي أبي ان يحليني الذهب يخشى علي حر اللهب ، ونعرف لمحرر ولداً اسمه نعيم وهو الذي روى عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به[1] .

وروى عنه أيضاً : ان رجلاً سأل النبي (ص) بما تأمرني ان اتجر قال (ص) : عليك بالبزفان صاحب البز يعجبه ان يكون الناس بخير وفي جدة .

أما المحرر فقد ترجمه ابن سعد في طبقاته[2] وذكر سلسلة نسبه المتصلة بدوس ، وانه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وأنه كان قليل الرواية[3] .

---

(١) وقد جاء في ص ٣٨٠ من الجزء الأول من حلية الأولياء ذكر بنت ابي هريرة التي كان لا يلبسها الذهب وفي ٣٨٣ ذكر نعيم بن المحرر بن ابي هريرة الذي روى عن جده التسبيح بالخيط .

(٢) ص ١٨٨ من جزئها الخامس .

(٣) ان لأبي هريرة في إمارة الحج سنة تسع للهجرة حديثين متناقضين يروي عنه احدهما ولده المحرر والثاني يرويه حميد والحديثان في الصحاح وقد اوردناهما فيما سبق من الأصل وبسطنا القول فيهما فراجع الحديث ١٨ من الفصل ١١ .

خاتمة الكتاب

ولنختم إملاءنا هذا بكلمتين لرسول الله (ص) تتعلقان بأبي هريرة ضربهما النبي (ص) على غرار فذ من أغرته الحكيمة في التدليل على زيغ الزائغين والتحذير منهم .

الكلمة الأولى : يشترك فيها أبوهريرة والرحال بن عنفوة والفرات ابن حيان ، وذلك أنهم خرجو ذات يوم من مجلسه الشريف ، فقال (ص) مشيراً اليهم[1] : لضرس احدكم في النار أعظم من احد ، وان معه لقفا غادر اه .

فكان ابو هريرة والفرات يقولان بعدها[2] فما أمنا بعد هذا حتى ارتد الرحال وقتل مع مسيلمة الكذاب .

قلت : كأنهما كانا يحاولان تأويل الحديث فيجعلان المراد منه واحداً منهم بعينه وهو الرحال بقرينة التحاقه بعد النبي (ص) بمسيلمة وقتله مرتداً .

---

(١) فيما اخرجه سيف بن عمر في الفتوح من طريق احمد بن فرات بن حيان ونقله في ترجمة فرات صاحبا الاستيعاب والاصابة وغير واحد .

(٢) فيما نقله عنهما صاحبا الاستيعاب والاصابة في ترجمة الفرات ورواه غير واحد من حفظة الآثار .

وهذا تضليل عن الحقيقة المتبادرة من الحديث عند اطلاقه ، فانه على حد قوله تعالى : (يود احدكم ان تكون له جنة) (يود احدهم لو يعمر الف سنة) (وإذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) (وإذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) الى كثير من امثال ذلك في الكتاب والسنة ، وكلام العرب تقول في المدح : كف احدهم تمطر ذهباً ، وقلب احدكم يفيض حناناً ، وفي الذم : وجه أحدهم عنوان الوقاحة ، وقلب احدهم اقسى من الصلد ، فلا تريد واحداً منهم بعينه وانما تريد الجميع ، وهذا هو المراد في الحديث وهو المتبادر منه إلى الأذهان .

ولو أراد (ص) واحداً منهم بعينه لأبانه بقرينه تعينه . فان تأخير البيان في مثل هذا المقام مما لا يجوز على الأنبياء لقبحه عقلاً بسبب استلزامه ظلم البريئين منهم ، لأنه متى علم ان احدهم من أهل النار وانه غدار ، ولم يعرف بعينه تفصيلاً سقط الثلاثة عن درجة الاعتبار ، إذ لا يركن بعدها اليهم ، ولا يعتمد عليهم ، ولا يؤبه بما يقولون في اصول أو فروع ولا يحتج بحديثهم ، ولا تقبل لهم شهادة في مرافعة أو غيرها ، ولا يولون امراً من امور المسلمين ، ولا يوكل اليهم شأن تشترط الوثاقة فيمن يوكل اليه ، فيحرمون بأجمعهم من الحقوق المدنية في الإسلام ، ويجب على الامة اجتنابهم في كل شيء تشترط فيه العدالة نزولاً على حكم القاعدة العقلية في الشبهة المحصورة مع العلم الاجمالي كما هو مقرر في محله من الاصول .

وحسبك بهذا سقوطاً لكل من الثلاثة على السواء .

وإذا كان احدهم بعينه هو الجهنمي الغادر المستوجب للحرمان فما ذنب الآخرين ؟ أيجوز على سيد الحكماء ، وخاتم الأنبياء أن يسقط بريئين فيجعلهما طيلة حياتهما بحكم الغدار من أهل النار ؟ ثم يلقى الله تعالى عن غير بيان حاشا لله وما الذي منعه ان يقول مشيراً اليه نفسه : لضرس هذا في النار أعظم من احد لو لم يكونوا جميعاً في الأمر على السواء .

(فان قلت) : لعله (ص) عين الرحال حينئذ بقرينة لفظية أو حالية كالايماء اليه بالخصوص مثلاً ثم خفيت علينا.

قلنا : لو كان ثمة قرينة ما خفيت على أبي هريرة وفرات، وقد استفرغا الوسع فلم يتشبثا بشيء سوى ردة الرحال وحينئذ سجدا لله شكراً وكانا بعد ذلك يقولان : فما أمنا بعد قول النبي (ص) ما قال حتى صنع الرحال ما صنع[1].

على انه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان وخفائه بعد صدوره لاتحاد النتيجة فيهما، إذ لا مندوحة لنا — على كلا الفرضين — عن العمل بما يقتضيه العلم الإجمالي في الشبهة المحصورة كما لا يخفى.

(فان قلت) : إنما كان المنصوص عليه بهذا الذم مجملاً قبل التحاق الرحال بمسيلمة وموته مرتداً وبمجرد صنعه ما صنع تعين أنه هو المراد دون صاحبيه، وحينئذ لا إجمال ولا إشكال.

قلنا : أولاً ان المتبادر من قوله (ص) : لضرس احدكم في النار إنما هو الجميع على حد المتبادر من قوله تعالى (وإذا بشر احدهم بالانثى) واذن فلا اجمال في المنصوص عليه بالذم هنا ولا أثر لردة الرجال للعلم بسوء حاله وحال صاحبيه منذ باؤوا بالضرس والقفا.

(وثانياً) : ان الأنبياء (ع) كما يمتنع عليهم ترك البيان مع الحاجة اليه يستحيل عليهم تأخيره عن وقت الحاجة، ولعلك تعلم ان وقت الحاجة هنا متصل بصدور هذه الكلمة في حقهم من رسول الله «ص» (لو كان لأحدهم شيء من الاعتبار) لأنهم منذ أسلموا كانوا محل الابتلاء في حديثهم وشهاداتهم والائتمام بهم، والوصاية اليهم، والتولية لهم، وما الى ذلك

---

(١) سجودهما حينئذ لله شكراً وقولهما فما امنا ثابتان عنهما ومذكوران في ترجمة فرات من الاستيعاب والاصابة وغيرها.

من الحقوق المدنية (في الدين) فلولا وجوب اقصائهم عنها لما ترك (ص) البيان حتى لحق بالرفيق الأعلى، وما كان ليتكل في ذلك على ما صنع الرحال من الردة بعد وفاته.

وثالثاً: ان الفرات بن حيان كان جاسوساً للمشركين، وعيناً لأبي‌سفيان على رسول الله «ص» والمسلمين، فلما أرادوا قتله بأمر رسول الله (ص) كما في ترجمته من الاستيعاب والإصابة وغيرهما اسلم حقناً لدمه: فقال النبي (ص)[1]: ان منكم من اتألفه على الإسلام منهم الفرات ابن حيان، فالرجل في سوء الحال معطوف على الرحال، فكيف مع ذلك يكون صنع الرحال قرينة على تخصيصه بالجرح والقدح دون الفرات الذي ما اسلم الا حقناً لدمه، ودون أبي‌هريرة الذي تبوأ مقعده.

الكلمة الثانية: يشترك فيها ابوهريرة وسمرة بن جندب الفزاري وأبو محذورة الجمحي إذ أنذرهم (ص) فقال لهم ذات يوم[2] آخركم موتاً في النار.

وهذا اسلوب حكيم من أساليبه في اقصاء المنافقين عن التصرف في شؤون الإسلام والمسلمين، فإنه «ص» لما كان عالماً بسوء بواطن هؤلاء الثلاثة أراد ان يشرب في قلوب أمته الريب فيهم والنفرة منهم اشفاقاً عليها ان تركن الى واحد منهم في شيء مما يناط بعدول المؤمنين وثقاتهم، فنص

(١) كما في ترجمة فرات من الاستيعاب والاصابة وغيرهما واخرج الحاكم في كتاب الحدود ص ٣٦٦ من الجزء الرابع من المستدرك حديثاً ذكر فيه الفرات بن حيان وانه كان عيناً لأبي‌سفيان وحليفاً له وكان رسول الله (ص) قد امر بقتله فمر على حلقة من الأنصار فقال: اني مسلم، فقال بعضهم: يا رسول الله إنه يقول: اني مسلم فقال رسول الله إن منكم رجالا نكلهم الى ايمانهم منهم الفرات بن حيان، وهذا الحديث صححه الحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه.

(٢) كما في ترجمة سمرة من الاستيعاب والإصابة وغيرها.

بالنار على واحد منهم وهو آخرهم موتاً ، لكنه أجمل القول فيه على وجه جعله دائراً بين الثلاثة على السواء ثم لم يتبع هذا الاجمال بشيء من البيان وتمضي الأيام والليالي على ذلك ويلحق « ص » بالرفيق الأعلى ولا بيان . فيضطر أولي الألباب من أمته إلى اقصائهم جميعاً عن كل امر يناط بالعدول والثقات من الحقوق المدنية في دين الإسلام لاقتضاء العلم الإجمالي ذلك بحكم القاعدة العقلية في الشبهات المحصورة ، فلولا أنهم في وجوب الاقصاء على السواء لاستحال عليه – وهو سيد الحكماء – عدم البيان في مثل هذا المقام .

(فان قلت) : لعله بين هذا الاجمال بقرينة خفيت علينا بتطاول المدة .

قلنا : لو كان ثمة قرينة ما كان كـل من هؤلاء في الوجل من هذا الانذار على السواء[1] .

على انك قد عرفت مما سبق انه لا فرق في هذه المشكلة بين عدم البيان واختفائه بعد صدوره لاتحاد النتيجة فيهما بالنسبة الينا اذ لا مندوحة لنا عن العمل بما يقتضيه العلم الإجمالي من تنجيز التكليف في الشبهة المحصورة على كلا الفرضين كما بيناه آنفاً .

(فان قلت) : إنما كان المنصوص عليه بالنار مجملاً قبل موت الأول والثاني منهم وبسبقهما إلى الموت تبين وتعين انه انما هو الباقي بعدهما بعينه دون سابقيه ، وحينئذ لا اجمال ولا اشكال .

قلنا أولاً علمت مما ذكرناه آنفاً أن الأنبياء (ع) كما يمتنع عليهم ترك البيان مع الحاجة اليه يستحيل عليهم تأخيره عن وقت الحاجة ، و علمت

(1) [illegible]

ايضاً أن وقت الحاجة هنا متصل بصدور هذا الانذار لو كان لأحد الثلاثة شيء من الاعتبار ، لأنهم منذ أسلموا كانوا محل ابتلاء المسلمين في الحقوق المدنية الدينية كما بيناه آنفاً فلولا وجوب اقصائهم عنها لما أخر البيان اتكالاً على صروف الزمان ، وحاشا رسول الله « ص » ان يقصي أحداً عن حقه طرفة عين ، ومعاذ الله ان يخزي من لا يستحق الخزي ثم يبقيه على خزيه حتى يموت مخزياً إذ لا تعرف براءته – بناء على هذا الفرض الفاسد – إلا بموته .

وثانياً : إنا – شهد الله – بذلنا الطاقة بحثاً وتنقيباً ، فلم يكن في الوسع أن نعلم أيهم المتأخر موتاً لأن الأقوال في تاريخ وفياتهم بين متناقض متساقط[١] وبين مجمل متشابه لا يركن اليها كما يعلمه متتبعوها .

وثالثاً : لم يكن من خُلق رسول الله (ص) وهو (العزيز عليه عنت المؤمنين الحريص عليهم الرءوف بهم الرحيم لهم) أن يجابه بهذا القول – آخركم موتاً في النار – من يحترمه وما كان (وانه لعلى خُلق عظيم) ليفاجئ به (أو بقوله : لضرس أحدكم في النار) غير مستحقيه ، ولو أن في واحد من هؤلاء الثلاثة (أو من أولئك) خيراً ما أشركه في هذه المفاجأة القاسية والمجابهة الغليظة ، لكن اضطره الوحي إلى ذلك نصحاً لله تعالى وللامة (وما ينطق عن الهوى) ..

على أن أحوال هؤلاء الثلاثة كلها قرائن قطعية على ما قلناه حول انذارهم هذا كما أن أحوال اولئك أدلة ما قلناه فيهم .

وحسبك من أبي هريرة ما تبوأه من مقعده ويكفيك من سمرة اسرافه

---

(١) اما تناقضها فلأن بعضها نص بموت سمرة سنة ثمان وخمسين وموت أبي هريرة سنة تسع وخمسين وهذا منقوض بالقول بأن موت ابي هريرة كان سنة سبع وخمسين ، وهكذا بقية الأقوال في موت الثلاثة واما المجمل المتشابه منها فكالقول بموت الثلاثة كلهم في سنة تسع وخمسين من غير بيان اليوم والشهر الذي وقع فيه الموت .

الفظيع في دماء المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة [1] وبيعه الخمر علانية [2] ومضارته للأنصاري، وتمرده على ما دعاه النبي (ص) اليه من الصلح وزهده في الجنة على وجه يستفاد منه عدم إيمانه [3] وشجه رأس ناقة النبي [4] استخفافاً وامتهاناً إلى غير ذلك من بوائقه.

وناهيك من أبي محذورة أنه من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، دخل في الإسلام بعد فتح مكة، وبعد ان قفل رسول الله (ص) من حنين منتصراً على هوازن، ولم يكن شيء اكره إلى أبي محذورة يومئذ من رسول الله (ص) ولا مما يأمره به، وكان يسخر بمؤذن رسول الله (ص) فيحكيه رافعاً صوته استهزاء لكن صرة الفضة التي اختصه بها رسول الله (ص) وغنائم حنين التي اسبغها على الطلقاء من اعدائه ومحاربيه وأخلاقه العظيمة التي وسعت كل من اعتصم بأول الشهادتين من اولئك المنافقين مع شدة وطأته على من لم يعتصم بها ودخل العرب في دين الله أفواجاً، كل ذلك ألجأ أبا محذورة وأمثاله إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ولم يهاجر حتى مات في مكة [5] والله يعلم بواطنه.

---

(١) نحيلك في تفصيل ذلك على ص ٣٦٢ من المجلد الأول من شرح النهج الحميدي وما اخرجه الطبري منها في احداث سنة خمسين من تاريخه الشهير وما ذكرناه نحن منها في الفصل ٨ من فصولنا المهمة.

(٢) فيما اخرجه الامام احمد من حديث عمر بن الخطاب في ص ٢٥ من الجزء الاول من مسنده.

(٣) كما في كتاب التجارة من الكافي في باب الضرار وفي الفقيه انه خالف رسول الله (ص) ولم يرض بنخلة في الجنة في قضية اوردها ابن ابي الحديد في ص ٣٦٣ من المجلد الاول من شرح النهج حيث ذكر سمرة وفظائعه.

(٤) كما في روضة الكافي.

(٥) كلما نقلناه هنا عن ابي محذورة موجود في ترجمته من الاصابة وهو مما لا خلاف فيه.

تمت التعليقة بتمام الأصل بقلم مؤلفها الأقل عبد الحسين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

بقيت كلمة لابن عبد البر حول هذا الانذار إذ قال في ترجمة سمرة من الاستيعاب : وكانت وفاته بالبصرة في خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات قال : كان ذلك تصديقاً لقول رسول الله (ص) له ولأبي هريرة ولثالث معهما : آخركم موتاً في النار اه.

قلت : هذا تأويل غريب لا يدل عليه اللفظ ولا يفهمه منه أحد والثلاثة المخاطبون به لم يرتابوا من مفاده المتبادر منه ، ولذا كان كل منهم يتمنى سبق صاحبيه إلى الموت كما هو ثابت عنهم ، على أن تأخر سمرة في الموت عن صاحبيه كليهما غير معلوم ، ولا سيما على ما جزم به ابن عبد البر من موته سنة ثمان وخمسين ، لأن أبا هريرة قد مات في قول الواقدي وابن نمير وابن عبيد وابن الأثير وابن جرير وغيرهم سنة تسع وخمسين وفيها مات أبومحذورة ، وقيل : بل مات ابومحذورة سنة تسع وسبعين ، ونص ابن الكلبي على ان أبا محذورة مات بعد موت سمرة ، فتأويل ابن عبد البر لهذه الكلمة ـ آخركم موتاً في النار ـ مما لا يصغى اليه ..

وهذا آخر ما اردناه من تمحيص السنة المقدسة وتنزيهها عن الدخل الشائن لجوهر الإسلام وروحه الرفيعة ، والحمد لله على التوفيق لذلك واليه نبتهل في أن ينفع به المؤمنين ، ويجعله ذخيرة ليوم الدين ، وصلى الله على سيد النبيين وخاتم المرسلين ،وآله الطيبين الطاهرين ،وصحبه الهداة الميامين .

وكان الفراغ منه في مدينة صور يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦٢ هـ الموافق ٢٣ أيلول سنة ١٩٤٣ م بقلم مؤلفه أضعف المؤمنين عملاً وأقواهم بعفو الله أملا عبد الحسين بن الشريف يوسف ابن الشريف جواد بن الشريف اسماعيل بن محمد بن محمد بن

شرف الدين واسمه ابراهيم بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن عز الدين الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن ابن محمد ولقبه شمس الدين بن عبد الله ولقبه جـلال الدين بن احمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن أبي السعادات محمد بن أبي محمد عبد الله نقيب النقباء الطالبيين في بغداد ابن أبي الحرث محمد بن أبي الحسن علي المعروف بابن الديلمية بن أبي طاهر عبد الله بن أبي الحسن محمد المحدث ابن أبي الطيب طاهر بن الحسن القطعي بن موسى أبي سبحـة بن ابراهيم المرتضى بن الإمـام الكاظم بن الامام الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمـام أبي عبـد الله الحسين سيد الشهداء ، وخامس أصحاب الكساء ، وسبط خاتم النبيين والمرسلين ، ابن أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، علي بن أبي طالب صلى الله على رسوله وعليهم أجمعين . . .

الفهرس